بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

تعاقب الذكر والحذف
في آيات القرآن الكريم

إعداد:
فاطمة فضل محمود السعدي

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف:
الدكتور جعفر عبابنة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات
درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

أيار / ١٩٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة:

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٩٨ م

أعضاء لجنة المناقشة: التوقيع

١- المشرف: د. جعفر عبابنة

٢-عضوا: أ.د. نهاد الموسى

٣- عضوا: د. محمد حسن عواد

٤- عضوا: أ.د. عبد الحميد السيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهـــــداء

إلى الذّين وقفوا إلى جانبي وشجّعوني على مواصلة الدّراسة.

إلى رفيق دربي الّذي منحني من عزمه همّة ومضاء.

إلى أبنائي الّذين من أجلهم وبحبّهم اجتزتُ الصّعاب.

أهدي هذا البحث،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي منحني القدرة ووهبني الثبات وكان المعين لي على كتابة هذا البحث وانجازه على نحو أرجو أن يكون في الآخرة حجة لي.

وعميق الشكر ووافر الامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور جعفر عبابنة الذي تفضل بالاشراف على هذه الرسالة، فلم يأل جهدا في توجيهي ومتابعتي منذ أن كان البحث فكرة حتى أصبح حقيقة ماثلة للعيان.
كما أتقدم بشكري الجزيل إلى أستاذي الدكتور نهاد الموسى الذي وجهني نحو هذا البحث وأسدى إلي ملاحظات قيمة حتى استوى هذا البحث على سوقه.

أما أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة وهم:
الأستاذ الدكتور نهاد الموسى
والدكتور محمد حسن عواد
والأستاذ الدكتور عبد الحميد السيد

فلهم مني أوفى التقدير والعرفان لتفضلهم بقراءة هذا البحث ومناقشته بما يثريه ويضعه في الصورة النهائية المرجوة.

وأجد واجبا علي أن أشكر الدكتور عطا موسى وأستاذي الدكتور عمر الأسعد والأستاذ محمد الشامي لما قدموه لي من ملاحظ مشرقة أفدت منها ما وسعني ذلك.

كما أشكر أسرة كلية تدريب عمان والعاملين في مكتبة الكلية لوقوفهم إلى جانبي طوال مرحلة البحث والدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المحتويات

المحتويات	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	جـ
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص	ح
المقدمة	١
الفصل التمهيدي:	٧
- تعريف تعاقب الذكر والحذف في آيات القرآن الكريم وفيه الموضوعات التالية:	
– التعاقب لغة واصطلاحا.	٨
– الآيات المتشابهة.	٩
– تعريف تعاقب الذكر والحذف .	٩
– تعريف الزيادة وموقف النحاة والبلاغيين منها.	١٠ –١٤
الفصل الأول:	١٥
تعاقب الذكر والحذف في حروف المعاني وفيه الموضوعات التالية:	
– المقصود بحروف المعاني	١٦
– تعاقب ذكر الحروف التالية وحذفها	
– حرف الهمزة	١٧–١٨
– حرف إذن	١٨–٢٠
– أن	٢١–٢٤
– الباء	٢٤–٣٥
– عن	٣٥–٣٨
– الفاء	٣٨–٤٨
– في	٤٨–٤٩
– اللام	٥٠–٥٥
– لا	٥٥–٦١
– من	٦٢–٧٢
– النون	٧٣–٧٤
– الهاء	٧٥–٧٦
– الواو	٧٧–٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات	الصفحة

الفصل الثاني:	٩٢
تعاقب الذكر والحذف في المفردة (الاسم والفعل)	٩٣
وفيه الموضوعات التالية:	
تعاقب الذكر والحذف في:	
– المبتدأ	٩٣-١٠١
– الفعل	١٠١-١٠٢
– الفاعل	١٠٢-١٠٦
– المفعول به	١٠٦-١١١
– الموصوف	١١١-١١٦
– التوكيد المعنوي	١١٦-١١٧
– المعطوف	١١٨-١٢٠
– العَلَم	١٢١-١٢٢
– الاسم الموصول	١٢٢-١٢٥
– المعرف بالأداة	١٢٥-١٣٠
الفصل الثالث:	١٣١
تعاقب الذكر والحذف في الجمل وأشباه الجمل	
وفيه الموضوعات التالية:	
تعاقب الذكر والحذف في الجمل.	١٣٣
– الجملة الواقعة مفعولا به للقول.	١٣٤-١٣٨
– الجملة الفعلية الواقعة حالا.	١٣٨-١٤٠
– جملة جواب الشرط المقترن بالفاء.	١٤٠-١٤٢
– الجملة المعطوفة على جملة فعلية مثبتة.	١٤٢-١٤٤
– الجملة المعطوفة على جملة فعلية منفية.	١٤٤-١٤٦
– الجملة التفسيرية.	١٤٦-١٤٧
– جملة النداء.	١٤٧-١٥٠
تعاقب الذكر والحذف في أشباه الجمل :	١٥١
– إلى أجل مسمى	١٥٢-١٥٣
– به	١٥٤-١٥٥
– فيه	١٥٥-١٥٨
– لكم	١٥٨-١٦٣
– له	١٦٣-١٦٥
– من غم	١٦٥-١٦٦
– منا	١٦٦-١٦٧
– منكم	١٦٨-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات | الصفحة

– من دونه	١٦٩
شواهد أخرى على تعاقب الذكر والحذف في قصص القرآن الكريم	١٧٠-١٧٩
الخاتمة	١٨٠-١٨٨
المصادر	١٨٩-١٩٦
المراجع الحديثة	١٩٦-٢٠١
بحوث منشورة في وقائع المؤتمرات	٢٠١
المراجع الحديثة باللغة الإنجليزية	٢٠٢
ABSTRACT	٢٠٣-٢٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص

تعاقب الذكر والحذف

في آيات القرآن الكريم

إعداد:

فاطمة فضل محمود السعدي

المشرف:

د. جعفر عبابنة

تناولت هذه الدراسة موضوع تعاقب الذكر والحذف في آيات القرآن الكريم هادفة إلى بيان مواضع التعاقب ومقاصده من خلال النصوص القرآنية.

وقد أمكن من خلال هذا البحث وضع معيار تحدد بموجبه مفهوم التعاقب، والذكر، والحذف، والآيات المتشابهة.

فالمقصود بالآيات المتشابهة على صعيد هذا البحث تشابه آيتين أو أكثر في الألفاظ مع زيادة أو حذف في واحدة أو أكثر من هذه الآيات يتمثل في حرف من حروف المعاني أو مفردة أو جملة أو شبه جملة يستلزم ذكرها أو حذفها معنى جديدا.

وحريٌّ بالإشارة هنا أن المقصود بآيةٍ تَعاقبَ فيها الذكر والحذف قد يكون أحيانا هو ذلك الجزء من الآية الذي جرى فيه التعاقب، ولا سيما الآيات الطويلة التي تنتظم أكثر من جزء.

وقد تم جمع الآيات وتصنيفها حسب نوع المذكور والمحذوف في ثلاثة فصول : اختص الأول بآياتِ تعاقبِ الذكر والحذف في حروف المعاني مرتبةً هجائيا حسب الحرف المذكور أو المحذوف، واختص الثاني بالمفردة مرتبة حسب الترتيب الذي تتخذه في كتب النحو الأصول، واختص الثالث بالجملة وشبه الجملة.

وفي كل فصل تم رصد الآيات وعرض آراء النحاة والبلاغيين والمفسرين القدماء والمعاصرين ومناقشتها وترجيح بعضها على بعض، كما تمت دراسة الآيات دراسة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهجية نحوية بلاغية أسلوبية قائمة على الأخذ بآراء الآخرين مع الاحتكام إلى القرآن الكريم عند تضارب الآراء واختلافها.

وقد عرضَتْ هذه الدراسة لقضية الزيادة في القرآن الكريم ولمواقف القدماء والمحدثين منها، وتناولت الآيات التي اعتبرها النحاة شواهد على الزيادة فتمت مناقشتها وإبداء الرأي فيها، كما أمكن بيان المقصود من الحذف في موضع والذكر في موضع آخر في ضوء أسباب النزول ومكانه ومناسباته.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج والتوصيات التالية:

١- أسلوب القرآن الكريم محكم السّبك؛ فلا يذكر حرف إلا لحكمة بالغة، ولا يحذف إلا لحكمة بالغة أيضا، والقول بالزيادة غير المقرونة بزيادة في المعنى، أمر مرفوض؛ ذلك أن لبعض الحروف التي شهد النحاة بزيادتها دلالاتٍ خاصة لا تتضح إلا بوجودها.

٢- تناول الآيات القرآنية في سياقها الخاص والعام، ومعرفة مناسبة نزولها ومكانه ،وتاريخه ،إن أمكن، وتتبّع اللفظة في المعجم القرآني لتحديد دلالتها ضرورة حتمية لمن يدرس القرآن الكريم.

٣- تكرير آية أو قصة أو جزء منها في القرآن الكريم لا يكون بالأسلوب نفسه، وما يذكر من هذه الآية أو تلك القصةِ في كل موضع أو مقام يشكّل القدر الذي يحقق الغرض من ذكرها في هذا الموضع أو يوضح العبرة منها.

٤- لا بد من إعادة النظر في بعض آراء النحاة في العطف، والوصل والفصل، والتأويل والتقدير، والزيادة والحذف، وتعدد وجوه الإعراب التي تُشغِل من يقرأ القرآن الكريم عن تذوقه وتلمس مواطن الجمال والإعجاز فيه؛ فليس من الإنصاف أن نقيم دراساتنا للعربية على الصورة الجاهزة الماثلة في أعمال السابقين دون أن تراجع أو يُستدرك عليها أو تُتناول من وجهة نظر جديدة.

٥- يؤكد هذا البحث أهمية دراسة القرآن الكريم في كلية الآداب، في إطار فروع اللغة العربية؛ ليكون النص القرآني هو الأساس الذي تقوم عليه الدراسات اللغوية العربية، مع الاهتمام بتفسيره تفسيرا أدبيا جماليا يجعل الباحث قادرا على الكشف عن مزيد من أسرار تركيبه، متوسلا بكل ما تُتيح له معطيات عصره من أدوات الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة:

لقد شغلت قضية الإعجاز القرآني أئمة علماء السلف ؛ فقدّموا إلى المكتبة الإسلامية خلاصة جهودهم في تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه وعلومه مما لا يزال شاهدا على قيمة ما تركوه. وقد تناول الأقدمون والمعاصرون موضوع تعاقب الذكر والحذف في آيات القرآن الكريم في ثنايا كتبهم، ضمن موضوعات مختلفة ،ولأغراض متعددة دون أن يفردوا له بحثا مستقلا ينتظم مفرداته جميعا.

وقد بحث النحاة قضية الحذف ضمن أبواب خاصة مثل حذف المبتدأ ،أو الخبر، أو المفعول، أو حذف الصفة والموصوف، وضمن أبواب أخرى ليست خالصة للحذف مثل باب حروف المعاني وزيادتها أو باب الشرط أو باب الإتباع الإعرابي، وذكروا موضوع الحذف حين أعربوا جانبا من آيات القرآن الكريم فلم تخضع لمنطقهم النحوي ولما قعّدوا من قواعد؛ فلجأوا إلى تقدير محذوفٍ؛ ليستقيم إعراب الآية على الأساس النحوي الذي افترضوه، وحين بحثوا موضوع بعض الحروف ولم يجدوا لها مخرجا إعرابيا قالوا بزيادتها وبأن دخولها كخروجها، ومما ساعدهم على ذلك وجود آيات أخرى تخلو من هذه الحروف؛ فاستأنسوا بها، وعدّوها شواهد على الحذف في موضع، وعلى الزيادة في موضع آخر؛ فتعددت احتمالات الإعراب ووجوهه، وتباينت الآراء.

كما تحدّث البلاغيون -أثناء بحثهم قضية إعجاز القرآن الكريم وحديثهم عن بلاغته وأسلوبه -عن الذكر والحذف في أبواب خاصة، لكنهم فصلوا بينهما؛ فجعلوا للحذف أبوابا مستقلة، واشترطوا له شروطا، وأوجبوا له قرائن توحي بوجوده وتمنع ظهوره، فإذا ما ذكر هذا المحذوف وظهر ذهب بثراء الدلالة وخصوبتها -على حد تعبيرهم.

وحين تحدثوا عن الذكر أفردوا له أبوابا خاصة أيضا؛ فأعلوْا من شأن المذكور، وبيّنوا أثره في الدلالة.

ويعود هذا التباين في الرأي إلى سبب جوهري، وهو أنهم تناولوا، أحيانا، الذكر بمعزل عن الحذف، وتناولوا الحذف بمعزل عن الذكر، ولم يتتبعوا مواضع تعاقبهما ليحكموا بأثر هذا التعاقب في الدلالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا ننكر أن بعض البلاغيين قد التفتوا إلى كثير من مواضع الحذف في القرآن الكريم، واعتبروه ضربا من ضروب البلاغة، ودليلا على إعجاز القرآن الكريم؛ فدرسوا هذه المواضع، ووقفوا عندها شارحين مفسرين.

وقد لفتت قضية التكرار في بعض آيات القرآن الكريم نظر بعض المفسرين والبلاغيين؛ فبحثوا عن سر هذا التكرار و تشابه ألفاظ بعض الآيات مع اختلاف أجزاء بعضها بالتقديم والتأخير والإفراد والجمع والحذف والذكر والتعريف والتنكير.

أمّا مَنْ كَتَب في علوم القرآن الكريم فقد جعل باب الذكر والحذف والآيات المتشابهة جزءا من العلوم القرآنية التي يجدر بالمسلم أن يتعلمها، ليصل إلى فهم القرآن الكريم؛ فخرجت كتب في علوم القرآن الكريم تضمنت أبوابا للذكر والحذف، واحتوت هذه الأبواب أمثلة من آيات القرآن الكريم دون شرح أو تفسير في غالب الأحيان، وأدرجوها تحت عنوان "علم المتشابه" أو "ما يشتبه بالزيادة والنقصان".

وقد ألّف بعض القدماء مصنفات في تأويل المتشابه تناولوا فيها آيات من القرآن الكريم متّفقة في ألفاظها مع زيادة أو نقصان أو إبدال حرف بحرف أو مفرد بجمع أو فعل بمصدر وغير ذلك مما يستلزم اختلافا يسيرا في اللفظ؛ فأشاروا إلى علة الزيادة والنقصان ،وذكروا – فيما ذكروا – آيات تعاقبَ فيها الذكر والحذف فأشاروا إلى علّته، محاولين توضيح ما اعتراها من لبس، بلطف الصنعة، وعمق التجربة في هذا الميدان.

ومن أبرز هذه الكتب "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الاسكافي، وكتاب "البرهان في تأويل مشكل القرآن الكريم" للكرماني، وقد سمّاه محققه (أسرار التكرار)، ولم يخرج الكرماني في كتابه عما ذكره الإسكافي، إلا أنه ترك الإسهاب الذي لجأ إليه الإسكافي ليأتي كتابه ملخصا، مختصرا.

وفي عصرنا الحديث اتجهت بعض الأقلام إلى الكتابة في موضوع الذكر والحذف ضمن ما تناولت من قضايا إعجاز القرآن الكريم من خلال الدراسات والمؤتمرات، وتنوعت مناهج التفسير القرآني، وبرز منهج التفسير الأدبي أو التفسير البياني، ولمعت أسماء مؤلفين مثل أمين الخولي وسيد قطب وبنت الشاطئ ومحمد متولي الشعراوي وأحمد أحمد بدوي، كما اتجهت العناية إلى بحث قضايا نحوية في القرآن الكريم تتعلق بالذكر والحذف وحروف المعاني؛ فكتب في هذا المجال الدكتور عبد الفتاح الحموز والدكتور عفت الشرقاوي والدكتور تمام حسان والدكتور سعد أبو الرضا ومصطفى عبد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلام أبو شادي؛ كل هؤلاء تناولوا قضية الذكر والحذف في لمحات أو فصول من كتبهم، وقد أصدر بعض الدارسين كتبا في شواهد الإعجاز القرآني تضمنت آيات فيها ذِكْرٌ وحذف عدّها المؤلفون شواهد على إعجاز القرآن الكريم ومن هؤلاء الدكتور فضل عباس والدكتور عودة أبو عودة وعودة الله القيسي، وقد حاولوا جميعا تأويل المتشابه وتعليل الذكر والحذف في إلماعات.

وقد تولد لدى الباحثة إزاء هذا التشتت في مفردات الذكر والحذف إحساس بضرورة تناول الموضوع في بحث مستقل يستوفي عناصره ويضعه في الصورة المنشودة؛ فيجعله بذلك قريب المتناول، داني المجتنى.

وهكذا جاءت فكرة هذه الدراسة لتكشف عن تعاقب الذكر والحذف في آيات القرآن الكريم، وتحدد مواقع هذا التعاقب، وتبين نوع المحذوف أو المذكور، والحكمة من الذكر تارة والحذف تارة أخرى؛ لتكون عونا لمن يقرؤها على تعرف مواضع الذكر والحذف، والوقوف على الأسباب التي أدت إلى الذكر هنا والحذف هناك؛ ليصل إلى قناعةٍ أن ما ذُكِر في موضع ما كان له أن يحذف، وأن ما حذف ما كان له أن يُذكر.

ولعلي بهذا العمل أضيف إلى محاولات البحث القرآني لبنة جديدة، ولا أدعي لعملي هذا التفرد ولا السبق؛ فنحن نبدأ من حيث انتهى السلف، وما قدموه لنا إشارات مضيئة تنير لنا طريق البحث، لكنها لا تحد من حركتنا أو توقف مسيرتنا، ويبقى البحث مادامت الحياة، ويظلُّ القرآن الكريم مَوْردا عذبا يستقي منه الباحثون جيلا بعد جيل.

<u>دوافع البحث ومقاصده:</u>

تتلخص أسباب اختيار موضوع الرسالة في النقاط التالية:

<u>أولا:</u> وجود الآيات التي تعاقب فيها الذكر والحذف أشتاتا متفرقة، في تضاعيف الأسفار والدوريات، لا ينتظمها بحث مستوفٍ، على الرغم من أنها تشكل ظاهرة قرآنية، فعَقدْتُ العزمَ على تتبّعها في القرآن الكريم، وفي تلك الأسفار والدوريات، سعيا إلى جمع متفرقها ولملمة نِثارها، مع الأخذ في الحسبان أن هذا الجهد لم يهدف إلى الجمع فقط ،وإنما كان القصد منه تعليل ورودها على تلك الأنحاء، وإخراجها، في بحث مستقل يضع هذه الظاهرة القرآنية في صورة جلية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: محاولة الإجابة عما يطرح من تساؤلات، وما يجول في ذهن القارئ من استفسارات حين تعرض له تلك الآيات التي تتشابه في مجمل ألفاظها، وتختلف في حرف أو مفردة أو جملة أو شبه جملة أو عدة جمل، زيادةً أو نقصاناً.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على الاستقصاء والوصف والتقرير والنقد وتوظيف مناهج بحث متعددة يفيد من مزاياها دون أن يكون بينها تعارض بالضرورة، كما تقتضي منهجية البحث ما يلي:

أولا: رصد الآيات التي فيها تعاقب الذكر والحذف في القرآن الكريم والاستعانة بما ورد من ذلك متفرقا في المصادر المختلفة.

ثانيا: وضع إطار مرجعي يتمثل في الفصل التمهيدي؛ وتأتي أهمية هذا الفصل من كونه يعرض لمفاهيم تُعين القارئ على تحديد المقصود من موضوع البحث.

ثالثا: وتقتضي خطة البحث أن يجري درس المادة وعرضها في فصول على النحو التالي:

أ- يدرس الفصل الأول تعاقب الذكر والحذف في حروف المعاني؛ فرُتِّبتْ الآيات وفق التسلسل الهجائي للحروف المذكورة أو المحذوفة، وقد حداني على ذلك أنَّ ترتيب الحروف وفق موضوعاتها سيحدث اضطرابا؛ ذلك أن الحرف الواحد -كاللام مثلا- قد ينضوي تحت أكثر من باب، أما ترتيبها هجائيا فيجعل تناولها سهلا.

ب- يدرس الفصل الثاني آيات تعاقب الذكر والحذف في المفردة، وقد نسقت الآيات التي زادت إحداها على الأخرى بمفردة وفقا للترتيب الذي جرى عليه النحاة في أمهات كتب النحو، وذلك بالابتداء بمبحث المبتدأ ثم الفعل فالفاعل والمفعول به، ثم الموصوف فالمؤكد المعنوي، ثم المعطوف ثم أسماء الأعلام فالأسماء الموصولة ثم المعرف بالأداة، وقد تم إدراج "أل" في هذا الموضع؛ لأن وجودها مع الاسم يجعله معرفة، وعدم وجودها معه يجعله نكرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- يدرس الفصل الثالث الآيات التي زادت إحداها على الأخرى أو نقصت عنها جملة أو شبه جملة أو عدّة جمل.

رابعا: عَرْضُ آيات التعاقب ابتداءً بالحرف ثم المفردة ثم الجملة؛ لأن الجملة هي المحصلة النهائية لتركيب الكلمات بعضها مع بعض.

خامسا: دراسة الآيات في ضوء مناهج النحاة للوقوف على آرائهم وأقوالهم في الذكر والحذف والتأويل والزيادة، وذلك بالرجوع إلى مصادر النحو وإعراب القرآن الكريم ؛ لاستجلاء تصور واضح لموقف هؤلاء النحاة من آيات تعاقب الذكر والحذف، مع إعطاء رأي الباحثة فيما قالوا أو اختلفوا فيه، بالاحتكام إلى روح القرآن الكريم وروح العربية في التوجيه الإعرابي.

سادسا: استجلاء تصور واضح لموقف البلاغيين من قضية الذكر والحذف في القرآن الكريم وأساليب العربية، بالاطلاع على آرائهم المبثوثة في كتب البلاغة والإعجاز قديما وحديثا، والاستنارة بها لبناء دراسة أسلوبية جديدة، تكشف عن رأي الباحثة تأييدا أو معارضة.

سابعا: استجلاء تصور واضح لموقف المفسرين من الآيات التي تعاقب فيها الذكر والحذف، وذلك بالاطلاع على هذه الآراء المبثوثة في كتب التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وتفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الأدبي والبياني للقرآن، وتأويل مشكل القرآن الكريم، وما قدّمه المعاصرون من أبحاث للمؤتمرات الإسلامية عن إعجاز القرآن الكريم ومناهج تفسيره .

ثامنا: تعقيب على الآراء المختلفة وذلك بدراسة مواضع الحذفَ والذكر وتعاقبهما دراسة نحوية بلاغية أسلوبية، تبين، وتوطد العلاقة بين البنية والدلالة، وتقف على نوع المحذوف وعلة الحذف، في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ذات العلاقة بموضوع البحث، مع الالتزام بتفصيل الأقوال، وإيراد الشواهد والآراء ومناقشتها، والاستفادة من المنهج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجمالي لتفسير هذه الآيات، بمراعاة أسباب النزول وتاريخه ومكانه، إن أمكن، وتناول اللفظة في سياقهاالخاص والعام ودلالتها اللغوية في معجم القرآن الكريم نفسه.

تاسعا: ترتيب آيات تعاقب الذكر والحذف في قصص القرآن الكريم حسب تاريخ النزول ومكانه، ليكون عونا على فهم علة الذكر والتفصيل في موضع، وعلة الحذف والاختصار في موضع آخر، والحكمة من تكرار بعض المشاهد في موضع ثالث.

ولست أدّعي أنني بلغت بما قدمت في هذا البحث درجة الكمال، وحسبي منه أنني سعيت وبذلت الجهد ما وسعني ذلك.

والله الموفق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل التمهيدي:

* تعريف تعاقب الذكر والحذف في آيات القرآن الكريم:

وفيه الموضوعات التالية:

- تعريف التعاقب لغة واصطلاحاً
- تعريف الآيات المتشابهة .
- تعريف الذكر والحذف وتعاقبهما.
- تعريف الزيادة وموقف النحاة والبلاغيين منها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **التعاقب لغة:**

التعاقُب: الإتيان بشيء بعد الآخر، وعَقَب يعقِبُ عَقْباً، وعَقبَ يَعْقُبُ عُقوباً، وعَقَب هذا إذا جاء بعده، وعاقب بين الشيئين إذا جاء بأحدهما مرة وبالآخر أخرى، وتعاقب الشيئان خَلَف أحدُهما الآخر، وتعاقب القوم في الشيء أو الأمر تناوبوه، والعَقيبُ: كل شيء يأتي بعد الشيء ويتلوه، وصلاة الخوف عُقَب أي تصلي طائفة بعد طائفة فيتعاقبونها، ويعتقِبُ: يتناوب، ورأيت عاقبة من طير: أي رأيت طيرا يعقُب بعضُها بعضا ،تقع هذه فتطير ثم تقع هذه موقع الأولى[١].

وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿له مُعقّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ (الرعد ١١) أي ملائكة يتعاقبون عليه، حافظين له[٢].

وورد في الحديث الشريف: "إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم"[٣].

فالضابط في تحديد التعاقب في لغة العرب: التحول من حال إلى حال والمجيء بالشيء بعد الآخر ليتلوه[٤].

- **التعاقب اصطلاحا:**

أما ما نعنيه بالتعاقب في إطار هذا البحث فهو ذكر حرف من حروف المعاني أو مفردة أو جملة أو شبه جملة في آية وحذفها من آية أخرى مشابهة لها ممّا يوجب اختلافا بين الآيتين، فتختص آية بهذه اللفظة دون الأخرى.

---

(١) ابن منظور/ لسان العرب- مادّة "عقب".

(٢) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج٩، ص٢٩١.

(٣) رواه البخاري ومسلم، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري/ ٢١٢/١١، رقم الباب (٦٦)، رقم الحديث(٦٤٠٨)، وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٧/ ١٤-١٥.

(٤) الراغب الأصفهاني/ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم مادّة عقب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الآيات المتشابهة:**

المقصود بتشابه الآيات التي يتعاقب فيها الذكر والحذف المماثلة من جهة الكيفية بحيث لا يُميَّزُ أحدُ الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى، فيشبه بعضه بعضا فيكون مماثلا له.

وقد ورد في الآية الكريمة ﴿وأُتوا به متشابها﴾؛ (البقرة ٢٥) أي يماثل بعضه بعضا في الكمال والجودة[١] أو يشبه بعضه بعضاً [٢].

والشبه: (بالكسر والتحريك) جمعها أشباه، وشابهه وأشبهه؛ أي ماثله، ومنه "من شابه أباه فما ظلم"، وتشابها؛ أي أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا[٣].

فما نعنيه بالآيات المتشابهة في بحثنا هذا التماثل لدرجة الانعكاس المرآوي للألفاظ.

ولا يندرج في بحثنا كل الآيات المتماثلة؛ فقد تتماثل الآيتان دون أن يتعاقب فيهما ذكر وحذف فيعدّ التماثل تكرارا لا تعاقبا. ٤٩٤٠٣١ .

أما المقصود بالقول : "في آيات القرآن الكريم"، فهو أن الذكر أو الحذف قد يكونان في آية أو جُزْءٍ من آية، فحين أطلق لفظة آية أو آيتين متشابهتين فالمقصود إما آية بكاملها وقع فيها حذف أو ذكر، أو جزء من آية وقع فيه الذكر أوالحذف.

- **تعريف تعاقب الذكر والحذف:**

الحذف مظهر من مظاهر البلاغة العربية، وهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ،

---

(١) الزمخشري /الكشاف ج١ ص١١٤.

(٢) القرطبي /الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٢٤٠.

(٣) ابن منظور/لسان العرب مادة شبه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما وصفه عبد القاهر الجرجاني[١]، ومن بلاغته "أنه ينبّهُ المتلقي للبحث عن المحذوف؛ فيجعله يتجاوب مع ما يقرأ، فترسخ المعلومة في نفسه ويقل نسيانه وهذا مطلب من مطالب الحذف في القرآن الكريم"[٢].

وقد اختلف الباحثون في تقدير المحذوف في بعض المواضع مما يدل على أن الحذف يدخل في باب الاجتهاد في كل زمان ومكان[٣].

أما الحذف الذي يعقب الذكر في الآيات القرآنية المتشابهة فهو حذف قام عليه دليل من بنية معهودة أو نمط معروف أو قرينة قائمة أو معنى في السياق، لا يستقيم إلا مع تقدير المحذوف، أما حذف بعض الحروف كحذف ياء المنقوص مثلا، فليس من بحثنا؛ لأنها ليست حروف معان.

أما ما يندرج في بحثنا من الحذف، فمثل حذف الأداة الداخلة على الجملة أو المفردة، أو حذف عنصر من عناصر الجملة كالمبتدأ أوالخبر أو الفعل أو الفاعل، أو حذف جملة أو شبه جملة أو عدة جمل مما ستوضحه فصول الرسالة إن شاء الله.

وقد يذكر القرآن الكريم بعض الألفاظ التي يجوز حذفها عندما يكون في هذا الذكر تثبيتٌ للمعنى وتوطيدٌ له في النفس، أو بهدف معنى إضافي لا يستفاد إذا حذف، فقصدُ القرآن الكريم ذكر اللفظة لداعي الدلالة، وقد يتعاقب ذكر الاسم نكرة في آية وذكره معرفة في آية أخرى مُشابهةٍ لغايةٍ دلالية مقصودة. وقد يُذكر مؤكّد معنوي في آية ولا يذكر في آية أخرى مشابهةٍ لحكمة أيضا، وقد تذكر جملة في آية ولا تذكر في الأخرى لغاية، مما سنوضحه في فصول بحثنا إن شاء الله.

- **<u>تعريف الزيادةوموقف النحاة والبلاغيين منها:</u>**

تنسب "الزيادة" في القرآن الكريم إلى النحو، والمقصود بالزائد عند النحاة ما زاد على

---

(١) عبد القاهر الجرجاني/دلائل الإعجاز ص١٤٦.

(٢) مصطفى عبد السلام أبو شادي/الحذف البلاغي في القرآن الكريم ص٨٤-٨٦.

(٣) تمام حسان/البيان في روائع القرآن الكريم ص١٥٥-١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصل النمط اللغوي، أي ما ارتأوه زائدا على أصل وضع الجملة؛ فقد وضع النحاة لهذه الجملة أركانا وفضَلات من منصوبات ومجرورات، وحين واجههم في نصوص اللغة والقرآن الكريم ما زاد على هذه المطالب ولم يجدوا له تأويلا إعرابيا اعتبروه زائدا، لكنهم قالوا: إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى،وهو قول صحيح في معظمه، لذا عدّوا الحروف الزائدة للتوكيد، وهذا ما قاله أيضا البلاغيون الذين اعتبروا الزيادة إحدى وسائل التوكيد[١]. ومن هذه الحروف التي قالوا بزيادتها: الباء الواقعة في خبر ما وليس، في قوله تعالى: ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ (الشعراء ١١٤)، وقوله تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت ٤٦)، ومنها حرف "لا" في قوله تعالى: ﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ (الأعراف ١٣)، وزيادة حرف الواو في قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾ (الزمر ٧٣)، واعتبروا الضمير في حالة التوكيد، وهو ما أطلقوا عليه "ضمير الفصل " زائدا. وقد حمل النحاةَ على اعتبار هذه الحروف زائدةً وجودُ آياتٍ أخرى مشابهة تخلو من هذه الحروف، وسنتناول هذه الحروف وما سمّوه "ضمير الفصل" الزائد بالمناقشة والتفصيل في الفصل الأول من البحث.

والجدير بالذكر أن أكثر النحاة القدماء قد مالوا إلى وجود هذه الزوائد، ولكنهم اختلفوا في تسميتها وفائدة زيادتها:

فذكر الزمخشري عدداً من هذه الزوائد وسمّاها "حروف الصلة"[٢]. وذكر ابن يعيش أنَّ الزيادة والإلغاء من عبارات البصريين، والصلة والحشو من عبارات الكوفيين،وشرح ما يعني بالزائد وهو أن يكون دخوله كخروجه من غير إحداث معنى. ويقول: "وقد أنكر بعضهم وجود هذه الأحرف زوائد لغير معنى؛ لأنه إذ ذاك يكون كالعبث". ويوضح معنى قوله "زائد" بأنه ليس المراد إدخاله لغير معنى البتّة، لكنه زيدَ لضربٍ من التأكيد، والتأكيد معنى صحيح[٣].

أما من أطلق عليها "صلة" فلأنها قد وُصِل بها ما قبلها من الكلام، وأكثر ما تتردد

---

(١) انظر الزائد من الحروف في ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ ص٣٠،٣٣، ٣٤، ١٠٦. ج٢ ص٣٥٥. وأحمد أحمد بدوي/بلاغة القرآن الكريم ص٩٥. تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص١٧٥-١٧٧.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٣٤، ج٣ ص٤٣٨.

(٣) ابن يعيش/شرح المفصل ج٨ ص١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصلة في ألفاظ الكوفيين، ومعناه أنه حرف يصل به كلامه، وليس ركنا في الجملة، ولا في استقلال المعنى[١].

والغرض بزيادة هذه الحروف عند سيبويه التأكيد وعلى الرغم من ذلك اعتبرها لغواً "فهي لغو في أنها لم تحدث، إذ جاءت شيئا لم يكن قبل أن تجيء من العمل"[٢].

أما الفراء فذهب إلى أن هذه الحروف معتبرة بمعانيها التي وضعت لها، وإنما كررت تأكيدا؛ فهي عنده من التأكيد اللفظي[٣].

وقيل: "إنما سميت زائدة؛ لأنها "لا يتغير بها أصل المعنى، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته" فكأنها لم تفد شيئا لمّا لمْ تغاير فائدة العارضة الفائدة الحاصلة قبلها، ويلزمهم أن يعدوا أنّ ولام الابتداء وألفاظ التأكيد اسماً كانت أولا زوائد، وعلى الرغم من ذلك لم يقولوا به.

وبعض الزوائد يعمل كالباء ومنْ "الزائدتين"، وبعضها لا يعمل. ومن فوائد الزيادة اللفظية تزيين اللفظ، وكونه بزيادتها أفصح، أو كون الكلمة أو الكلام بسببها مهيأ لاستقامة وزن الشعر أو غيره من الزوائد اللفظية، وقد يتجمع في الحرف الزائد فوائد لفظية ومعنوية[٤].

وسماها بعض النحاة "حروف الصلة" لأنه يتوصل بها إلى زيادة الفصاحة، وهي للتأكيد؛ لأنها بمنزلة نفي النقيض، فقولهم ما جاءني إلا زيد إثبات قد نفي منه النقيض وحقق المجيء لزيد[٤]، وقالوا ما جاءني زيد ولا عمرو فالواو هي التي جمعت بين الثاني والأول في نفي المجيء و"لا" حققت النفي وأكدته ولو أنك أسقطت "لا" لم يختلف المعنى، ولا المحققة تختلف عن "لا" المؤكدة إذ إن "لا" المحققة تفتقر إلى تقديم نفي والصلة لا تفتقر إلى ذلك[٥]. ومثال الأول قوله تعالى: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ (النساء ١٣٧)، فـ"لا" هنا المحققة.

وفي قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ "لا" هنا مؤكدة.

---

(١) السيوطي/الأشباه والنظائر ج٢ ص١٥٩.

(٢) سيبويه / الكتاب ج٢ ص١٣٣.

(٣) الفرّاء /معاني القرآن ج١ ص٢٣٨.

(٤) الرضي الاسترابادي / شرح الكافية ج٢ ص٣٨٤ فائدتها العارضة.

(٥) شرح المفصل / ابن يعيش ج٨ ص١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تنوعت آراء المعاصرين في الزيادة في القرآن الكريم؛ فالدكتورة بنت الشاطيء والدكتور فضل عباس رفضا رفضا قاطعا أن يكون في القرآن الكريم لغوٌ أو زائد، ورفضا أيّ تبرير لهذه الزيادة.

ومال الدكتور فضل عباس إلى حمل الكثير من الحروف التي قيل بزيادتها في آيات كريمة على التضمين، وبذلك يُجرد القرآن الكريم من كل ما لا يليق به. وفي رأيه أن الزيادة حشوٌ ينبغي أن يجل القرآن الكريم عنه، ولكن التضمين بلاغة، كما قرّره الأئمة من أعلام الأمة، ورأى أن ما سموه زائدا أو صلة عندما ننعم النظر فيه لا نتردد ولا نرتاب في أنه لم يكن للتأكيد فحسب أو ليجمل به الإيقاع، وليس ظاهرة أسلوبية فقط، وإنما هو بعد ذلك كله لأمر اقتضاه المعنى وحتمته الحكمة البيانية والحكمة العقلية كذلك؛ فلو ذهب من الكلام لذهب جزء جوهري من المعنى؛ فهي بحق برهان ساطع على إعجاز القرآن الكريم بل من أهم روافد إعجازه، ويخلص إلى أن التضمين أسلوبٌ بياني؛ لأن الكلمة تفيد إلى معناها معنى آخر منسجما مع المعنى الأول، مكمّلا له، ليس بين المعنيين تنافر ولا اختلاف[١]، وإنما ظهرت قضية الزوائد بعد وجود مذاهب النحويين والخلاف المذهبي بين البصريين والكوفيين، وانتقلت إلى المفسرين، فانقسموا بين متشدد على من يدعي زيادة، ومردّدٍ لما قاله النحويون[٢].

وقد ذكر الدكتور أحمد بدوي أن النحاة قد أحصوا ما ورد في القرآن الكريم من كلمات زائدة، وحصروها في خمسة عشر لفظا، يعنون بزيادتها أنهم لا يستطيعون لها توجيها إعرابيا، وإن كانوا يجدونها قد أدت معاني لا تستفاد من الجملة إذا هي حذفت[٣].ورفض زيادة بعض هذه الحروف، إلا أنه قال بزيادة بعض الحروف الأخرى. وخلص إلى النتيجة التالية: "ومن كل ذلك يبدو أن ما يمكن عدُّه زائدا إنما هو حروف نادرة جيء بها لأغراض بلاغية وقتْ بها هذه الحروف الزائدة، ويظهر أن تسميتها "زائدة" معناه أنها لا يرتبط بها حكم إعرابي، لا أنها لم تؤد في الجملة معنى[٤].

---

(١) فضل عباس/لطائف المنان ص٥٢.

(٢) المرجع نفسه ص٦٤

(٣) أحمد أحمد بدوي/من بلاغة القرآن الكريم ص٩٥، ٩٧

(٤) المرجع نفسه ص١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تنوعت آراء المعاصرين في الزيادة في القرآن الكريم؛ فالدكتورة بنت الشاطيء والدكتور فضل عباس رفضا رَفضاً قاطعا أن يكون في القرآن الكريم لغوٌ أو زائد، ورفضَا أيّ تبرير لهذه الزيادة.

ومال الدكتور فضل عباس إلى حمل الكثير من الحروف التي قيل بزيادتها في آيات كريمة على التضمين، وبذلك يُجرد القرآن الكريم من كل ما لا يليق به. وفي رأيه أن الزيادة حشوٌ ينبغي أن يجل القرآن الكريم عنه، ولكن التضمين بلاغة، كما قرّره الأئمة من أعلام الأمة، ورأى أن ما سموه زائدا أو صلة عندما ننعم النظر فيه لا نتردد ولا نرتاب في أنه لم يكن للتأكيد فحسب أو ليجمل به الإيقاع، وليس ظاهرة أسلوبية فقط، وإنما هو بعد ذلك كله لأمر اقتضاه المعنى وحتمته الحكمة البيانية والحكمة العقلية كذلك؛ فلو ذهب من الكلام لذهب جزء جوهري من المعنى؛ فهي بحق برهان ساطع على إعجاز القرآن الكريم بل من أهم روافد إعجازه، ويخلص إلى أن التضمين أسلوبٌ بياني؛ لأن الكلمة تفيد إلى معناها معنى آخر منسجما مع المعنى الأول، مكمّلا له، ليس بين المعنيين تنافر ولا اختلاف[١]، وإنما ظهرت قضية الزوائد بعد وجود مذاهب النحويين والخلاف المذهبي بين البصريين والكوفيين، وانتقلت إلى المفسرين، فانقسموا بين متشدد على من يدعي زيادة، ومردّدٍ لما قاله النحويون[٢].

وقد ذكر الدكتور أحمد بدوي أن النحاة قد أحصوا ما ورد في القرآن الكريم من كلمات زائدة، وحصروها في خمسة عشر لفظا، يعنون بزيادتها أنهم لا يستطيعون لها توجيها إعرابيا، وإن كانوا يجدونها قد أدت معاني لا تستفاد من الجملة إذا هي حذفت[٣].ورفض زيادة بعض هذه الحروف، إلا أنه قال بزيادة بعض الحروف الأخرى. وخلص إلى النتيجة التالية: "ومن كل ذلك يبدو أن ما يمكن عدُّه زائدا إنما هو حروف نادرة جيء بها لأغراض بلاغية وَقتْ بها هذه الحروف الزائدة، ويظهر أن تسميتها "زائدة" معناه أنها لا يرتبط بها حكم إعرابي، لا أنها لم تؤد في الجملة معنى[٤].

---

(١) فضل عباس/لطائف المنان ص٥٢.

(٢) المرجع نفسه ص٦٤

(٣) أحمد أحمد بدوي/من بلاغة القرآن الكريم ص٩٥، ٩٧

(٤) المرجع نفسه ص١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترى الباحثة أن هذه الحروف ذات دلالة والقصد منها إما التوكيد أوالتلوين الأسلوبي. فإنّها تأتي لمعنى دلالي تركيبي يستفاد منه التوكيد أو من لوازم تركيب يرد فيه فعلان أحدهما أسبق من الآخر مثل الحرف (أنْ) في أسلوب "لما الحينية".

وفي استطاعتنا أن ندرك بالتأمل العميق أنَّ هذا المذكور إنما جاء لأمر اقتضاه المعنى وحتمته الحكمة البلاغية، ولو ذهب من الكلام لذهب جزء جوهري من المعنى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول:

* تعاقب الذكر والحذف في حروف المعاني:

وفيه الموضوعات التالية:

- المقصود بحروف المعاني وتعاقب ذكرها وحذفها.
- تعاقب ذكر الحروف التالية وحذفها:
  - حرف همزة الاستفهام
  - إذن
  - أنْ
  - الباء
  - عن
  - الفاء
  - اللام
  - لا
  - منْ
  - النون
  - الهاء
  - الواو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقصود بحروف المعاني

قسم النحاة الحروف إلى قسمين : حروف المعاني وحروف المباني ، وقصدوا بحروف المباني؛ الحروف التي تكوّن بنية الكلمة، والمقصود بالبنية : إطار ذهني للكلمة المفردة وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرد، فالبنية مفهوم صرفي لا ينطبق ولا يدل على معان مفردة، وإنما يدل على معان صرفية ونحوية لا تتحقق إلا من خلال التركيب، وحروف المباني محدود العدد بالنظر إلى صيغ المجرد والمزيد، ونسب إلى كل مبنى من المباني[١] عدد من المعاني الوظيفية، وقد تتعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد.

أما حروف المعاني : فالمقصود بها تلك الحروف التي تؤدي معنى أو عدة معان في غيرها فقط وتعتبر روابط في التركيب يتوقف معناها على ذكر متعلقاتها وإذا أفردت فقد تبخرت معانيها[٢] وقد تناول اللغويون والنحاة هذه الحروف فذكروا فوائدها كحروف الجر أو العطف أو الإضافة وجعلوا لكل حرف معنى أصليا وعدة معان فرعية أخرى[٣].

وقد أدرك بعض النحاة القدماء أهمية السياق في جلاء المعنى اللغوي لهذه الحروف، وإن هذه الدلالة المقصودة لا تتضح إلا في داخله ومن خلال التركيب[٤]. فشرحوا معاني الحروف وعلى كم يتصرف الحرف فيها وذكروا استعمالات الحرف المختلفة في تراكيب مختلفة ، وعن اعمالها واهمالها وجاؤوا بشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر ومن الأقوال المأثورة[٥]. وقد حاول بعض المحدثين الكشف عن بعض أسرار حروف المعاني كالفاء والواو وثم ، وتتبعوها في النظم القرآني وحاولوا الكشف عن وجوه بلاغتها[٦].

---

(١) البيان في روائع القرآن. تمام حسان ص١٧، ص ٢٠.

(٢) د. محمد حسن عواد/ تناوب حروف الجر في لغة القرآن ص٧.

(٣) المصدر نفسه ص٨ ، ص١٠.

(٤) علي الحمد/ مقدمة المحقق على كتاب الزجاجي / حروف المعاني ص٢٣.

(٥) المصدر نفسه ص٢٥، وحروف المعاني ص١.

(٦) د. محمد أمين الخضري/ من أسرار حروف العطف ص٣، عبد القادر حسين فن البلاغة ص٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلتزم هذا الفصل بذكر حروف المعاني التي ذكرت في آية ولم تذكر في آية أخرى مرتبة حسب الحروف الهجائية، بقصد تتبع تعاقب ذكر الحرف وحذفه والمعنى المكتسب من الذكر في موضعه ولماذا لم يذكر في الموضع الآخر، وما هي المعاني التي أكسبها الحرف للسياق وما الرسالة التي يؤديها في موضعه.

تعاقب ذكر همزة الاستفهام وحذفها:

تأتي الهمزة على وجهين:

أحدهما أن تكون حرفا ينادى به القريب، والثاني أن تكون للاستفهام. وليس في التنزيل العزيز نداء بالهمزة؛ إذ اقتصر النداء في القرآن الكريم على الياء وهذه يكثر حذفها[١].

والثاني أن تكون للإستفهام وحقيقته طلب الفهم والألف أصل أدوات الإستفهام ولهذا خصت بأحكام هي : جواز حذفها، وأنها ترد لطلب التصور إذا جاءت مقترنة ب"أم"، ولطلب التصديق إذا جاءت بدون "أم"، وأنها تدخل على الإثبات والنفي ولها تمام التصدير على مذهب سيبويه، والجمهور.

وقد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي إلى معان بلاغية منها التسوية، والإنكار، والتقرير، والتهكم، والتعجب، والأمر، والاستبطاء، مما ورد في آيات القرآن الكريم وتحدث عنه البلاغيون[٢].

وقد تعاقب ذكر همزة الاستفهام وحذفها في آيات متماثلة وخرج الاستفهام فيها عن معناه الأصلي إلى التقريع والتوبيخ والإنكار في قوله تعالى:

﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ (الأعراف ٨٠-٨١).

وقوله تعالى: **﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون، أإنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾** (النمل ٥٤-٥٥).

وقوله تعالى: **﴿ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾** (العنكبوت ٢٨-٢٩).

---

(١) ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ ص١٣.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص١٤ : ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتدبر للآيات الثلاث يلاحظ أن استفهام لوط في قوله لقومه "أتأتون" جاء استفهاما للتقريع والتوبيخ والاستنكار؛ إذ جمع بين همزة الاستفهام والفعل المضارع، ثم فصّل ما استهجنه فبيَّن الفاحشة ووضّحها قائلا: (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء). فجاء بجملة خبرية مؤكدة بإن واللام، ليركز على صدق قوله وعلى توبيخه لمثل هذه الممارسة المستهجنة.

أما في سورة النمل فقد سأل سؤالا توبيخيا استنكاريا: أتأتون؟ وألْحَق به استفهاما آخر يزيد استهجانه واستنكاره "أإنكم لتأتون"، وقد جاء الاستفهام مؤكدا بإنّ واللام أيضا.

وفي سورة العنكبوت: أكد في خطابه لقومه على إتيانهم الفاحشة بجمل خبرية مؤكدة بإن واللام "إنكم لتأتون". ثم عقّب باستفهام استنكاري بالهمزة المتصدرة لجملة مؤكدة بمؤكدين أيضا هما إنّ واللام (أإنكم لتأتون الرجال؟...). فجمع في الآية بين إنّ في جملة خبرية وأإنّ في جملة استفهامية، ولا يخفى زيادة التقريع والتوبيخ بذكر الاستفهام المقترن بأدوات التوكيد.

ويعزو الكرماني ذِكر إنّ مرتين لموافقة أسلوب هذه الآية آخر القصة في قوله تعالى: (إنا منجوك، آية ٣٣)، (إنا منزلون، آية ٣٤)، في حين جاء في الأعراف ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته﴾ (الأعراف٨٣) فالجزاء ﴿إنا منجوك وأهلك﴾ (العنكبوت٣٣) فاقتضى ذلك تكرار التأكيد لمعنى التقريع مرتين إحداهما بالاستفهام الاستنكاري والثاني بإنّ[١].

وترى الباحثة أن قوله تعالى "فأنجيناه" يدل على أن النجاة ذُكِرت في هذا الموضع كخبر قد تمّ ووقع أمّا قوله "إنا منجوك" فهو وَعدٌ بالإنجاء مؤكد لم يحصل بعد لكن سيحصل في المستقبل لا محالة.

حرف إذن:

اختلف النحاة في "إذن" فقال الجمهور هي حرف يعمل في الفعل عمل أرى[٢] وقيل اسم، وحول كونها بسيطة أم مركبة من إذ وتنوين العوض. والصحيح أنها بسيطة لا مركبة، ومعنى إذن الجواب والجزاء، والأكثر أن تكون جوابا لإنْ أو لوْ. قال ابن هشام: حيث جاءت بعدها اللام قُدِّرت قبلها لو إنْ لم تكن ظاهرة[٣].

---

(١) الكرماني/البرهان ص٧٦.

(٢) سيبويه/الكتاب ج١ ص٤١١، ابن هشام المغنى ج١ ص٢٠.

(٣) ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ ص٢١،٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عملها فإنها تنصب بذاتها لا بأن المضمرة بعدها، حيث تنصب الفعل المضارع ضمن شروط هي تصديرها واستقبال الفعل واتصالهما بالقسم أو بلا النافية.

وقال جماعة من النحويين: إذا وقعت "إذن" بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فإذن لا يؤتون الناس نقيرا﴾ (النساء ٥٣) وقرئ شاذا بالنصب[١].

ومما يلفت النظر اجتماع حرفي همزة الاستفهام وإذن في آية، وحذفهما في آية أخرى، مشابهة على النحو التالي:

في سياق قصة موسى وفرعون والسحرة تطالعنا آيتان متشابهتان في حوار بين السحرة وفرعون؛ حين استدعاهم ليتباروا مع موسى.

قال تعالى ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين* قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ (الأعراف١١٣، ١١٤).

وقال تعالى:﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين﴾ (الشعراء٤١، ٤٢).

ولا بد من تدبر الآيتين ، لندرك الحكمة من وجود "إذن" في آية الشعراء، وحذفها من الأعراف.

فقد قال السحرة لفرعون ﴿إن لنا لأجرا﴾ على الإخبار وإثبات الأجر وإيجابه؛ فقد كانوا يتوقعون أجرا عظيما لا بد منه[٢]. وقد وردت كلمة "أجرا" منكرة لتدل على عظم ما يطلبونه وكثرته فأجاب مطمئنا "نعم" والموقف لا يحتمل الإطناب ليقول إجابة عن قولهم: ﴿نعم إن لكم لأجرا﴾ بل عطف عليه ما لم يكونوا يتوقعون من تقريبهم إلى حضرته ورفع منزلتهم؛ فلن يقصر ثوابهم على الأجر وحده؛ بل سيضيف إليه كرامة تقريبهم إليه[٣] ﴿نعم وإنكم لمن المقربين﴾ (الأعراف ١١٤).

أما ما ورد في سورة الشعراء فقد قالوا له مستفسرين عن الجزاء، إن كانوا هم الغالبين: (أإن لنا لأجرا)؟ هل ستعطينا أجرا[٤] ؟

---

(١) ابن هشام / مغني اللبيب ج١ ص٢٢.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٣٤.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص١٣٤.

(٤) المصدر نفسه ج٣ ص٣٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسؤال يقتضي جوابا ويوحي بتوقع ألا يعطوا أو أن يعطوا. وحتى يشجعهم ويطمئنهم قال: "نعم" كما في الآية السابقة، وعطف أيضا ﴿وإنكم إذاً لمن المقربين﴾.

و"إذن" حرف جواب وجزاء وفي اقتران نعم بإذن مزيد من التوكيد والتشجيع على قوله (نعم وإنكم لمن المقربين) فقد ذكرهم بتنفيذ الشرط ليحصلوا على الجزاء والثواب الذي سألوه بالاضافة إلى القربة عنده والزلفى.

وبذلك يكون دخول إذن في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء معا[١]. مما حفز السحرة ليقولوا: ﴿بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ (الشعراء ٤٤) بينما لم تكن هذه إجابتهم في الأعراف[٢].

ومن الجدير بالذكر أن استخدام القرآن الكريم لأسلوب إذن لم يأت مطلقا مع فعل مضارع، فيعمل فيه الحرف "إذن" النصب، على اعتبار أنه حرف ناصب بنفسه وإن احتفظت بمعناها (الجواب والجزاء في كل موضع)[٣]. فقد اشترط النحاة لاعمالها المضارع تصديرها، وأن يكون المضارع للمستقبل، ومتصلا بها غير منفصل بقسم أو بلا النافية[٤]. ولم تكتمل هذه الشروط في أي موضع ذكر فيه الحرف "إذن"؛ فواقع الحال في الأسلوب القرآني يشير إلى عدم استخدام "إذن" على ما اشترطوا خلال واحد وثلاثين موضعا تعددت صور الفعل معها، وتغيرت مواضع الحرف، ليُسبق بالفاء مع الفعل المضارع المنفي ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا﴾ (النساء ٥٣) أو يأتي الحرف مع الفعل الماضي ﴿وإذاً لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما﴾ (النساء ٦٧)، ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلا﴾ (الاسراء ٧٣)، ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ (الاسراء ٤٢)، ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ (الاسراء ٧٥)، ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا﴾ (الاسراء ١٠٠)، أو متوسطا بين مبتدأ وخبر، أو بين اسم إن وخبرها المقترن باللام، أو بين فعل القول ومفعوله.

وهذا يدعونا إلى إعادة النظر في بعض القواعد النحوية التي يجعلها النحاة قوالب متبعة، لكنّها في النحو الوظيفي وفي أسلوب القرآن الكريم المعجز لا تأتي مرة واحدة.

---

(١) الكشاف/الزمخشري ج٣ ص٣٠٣.

(٢) انظر الآيات ١١٥،١١٦، بقية القصة

(٣) ابن هشام/مغني اللبيب ج١ ص٢١. وانظر سيبويه/الكتاب ج١ ص٤٨١،٤٨٣.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في الحرف "أن":

١- ذكرها وآراء النحاة:

شغلت "أنْ" أذهان النحاة والمفسرين والبلاغيين على حد سواء؛ فحاولوا في تأويلها أن يعدلوا بها على وجه التقدير الذي جاءت به لكي تلبي حاجة الصنعة الإعرابية وتخضع لقواعد المنطق البلاغي والنحوي، أو ليستقيم تفسير آيتين متشابهتين: إحداهما فيها أنْ والثانية خلوٌ منها، فقدروا "أن" على أنها مضمرة أو محذوفة في أحد المواضع القرآنية، حين لم توجد في آية ووجدت في آية أخرى، واعتبروها في موضع آخر زائدة رغم وجودها؛ ليستقيم نسقها مع نسق آية أخرى مشابهة لم ترد "أن" فيها. ومن المواضع التي اعتبروا فيها "أن" زائدة في أسلوب لما الحينية.

وتجدر الإشارة إلى أن النحاة لا يعنون بزيادتها أنها تأتي عبثا، بل إنهم لم يجدوا لها وجها إعرابيا، لكنهم أشاروا إلى معنى مكتسب اختلفوا في تقديره أيضا.

وقد أحصيت ما جاء في القرآن الكريم من أسلوب لما الحينية فوجدتها قد ذكرت مائة وخمسين مرة دون أن تقترن بأن.

بينما وردت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم مقترنة بأن (لما أن).

أما الآيات الثلاث فهي قوله تعالى:

١- ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا﴾ (يوسف ٩٦).

٢- ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس﴾ (القصص ١٩).

٣- ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن﴾ (العنكبوت ٣٣).

وقد وردت آية مشابهة لآية العنكبوت ٣٣ وهي الآية ٧٧ من سورة هود، ولكنها تخلو من "أنْ". في قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم﴾ (هود ٧٧).

ولعل هذا الإحصاء لأسلوب لما الحينية في القرآن الكريم يدل على ظاهرة، وهذه الظاهرة تعني أن مجيء لمّا غالبا ما يكون غير مقترن "بأن"، لكن إمكانية اقترانها بأنْ قائمة بدليل تعاقب ذكرها وحذفها في الآيتين المتشابهتين السالفتين، وبدليل وجود لما مقترنة بأن في آيتي "القصص" و"يوسف".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وجد النحاة والمفسرون والبلاغيون أنفسهم أمام قضية حاولوا إيجاد تخريج لها، أو إيجاد ملحظ بياني يميز الأسلوب الأول (لما) والثاني (لما أن) في محاولة توفيقية بين الآيتين المتشابهتين والأسلوبين المطردين، وإيجاد معنى مكتسب لذكر "أنْ" بعد "لمّا".

فقال ابن هشام بزيادة "أنْ" للتوكيد كسائر الزوائد[١] في أسلوب لما التوقيتية.

وتابعه الرأي أبو حيان الأندلسي فرأى أن زيادتها بعد لما للتوكيد قياس مطرد[٢].

بينما حمل ابن الأثير في المثل السائر على النحاة، واتهمهم بأنهم لا يعرفون الدقائق والرموز، ولا تؤخذ منهم لأنها ليست من شأنهم، وقال بأن وجود "أن" بعد لما يعني مضي مدة بعيدة وأمد متطاول بين الفعل الذي بعد لما وجوابه.

ويعزّز رأيه بآية يوسف "فلما أن جاء البشير" إذ أن بين مجيء البشير إلى أبي يوسف، وإلقاء القميص وبين إلقاء يوسف في الجب ابطاء بعيداً، وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة، ولو لم يكن ثمّة مدة بعيدة وأمد متطاول لما جيء بأن بل كانت: فلما جاء البشير ألقاه على وجهه[٣].

وتصدى له الصلاح الصفدي؛ فاتهمه بأن إعجابه بعقله جنى عليه، فتصور الخطأ صوابا فأخذ يتبجح أنه ظفر بما لم يكن عند النحاة، وفند الصلاح رأي ابن الأثير بأن الفاء جاءت عقيب قوله ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ و(يوسف ٩٣)، وقوله: ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا﴾ (يوسف ٩٦) ولم يأت عقيب قوله: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب﴾ (يوسف ١٥).

ويخلص إلى أنه لا تراخي بين البعدين ولا مدة مديدة، ولهذا قال النحاة انها هنا زائدة[٤].

والزمخشري على هذا الرأي، اعتبر "أنْ" صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان ، فقال في تفسير آية العنكبوت ﴿فلما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم﴾؛ أي لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه[٥]. والكرماني أيضا على هذا الرأي حيث قال: إنّ "لما" تقتضي جوابا وإذا اتصل به (أن) دل على أن الجواب وقع في

---

(١) ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ ص٣٣.

(٢) أبو حيان/النهر الماد مج٣ ص٣٤١.

(٣) ابن الأثير/المثل السائر ج٢ ص٨٨.

(٤) انظر التفصيلات في محيي الدين الدرويش/اعراب القرآن الكريم. مج٥ ج٤ ص٤٢٦ ص٤٠٦.

(٥) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٤٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحال من غير تراخ وهو قوله (سيء بهم وضاق بهم ذرعا). أما ما ورد في سورة هود (فلما جاءت رسلنا لوطا) فقد اتصل به كلام بعد كلام إلى قوله ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ (هود ٨١). فلما طال لم يحسن دخول "أنْ"(١). ويخلص إلى أن طول الكلام قرينة على أنّ الجواب لم يقع في الحال بدليل قوله ﴿إن موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب﴾ (هود ٨١). أما في العنكبوت فإنّ فيها ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا﴾ (العنكبوت ٣٤) وليس فيها ما يدل على إمهال(٢).

وقد سبقه إلى هذا الرأي الخطيب الإسكافي، الذي أتى بشواهد من الشعر فيها "لما أن" ، وجوابها بعدها لم يفصلها عنه فاصل زماني(٣).

وخلاصة ما هدى إليه الاستقراء للآيات المقترنة بأنْ، وغير المقترنة بها واستقراء آراء النحويين حول هذه القضية: "لمّا" الحينية والتوقيتية رابطة، تحمل معنى المفاجأة، وتربط فعلين بينهما علاقةُ بناء أحدِهما على الآخر، ويجوز أن تقترن لما بأن؛ فإذا اقترنت، فاحتمال الدلالة: دون تراخ، فإذا لم تقترن فهناك تراخ. ولا توافق الباحثة على اعتبار (أن) زائدة، بل هي عنصر تركيبي ذو وظيفة معنوية محددة ، فحرف أنْ بعد لمّا الحينية مؤذن بأن النتائج التي يتشوق إليها الإنسان تُذكر مباشرة دون تريث أو تمهل .

ولا توافق على زيادتها للتوكيد لأنها تفصل بين عنصرين متضامَين هما المضاف والمضاف إليه، ومعلوم أنه لا يفصل بينهما إلا بالجار والمجرور وبالقسم فقط .

والمعنى المستفاد من وجود أنْ، فتستخرجه من قرائن سياق الآيات ما سبقها وما لحقها. وفي ضوء تاريخ النزول والمكي والمدني من الآيات، فالآية من سورة "هود" أسبق من آية العنكبوت.

فقد ورد في سورة هود من التفصيلات الدقيقة ابتداء من آية ٦٩ هود في قوله تعالى ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى (٧٤) إن إبراهيم لحليم أواه منيب (٧٥)﴾ إلى قوله ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾. ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ (٧٦). ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق

---

(١) الكرماني/البرهان ص١٥٣.

(٢) المصدر نفسه ص١٥٣.

(٣) انظر الإسكافي/درة التأويل ص٣٦١. وقد ذكر د. فضل عباس هذه المسألة في كتابه "لطائف المنان" ص٢٩٥، وأكد أن (أنْ) ليست زائدة وذكر قول الزمخشري ووافق عليه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب﴾ (٧٧). وفي الآية ٨١ ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلى امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ (٨١ هود)؛ فالملاحظ التركيز على الأحداث وسردها بدقة وتفصيل. أما في سورة "العنكبوت" فسياق الآية يوحي باختفاء التفصيلات التي سبقت في هود والمسارعة في ذكر الإهلاك. قال تعالى:

﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين﴾ (٣٣ العنكبوت) ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ (٣٤).

فطول الكلام في "هود" يدل على أن الجواب لم يقع في الحال؛ فلم توجد "أنْ" وعدم التراخي والمهلة في آية العنكبوت سوَّغ ذِكْرَها[1].

وهكذا نخلص إلى أنه لا يستوي البيان بذكر أنْ والاستغناء عنها في أسلوب لمّا الحينية ، وعلى ذلك فإنها ليست زائدة.

حرف الباء:

تعاقب ذكره وحذفه في آيات القرآن الكريم:

ذكر الباء في موضع يمكن الاستغناء عنه قضية قديمة حديثة شغلت القدماء، كما شغلت المحدثين؛ إذ لفت نظرهم آيات متشابهة في القرآن الكريم احتوت إحداها على الباء مكررة بينما حذفت من الأخرى كما في الآيات التالية:

﴿وإن كذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير﴾ (فاطر ٢٥).

﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾ (آل عمران ١٨٤).

﴿كفروا بالله وبرسوله﴾ في آية (التوبة ٥٤)

و﴿كفروا بالله ورسوله﴾ في آية (التوبة ٨٠)

و﴿كفروا بالله ورسوله﴾ في آية (التوبة ٨٤)

﴿لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ (النساء ٣٨)

﴿لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ (التوبة ٢٩)

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ (البقرة ٨)

---

(١) الكرماني / البرهان ص ١٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر﴾ (النساء ٣٨)

وتجمع الآيات السابقة ظاهرة واحدة هي حذف العامل؛ وهو هنا حرف الجر "الباء" مع وجود حرف العطف "الواو" في الآيات (آل عمران ١٨٤)، (التوبة ٨٠،٨٤)، و(النساء ٣٩). بينما يتكرر ذكر العامل وهو حرف الجر "الباء" معحرف العطف "الواو" في الآيات (فاطر ٢٥)،(التوبة ٢٩،٥٤)، و(النساء ٣٨)، و(البقرة ٨).

ويميل النحويون والبلاغيون قديما وحديثا، إلى أن تكرار العامل مع حرف العطف غالبا ما يكون للتوكيد، ويدل على ذلك أسلوب الآية (فاطر ٢٥)؛ فقد كذب الذين من قبلهم رغم مجيء الرسل بالبينات، وبالزبر، وبالكتاب المنير؛ فتكرار الباء دليل على إصرار هؤلاء على موقفهم المكذب رغم تعدد البينات والكتب ومن جهة أخرى فإن تكرار الباء يوحي بتعدد وجهة التكذيب.

أما لماذا لم تذكر الباء في الآية المشابهة؛ فلأنها، أولا: على الأصل في أسلوب العطف من جهة؛ ولأن أسلوب الآية قائم على الاختصار بالبناء للمجهول، وكان الهدف من الأية التركيز على فكرة تكذيب الرسل رغم ما جاءوا به من بينات[١]. ولعل الموقف الذي احتاج إلى تكرار "الباء" للتوكيد ولم يَحتجْهُ في الآية المشابهة ما ورد في سورة البقرة الآية (٨)؛ فالآية تدور حول ادعاء المنافقين أنهم آمنوا بالله وباليوم الآخر، فأكدوا كلامهم نفيا للريبة وإبعادا للتهمة، فكانوا في ذلك كما قيل: "يكاد المريب أن يقول خذوني"، فنفى الله الإيمان عنهم بزيادة "الباء" أيضا بأسلوب مؤكد مثل أسلوبهم فقال: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ فكشف ادعاءهم وبين نفاقهم، وفضح أمرهم.

أما الآية المشابهة ففيها استفهام استنكاري، ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر﴾ والموقف لا يستدعي هذه الباء مثلما استدعتها دلالة الآية السابقة[٢].

ويكثر تكرار العامل (حرف الجر) مع حرف العطف في أسلوب النفي، كما يلاحظ في سورة التوبة (٢٩). ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾.

فهؤلاء يستحقون القتال؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فهم مصرون على الشرك والتكذيب، فيستحقون الجزاء بقتال لا تهاون فيه[٣].

كما تحدث النحويون والبلاغيون طويلا عن زيادة الباء ومواضعها[٤]. ومن هذه المواضع ذكرها مع خبر ليس وما العاملة عملها.

---

(١) البرهان/ الكرماني ص٤٧.

(٢) البرهان/الكرماني ص٢١.

(٣) الإسكافي/ درة التنزيل ص١٩٧.

(٤) انظر ابن هشام/مغني اللبيب ج١ ص٩١. مواقع زيادة الباء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يجد أحد من النحاة أو البلاغيين القدماء وبعض المحدثين[١] غضاضة في عدّ "الباء" زائدة في هذين الموضعين بل توسع البلاغيون في تحديد فوائد الباء الزائدة في خبر ما؛ كالمصاحبة في قوله ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ فقد نفت الباء هذه كل صلة تربط بين الله سبحانه والغفلة "فلا صحبة بينهما ولا تلاق"، والاستفهام الانكاري، والتوبيخ والتقرير، والاعتراف بعد التدبر ﴿ألست بربكم؟ قالوا بلى﴾.

أما عائشة عبد الرحمن فقد تفردت برفض أن تكون "الباء" زائدة، كما يقول النحاة والمفسرون في خبر "ما وليس"، رغم إدراكها المقصود بقولهم: زائدة للتوكيد، وقد عللت رفضها لزيادة "الباء" بأنها قد أحصت مواضع مجيء الباء في خبر ليس الصريح المفرد ثلاثا وعشرين آية، في مقابل ثلاث آيات جاء فيها خبر ليس غير مقترن "بالباء" وهي: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ (النساء ٩٤)، و﴿الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم﴾ (هود ٨)، و﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾ (الرعد ٤٣). كما استقصت مواضع ما وخبرها الصريح المفرد، فوجدته يأتي غالبا مقترنا بالباء (المقول بزيادتها) إلا أن تتلى ما النافية بالفعل "كان" فينصب به الخبر صريحا، غير مقترن بالباء. أما في غير أسلوب "ما كان" فالأكثر في البيان القرآني أن يقترن خبر ما الصريح بالباء، لم يتخلف إلا في آية المجادلة ﴿ما هن أمهاتهم﴾ (المجادلة ٢) وآية ﴿ما هذا بشرا﴾ (يوسف ٣١).

وخلصت أمام هذه الظاهرة الأسلوبية من غلبة اقتران خبر ما وليس بالباء إلى أنها ليست زائدة، وعللّتْ ذلك بأن مقتضى القول بزيادتها: إما الاستغناء عنها، أو إطّراحها؛ وهو ما لا يؤنس إليه البيان القرآني[٢].

ويبدو أن دلالة الزيادة عندها إمكانية الاستغناء عنها أو إطّراحها، وهذا ما لم يذهب إليه النحاة والمفسرون والبلاغيون، كما أشرنا غير مرة.

بل إن زيادتها قد أكسبت المعنى بلاغة وزيادة في الدلالة، وإن لم يجدوا لها تأويلا إعرابيا؛ لأنها ليست عنصرا أساسيا من عناصر الجملة؛ فقد ذهبوا إلى أن "الباء" زائدة للتوكيد، كما يقول الزمخشري، مثلا[٣].

---

(١) انظر أحمد أحمد بدوي/من بلاغة القرآن الكريم ص١٥٣، ١٦٤، ١٦٥. ود. تمام حسان/البيان في روائع القرآن الكريم ص٥٤،١٧٢،٣٨٥. ود. عبد الفتاح الحموز/التأويل النحوي في القرآن الكريم ج١ ص١٣٦٤،١٣٦٥.

(٢) عائشة عبد الرحمن/الاعجاز القرآني ص١٧٥.

(٣) الزمخشري/الكشاف ج٤ ص٧٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصرّحت، بعد لجوئها إلى استقراء الآيات التي اقترن فيها الخبر بالباء مقارنة بالتي استُغني فيها عن هذه "الباء"، بأن الاستقراء قد يهديها إلى ملاحظة بيانية توصلها إلى سر هذه "الباء" إذا لزمت خبر "ما" أو "ليس".

وأوصلها الاستقراء والدراسة إلى أن الباء في هذين الموضعين لا تؤكد النفي بل تُنقضه وتردّه، كما في قوله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده؟﴾ (الزمر ٣٦) فوجود الباء نقضت النفي، وجعلته تقريرا وإثباتا[١].

كما استنتجت أن كل المواضع التي وردت فيها الباء، كانت مواضع جحد وإنكار تقريرا لهذا النفي، ولعل ما أغنى عنها في آيتي المجادلة ويوسف التقدير المستفاد من القصر بعدهما: ﴿إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾ (المجادلة ٢)، كما استنتجت أن "ما كان" لا يقترن خبرها بالباء؛ لأن النفي بهذا الأسلوب أصلا يفيد الجحد.

كما فرّقت بين الجمل الخبرية والجمل الاستفهامية المقترن جوابها "بالباء"، وتوصلت إلى أنه حيث يجيء النفي بليس في الجمل الخبرية في مقام الجحد والإنكار، اقترن الخبر بالباء، وحددت الآيات: (البقرة ٢٦٧)، (آل عمران ١٨٢)، (المائدة ١٣٦)، (الانعام ٦٦، ٨٩، ١٣٢)، (والمجادلة ١٠). وقالت: "لا يستوي البيان بهذه الباء والاستغناء عنها في خبر ليس بأسلوب النفي البسيط حين يكون القائل غير مستيقن مما ينفيه، كقوله تعالى: "ويقول الذين كفروا لست مرسلا" أو يكون المقام في حاجة إلى التأكد قبل نفي الخبر، كقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ (النساء ٩٤)"، أو يغني عن تقرير النفي بالباء، تعقيب ينقل الجملة الخبرية من الأخبار عن غيب لم يقع إلى ماض، قد تقرر[٢] وكان كآية هود ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه؟ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (هود ٨).

وهذه الآيات الثلاث فقط هي التي لم يقترن خبر ليس فيها بالباء في القرآن الكريم في الجمل الخبرية المنفية.

أما الجمل الاستفهامية فيطّرد مجيء الخبر فيها مقترنا بالباء، وما من آية منها يمكن أن تحتمل النفي، وتأكيد النفي، بل النفي عنها جميعا لتصير إلى إثبات مؤكد، وتقرير ملزم، لدرجة يجاب عنها بلفظة نفي المختص بإيجاب ما يستفهم عنه منفيا .

وتأتي بالآيات (الانعام ٣، ٥٣)، (الأعراف ١٧٢)، (هود ٨١)، وتقرر "أن هذه الآيات جميعا قد انتفى فيها النفي، وخرج إلى التقرير البات، والإثبات الحاسم، ولم

---

(١) عائشة عبد الرحمن/الاعجاز القرآني ص٧٦. (٢) عائشة عبد الرحمن/الاعجاز القرآني ص١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكتسب هذه الدلالة إلا بالباء، لا بخروج الاستفهام عن معناه الأصلي، كما قال البلاغيون[١]. فللباء أثر في تحديد الدلالة البيانية، "فلو قلنا (مثلا) ألست غافلا؟ أليس الصبح قريبا؟ احتمل الاستفهام معناه الأصلي، أو الخروج إلى التوبيخ، أو السخرية، ولا شيء من هذه المعاني في الآيات التي احتوت الاستفهام المقترن فيه خبر ليس بالباء، وإنما هي للتقرير والإثبات.

وهذا سر الباء التي قالوا بزيادتها على الخبر لمعنى التأكيد، ثم جروا على ابطال عملها أصالة في الخبر ، وأعربوه منصوبا محلا.

وفي رأيها أن القول بزيادة الباء مما يجفوه حس العربية المرهف.

وعلى الرغم من ذلك فإن الدكتورة عائشة لم تجد في هذه الباء ما تقوله، غير ما قررّه النحاة لكي تبقى حرفا أصليا غير زائد وتظلّ على أصيل معناها في الإلصاق، وأن تعمل عملها المباشر، لكنها قالت: "غير أني لا أشك في أننا لو رجعنا النظر في سائر المواضع التي قال النحاة فيها أن الباء تأتي زائدة، لهدانا الاستقراء إلى ملاحظة بيانيه ذات بال"[٢].

وللباحثة موقف من رأي الدكتورة عائشة "أنه لا يأتي خبر ما –إذا اقترنت بكان– مقترنا بالباء"، لأنها تفيد الجحد أصالة شأنها شأن (ما كان الله ليعذبهم)، فلا تأتي "ما كان الله بمعذبهم" بل جاءت في القرآن الكريم: (ما كان إبراهيم يهوديا) وتصل إلى قرار أن الجمل الخبرية المنفية "بما كان" لا يقترن خبرها بالباء؛ لعدم وجود آية في القرآن الكريم شاهدة على ذلك.

وترى الباحثة انه ليس شرطا أن يحتوي القرآن الكريم على آية يقترن فيها خبر كان المنفية بالباء، للدلالة على صحة قاعدتها.

ولا يعني عدم ورود أسلوب من الأساليب في القرآن الكريم عدم وجوده في لغة العرب وأساليبهم؛ لأن أحدا لم يقل إن القرآن الكريم اشتمل على كل لغات العرب وأساليبهم.

وقد يتفرد القرآن الكريم بشاهد يَحُار فيه النحاة والبلاغيون، فيهرعون إلى التأويل حتى لا يخرج شاهد عن قواعدهم التي استقامت واطردت من وجهة نظرهم.

---

(١) عائشة عبد الرحمن/الإعجاز القرآني ص١٧٦.

(٢) المصدر نفسه ص١٧٧، ويميل الدكتور عبد الفتاح الحموز إلى اعتبار الباء غير زائدة لهجر التأويل الذي يوجب أن يكون الخبر مجرورا لفظا منصوبا محلا. انظر التأويل النحوي ج٢ ص١٢٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فماذا قالوا عن وجود الباء في خبر إن بعد أن تحدثوا عن زيادة هذه الباء في خبر "ليس" و"ما"؟

في قوله تعالى: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى؟ بلى إنه على كل شيء قدير﴾ (الاحقاف ٣٣).

وفي قوله تعالى في آية مشابهة لها في الاسراء: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم؟﴾ (الاسراء ٩٩).

فالملاحظ أن هذه الآية (الاسراء ٩٩)، لم يقترن فيها خبر "أنّ" بالباء ولم يعقب على الاستفهام بـ (بلى)، فما سر هذه الباء التي حكم النحاة أيضا بزيادتها للتوكيد، فجعلوا لفظ "قادر" مجرورا لفظا محله الرفع؛ على أنه خبر "أن"؟

وكذلك وردت "قادر" بدون "الباء" في سورة الاسراء، وجوزوا هذا من باب التأويل لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في خبرها.

قال الزجاج: لو قلت: ما ظننت أن زيدا بقائم جاز؛ ففي قوله تعالى: ﴿أولم يروا أن الله ... بقادر﴾ كأنه قيل أليس الله بقادر؟ ألا ترى إلى وقوع "بلى" مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم ؟[1].

والرأي في هذه القضية بالاستنارة بما توصلت إليه الدكتورة عائشة في قضية اقتران خبر "ليس" بالباء هو على النحو التالي: الآية التي اقترنت بالباء وكانت استفهامية منفية، تعدت دلالة النفي وصارت إثباتا مؤكدا وتقريرا ملزما.

وقد بلغ التقرير بالإثبات منها أن الله ،سبحانه، وهو القادر على أن يخلق السماوات والأرض دون أن يعجزه ذلك، قادر فِعْلا على أن يحيي الموتى.

والدليل على هذا التقرير قوله سبحانه "بلى"، بينما الآية التي خلت من الباء خرجت بمعناها إلى التوبيخ لأناس لم يستفيدوا من مشاهداتهم، ولم يقنعهم الدليل العقلي على أن من يقدر على خلق السماوات والأرض قادر على خلق مثلهم من البشر.

---

(١) الزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٣٠٥ وج٣ ص٥٢٨. القرطبي/الجامع ج١٦ ص٢١٩. ابن الأنباري/البيان ج٢ ص٣٧٣. أبو حيان/البحر المحيط ج٨ ص٦٨. الفراء/معاني القرآن الكريم ج٣ ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد أنكر هؤلاء البعث والنشور وقالوا: ﴿أئذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا؟﴾. (الإسراء ٤٩) فاستحقوا أن يحشروا يوم القيامة عُمياً وبُكماً وصُمّاً، مأواهم جهنم انظر[١] (الاسراء ٩٧).

ولعل السياق في آية الاحقاف يعزز رأينا، فقد سبقت الآية بدعوة من جماعة الجن التي استمعت إلى القرآن الكريم، فهُرعوا إلى قومهم من الجن يدعونهم إلى عبادة الله القادر ﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء﴾ (الأحقاف ٣٢).

ثم يأتون بالدليل على قدرة الله واستحقاقه العبادة: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى. بلى إنه على كل شيء قدير﴾ (الأحقاف ٣٣).

فهي دعوة إلى استخدام العقل والتدبر في مخلوقات الله، للتوصل إلى الحقيقة الثابتة والتقرير بأنّ الله هو وحده القادر على البعث والإحياء؛ لأنه الخالق أصلا، فجاء الخبر مقترنا بالباء[٢].

وعلى ذلك نستطيع أن نقول: إذا خرج أسلوب "أنّ" إلى الاستفهام المنفي، واقترن خبره بالباء كان للتقرير والاثبات، دون الحاجة إلى التأويل بقولنا: "أوليس" بدلا "من أولم يروا".

ومما خرج على قواعد النحاة اقتران اسم ليس بالباء، فاعتبرها ابن هشام في المغني من الغريب، كقراءة بعضهم للآية ﴿ليس البِّر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ (البقرة ١٨٩) "بنصب البرّ" على أنه خبرٌ مقدمٌ، ل(ليس) والمصدر المؤول (أن تولوا) المقترن "بالباء" وهي اسم مؤخر ل(ليس)، وأتى بشاهد من الشعر:

أليس عجيبا بأن الفتى يصاب ببعض الذي في يديه[٣].

والجدير بالذكر أنه قد وردت آية مشابهة لهذه الآية هي: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم ...﴾ (البقرة ١٧٧) ولكنها خلتْ من الباء، "وقرأ حمزة وحفص "البرَّ" بالنصب على أنها خبر مقدم لـ (ليس) بينما مال جماعة إلى أن يكون البرُّ بالرفع، على أنه اسم ل(ليس) مستدلين باقتران "أنْ" "بالباء" في قوله "ليس البر بأن" على اعتبارها خبر ليس" [٤] وهم بذلك يحافظون على استقامة القاعدة واطّرادها، حيث يقترن خبر ليس "بالباء" في مواقع النفي (غير الموجب) ويستبعدون ما خرج عن هذه القاعدة، وما استغربوه من اقتران اسم ليس

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٦٦٨.

(٢) ابن هشام/مغني اللبيب ج١ ص١١٠./انظر زيادة الباء في خبر ليس. والزمخشري/الكشاف ج٤ ص٣٠٥.

(٣) من شواهد المغني المصدر نفسه/ج١ ص١١٠. (٤) القرطبي/ الجامع ج٢ ص٢٣٨، ص٢٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"بالباء"، وإن كنت أميل إلى التفرقة بين الآيتين؛ فأعتبر الباء أصلية في آية: (ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أي بدخولكم؛ فقد توحي بالسبب في اعتقادهم، أما الثانية: (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فإما أنْ تُعتبر بدون باء، كما هي أو يُقدر محذوفٌ على اعتبار (ليس البر بأن) ولكنّ هذه الباء أيضا ليست زائدة، وإنما مقدَّرة، كما هي الحال في المنصوب على نزع الخافض، بدليل وجودها في الآية الثانية[١].

تعاقب ذكر الباء وحذفها بعد "أفعل":

ذهب فريق من النحاة ومنهم الفارسي إلى أنّ (أفعَل) لا ينصب الظاهر، إذا أريد به التفضيل؛ لأنه ضعيف لا يعمل عمل فعله؛ إذ أنّ فيه معنى الفعل، والأصل في معنى الفعل ألاّ يعمل في المفعول به فتزاد بعده الباء تقوية لعمله.

ومن يتتبع الفعل أعلم في القرآن الكريم يجد العديد من الآيات التي ورد فيها (أفعل) قد أتى بمعنى الصفة المشبهة لغير تفضيل أي بمعنى "عالم" أو "عليم"، وقد ذُكرت بعده الباء على النحو التالي ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ (آل عمران ٣٦)، ﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ (آل عمران ١٦٧)، ﴿الله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ (المائدة ٦١)، ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾(الاحقاف ٨)،﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ (النجم ٣٢).

لكن هذه القاعدة رغم اطرادها في الآيات السابقة على اعتبار أنها الأصل، تقابل العديد من الآيات التي تأتي فيها (أعلم) دون أن يقترن ما بعدها بالباء.

والطريف أن تأتي الآية وقد جمعت بين ذكر هذه الباء وحذفها على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (النحل ١٢٥).

وفي قوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (الأنعام ١٢٥) بدون الباء.

وقوله: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ (النجم ٣٠).

وقوله: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (القلم ٧).

وقد احتدم الخلاف حول هذه القضية، وذهب النحاة في تأويل الآيات المتماثلة مذاهب متعددة وكذلك المفسرون[٢].

---

(١) انظر تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص٣٨٣/المنصوب على نزع الخافض.

(٢) انظر تفصيلات أوجه الإعراب والتأويل في الألوسي ج٤: تفسير سورة الأنعام ص٢٥٨ الآية ١١٧. ود. عبد الفتاح الحموز/التأويل النحوي ج١ ص٥٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فذهب البعض إلى تقدير الباء المحذوفة "الله أعلم بمن" قياسا على الآية التي اقترنت فيها بالباء، حتى تطابق طرف الآية الثاني (وهو أعلم بالمهتدين) أو (أعلم بمن اهتدى)[١].

وذهب آخرون إلى جواز نصب الاسم بعد (أعلم) إلا أن الباء تأتي للتقوية فقط[٢].

وذهب غيرهم إلى اعتبار "مَنْ" مفعولا به لفعل محذوف مفهوم من السياق تقديره (ليعلم)، أي يعلم من يضل الله تعالى[٣].

ولجأ بعض النحاة إلى اعتبار "مَنْ" اسم استفهام مبتدأ خبره الجملة الفعلية والجملة معلّق عنها الفعل المقدر[٤].

وتعسف أحدهم في تأويل الآية على قراءة من (يُضل) (بضم الياء) على اعتبار "مَنْ" مفعولاً به لفعل محذوف؛ مقدر أمّا فاعل (يضل) فهو ضمير مستتر راجع إلى "مَنْ" ومفعوله محذوف أي: يعلمُ من يُضِلُّ الناسَ[٥].

وعلل فريق مجيء (أفعل) مع لفظ المستقبل كما في الآية: (أعلم من يضل) وعدم مجيئه مع الفعل الماضي بدون (باء)، يعني (أعلم من ضل) بأن من أساليب العرب الممكنة فلان أعلمُ مَنْ دبَّ، ودرج، وأحسنُ مَنْ قامَ وقعَد، وأفضلُ مَنْ حجَّ واعتمر؛ فإذا حذفت الباء التبس اللفظ بالإضافة ، "أعلم من ضل" بالقياس على: أعلمُ من دبَّ ودرجَ أي "أعلم الضالين"؛ لذا جاءت الباء لتقطع الشك في توقع مثل هذا المعنى، أما (أعلم من يضل) فلا توحي بهذا المعنى[٦]، والمتدبر لدلالة "أعلم" في هذه المواضع يدرك أنها لم تأت للتفصيل وإنما جاءت بمعنى الصفة المشبهة كما في الآيتين: ﴿أعلم من يضل﴾ (الأنعام ١١٧) أي عليم و﴿أعلم بمن ضل﴾ (النجم ٣٠)والرأي أنه لا حاجة إلى تقدير المحذوف على الإطلاق، إذ إنَّ الباء بعد (أعلم) ضرورية في مكانها من الآية، لا لأن "أعلم" ضعيف بحاجة إلى تقوية بالباء بل لضرورة الدلالة ودواعيها،وليس لها داع في

---

(١) أبو حيان/البحر المحيط ج٤ ص٢١٠.

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص٢١٠.

(٣) د. عبد الفتاح الحموز/التأويل النحوي ج١ ص٥٥٨.

(٤) المرجع نفسه ج١ ص٥٥٩.

(٥) الألوسي/ روح المعاني: ج٤ ص٢٥٨ تفسير سورة الأنعام آية ١١٧

(٦) الكرماني/البرهان ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآية الثانية، فلم تذكر، وأن كلا منهما يكمل الآخر؛ فالتركيب القرآني في هذه الآية لا يقف عند حد الحرف، بل إن اختلاف أسلوب التعبير من حالة المستقبل إلى حالة الماضي، يؤدي إلى اختلاف الدلالة[١].

وبالعودة إلى الآيات نفسها نجد آية (الأنعام) تتحدث عن أمور مستقبلة؛ أي أن الله سبحانه أعلم من سيضل عن سبيله، ومن سيحارب الله بدليل الآية السابقة: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ (الأنعام ١١٦)؛ فالأفعال (يضلوك ويتبعون ويخرصون) أفعال كلها تدل على الحاضر والمستقبل، فناسبها أن يكون الفعل معها مضارعا (أعلم من يضل عن سبيله) دون أن ينصرف الذهن إلى أي معنى آخر.

أما الآيات الأخرى فهي تتحدث عن أشياء مضت وحدثت بالفعل، وعرف أصحابها؛ يدل على ذلك قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾. فيناسبها أن يكون الفعل ماضيا بدليل "اهتدى" أيضا.

وإذا أخذنا بمبدأ أن القرآن الكريم يكمل بعضه بعضا فإن هناك علاقة حميمة بين الآيتين؛ لأن كلا منهما يكمل الدلالة. ﴿فإن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ تكملها آية ﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله﴾ فهو عَلاّم الغيوب، يعلم مَنْ ضلَّ في الماضي، ومَنْ سيضلُّ في المستقبل؛ فهو يعلم مسبقا من سيضل، ومن سيكون من المهتدين.

والجدير بالذكر أن الدكتورتمام حسان يرى ضرورة تقدير حرف جر محذوف بعد (أعلم)، سواء أكان هذا الفعل ماضيا أم للمستقبل، (أعلم من يضل) ويقول: أن دليل الحذف في كل ذلك ماثل لا يخفى، وهو قوله تعالى: (أعلم بمن اهتدى) (وأعلم بالمهتدين)، والدليل الآخر تركيبي وهو أنّ أفعل التفضيل لا ينصب مفعولا به، ومن ثم تلزم الباء في هذا الموضع، وتُقدَّرُ إذا حُذِفت[٢].

وما قيل في هذه الآيات يقال في آيتين متشابهتين أخريين هما:

قوله تعالى: ﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ (القصص ٣٧).

وقوله تعالى: ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده﴾ (القصص ٨٥).

---

(١) عودة أبو عودة/شواهد من الإعجاز القرآني ص٣٠٥-٣٠٧.

(٢) د. تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى ذلك فقد قدّروا باء محذوفة في آية "القصص"، بدليل الآية السابقة على القياس، على ما تمّ بيانه سابقا.

وفي رأيي أن الباء ليست محذوفة، ولا مقدرة بدليل سياق كل من الآيتين؛ ففي الآية الأولى يخاطب موسى قومه حين اتهموه بأنه ساحر، ورفضوا أن يكون نبيا، فكذبوه، فقال لهم: ربي أعلم منكم بحال مَنْ أهلّهُ اللهُ للفلاح حيثُ جَعَلَه نبياً، وبعثه بالهدى (يعني نفسه)[1]. أما الآية الثانية فسبقها ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو ضلال مبين﴾ فالأمر من الله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول: لقومه ربي أعلم من جاء (أي نفسه)[2]؛ أي يعلم هل النبي صلى الله عليه وسلم على الهدى أم أنتم، فالباء الأولى في موضعها ولها دلالتها، وليس لها مكان في الآية الثانية، إذ إنّ السؤال فيها عن الشخص والأول عن الحال.

وخلاصة ما توصل إليه البحث في باب الباء ما يلي:

تكرار العامل حرف الجر الباء مع حرف العطف لا يكون إلا للتوكيد والتقرير، كما يكثر تكرار العامل حرف الجر "الباء" مع حرف العطف في أسلوب النفي، وإن ذكرَ الباء مقترنة بخبر "ما" وليس "لا" يعني زيادتها وإنما تأتي لدلالة بلاغية؛ كالمصاحبة، أو الاستفهام الاستنكاري، أو التوبيخ، أو التقرير، أو الاعتراف وإن ذكر الباء مقترنة "بما" و"ليس" في القرآن الكريم لا يفيد إلا الجحود في رأي الدكتورة عائشة عبد الرحمن، ولا تكون لتوكيد النفي، بل على العكس فهي تَنْقُضُ النفي وتردُّه لتصير إلى إثبات وتقرير. وقد يأتي خبر إن مقترنا بالباء في جملة منفية، تماما مثلما يأتي مقترناً بخبر ليس، وفي حالة وجود هذه الباء فإنها تكسب الجملة معنى الإثبات، والتوكيد، والتقرير، بدليل وجود (بلى) في الإجابة عن السؤال كما مرّ بنا، وقد يقترن اسم ليس بالباء مثلما يقترن خبرها إذا كان الخبر مصدرا مؤولا من (أنْ والفعل)، وقد يأتي حرف الجر "الباء"، بعد أفعل التفضيل، وقد لا يأتي، ولذكر الباء وحذفها دلالة خاصة لا تتضح إلا بوجودها ، ولابدّ من الاستفادة مِنْ تفسير القرآن بالقرآن ؛ فإن آيات القرآن الكريم يكمل بعضها بعضا.

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٤٢٢.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص٤٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في حرف عن:

تنوَّعَ أسلوب التعبير بالفعل "سأل" في القرآن الكريم حيث يتعدى إلى مفعول واحد في موضع، ويتعدى إلى مفعولين في موضع آخر، أو لا يتعدى، بل يتوسط حرف الجر "عن" بين الفعل "سأل" والاسم الذي يليه.

وقد جاء هذا الفعل في آيتين من سورة المائدة مقترنا بـ "عن" والاسم مرتين، ومرة اتصّل الفعل بضمير (سأل ها). وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم، عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ (المائدة ١٠١، ١٠٢).

ولكي ندرك اختلاف المقصود في كل من الآيتين نستقصي الآيات التي ورد فيها الفعل "سأل" فنجدها على أساليب عدة:

أولها: توسط "عن" بين الفعل سأل والاسم، كما ورد في الآيات التالية:

قال تعالى:

﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني:..﴾ (الكهف ٧٦).

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ (البقرة ١٨٦).

﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ (الكهف ٧٠).

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (المائدة ١٠١).

﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ (المائدة ١٠٢).

﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما﴾ (الأحزاب ٨).

﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾ (الأحزاب ٦٣).

﴿يسألون عن أنبائكم﴾ (الأحزاب ٢٠).

﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ (البقرة ٢١٧)، ﴿عن الخمر والميسر﴾ (البقرة ٢١٩)، ﴿عن اليتامى﴾ (البقرة ٢٢٠)، ﴿عن المحيض﴾ (البقرة ٢٢٢)، ﴿عن الساعة﴾ (الأعراف ١٨٧)، ﴿عن الأنفال﴾ (١) ﴿يسألونك عن الروح﴾ (الإسراء ٨٥)، ﴿عن ذي القرنين﴾ (الكهف ٨٣)، ﴿عن الجبال﴾ (طه ١٠٥)، ﴿عن الساعة﴾ (النازعات ٤٢)، ﴿واسألهم عن القرية﴾ (الأعراف ١٦٣).

وثانيها: "سأل" متصلا بضمير مفعول به ومتعديا إلى مفعولين بدون "عَنْ" على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ (إبراهيم ٣٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾ (الأحزاب ٥٣).

﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ (النساء ١٥٣).

﴿لا أسألكم عليه اجرا﴾ (الأنعام ٩٠)، ﴿لا أسألكم عليه مالا﴾ (هود ٢٩).

﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء﴾ (النساء ١٥٣).

وبعد دراسة هذه الشواهد القرآنية نستخلص الملاحظ التالية:

تحتمل لفظة سأل – يسألُ إحدى الدلالتين:

استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة، أو استدعاء أمر مادي محسوس[١].

أما استدعاء المعرفة فجوابه على اللسان: كما في المجموعة الأولى يسألونك عن "قل"...، ما عدا آية ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة ١٨٦) لم يكن الجواب عنها "بقل" لأن الله سبحانه يتلقى الدعاء دون الحاجة إلى وساطة أحد[٢].

والسؤال للمعرفة إمّا للاستعلام، فيتعدى غالبا إلى المفعول الثاني بعَنْ مثل ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ (الإسراء ٨٥). أو يتعدى الفعل سأل إلى المفعول الثاني بذاته مثل: ﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم﴾ (هود ٤٧). وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (لقمان ٢٥).

فإذا كان السؤال لاستدعاء مال أو متاع فإنه يتعدى بنفسه مثل ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾ (الأحزاب ٥٣). أو قوله تعالى: ﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا﴾ (الممتحنة ١٠). أو بحرف الجر "من" نحو قوله تعالى: ﴿واسألوا الله من فضله﴾ (النساء ٣٢).

وقد تعددت الآراء واختلفت حول الآيتين (١٠١، ١٠٢ من سورة المائدة) ومال بعض النحاة إلى اعتبار الضمير المتصل بالفعل سأل (سألها) نائبا عن المفعول المطلق على تقدير سأل مسألة أو سؤالا، ورفض أن تكون الهاء في محل نصب مفعول ثان للفعل سأل وقدَّر المفعول الأول محذوفا أيضا (الأنبياء)؛ قد سأل الذين قبلكم أنبياءهم مسألة؛ وحجة النحاة في ذلك أنه لو كان الضمير عائدا على أشياءَ مذكورة لتعدَّى إليها "بعن" لا بنفسه؛ ولكنه مفعول مطلق لا مفعول به[٣].

---

(١) الراغب الأصفهاني/معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مادة (سأل).

(٢) الزمخشري/الكشاف ج١ ص٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) الزمخشري/الكشاف ج١ ص٦٧٠. الألوسي/روح المعاني ج٤ ص٤٠. أبو حيان/النهر الماد ج٢ ص٣١٩

وجوز بعضهم أن يكون الضمير في موقع المفعول به؛ وذلك من باب الحذف والإيصال والمراد سأل عنها[١].

ومال الألوسي إلى أن السؤال هنا استعطاء؛ فهو يتعدّى بنفسه، مثل قولك: (سألته درهما) بمعنى: طلبته منه، لا استخبارٌ كما في صدر الآية[٢].

وبالرجوع إلى مناسبات النزول يتبين أن بعض المسلمين قد وجّهوا أسئلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكرهها، وهي مسائل تتعلق بالتحليل أو التحريم، أو الأحكام وقيل: هي مسائل عن أمور الجاهلية وما جرى مجراها؛ فإذا أفتى بها النبي صلى الله عليه وسلم شق عليهم وغمهم وحملهم من التكاليف التي لا يطيقون، وأعلن من الأسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها؛ فنزلت هذه الآية وفيها أدب المسألة؛ فنهاهم الله عن الإكثار من مساءلة الرسول صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيهم.

وقد عفا الله عن بيان هذه الأمور لئلا يسوؤهم بيانها. ويأتي بدليل مادي قاطع على مغبة مثل هذه الأسئلة (قد سألها قوم من قبلكم) اتفق المفسرون على أن الأقوام السابقة طلبت من أنبيائها آيات، وحين أعطوها كفروا بها كسؤال قوم صالح نبيهم الناقة، وأصحاب عيسى المائدة[٣].

وفي قوله تعالى: "قد سألها قوم من قبلكم" "الهاء" لا تعود إلى المسألة عينها، بل مسائل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال، وعدم التصريح "بالمثل" للمبالغة في التحذير، ثم أصبحوا بها كافرين: أي بسببها؛ حيث لم يتمثلوا ما أجيبوا به ويفعلوه.

ولعل مناسبة النزول وتفسير الآيات يوضح لنا السبب في مجيء "تسألوا" مقترنة "بعن" ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾، ﴿وإن تسألوا عنها﴾؛ لأن السؤال هنا عن أمور معنوية كسؤالهم هل الحج كل عام؟ فلو أجاب نعم لفرض وتحملوا عبئا لا يطيقونه وليس مطلوبا منهم وقد سبقت الإشارة إلى أن "سأل" إذا احتملت دلالة استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة، غالبا ما تتعدى بعن. وأما قوله تعالى: قد سألها فيحتمل دلالة الطلب المادي المحسوس؛ لذا يتعدى بنفسه؛ وعلى ذلك فهي مفعول به.

---

(١) الزركشي/البرهان ج٤ ص٣٩.

(٢) الألوسي/روح المعاني مج٤ ص٤٠.

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي رأينا فقد اكسبت "عن" الآية الأولى معنى الاستفسار عن أشياء محددة، والتجاوز عن أشياء أخرى؛ ولهذا فصل ما بين الفعل والفاعل والمفعول به بحرف الجر (عن)؛ أما سألها فالهاء ترجع إلى النمط أو الأسلوب الذي جرى عليه الأقوام السابقة في مخاطبتهم لأنبيائهم؛ وبما أن هذا النمط كان من عادتهم؛ فلم يفصل بينها وبين فعلها.

تعاقب الذكر والحذف في حرف الفاء:

يتعاقب ذكر الفاء وحذفها في العديد من آيات القرآن الكريم ليصبح هذا التعاقب ظاهرة ملحوظة في مواطن عديدة نحددها بعد أن نستعرض الآيات التي تعاقب فيها ذكر الفاء وحذفها، في قوله تعالى:

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال: يا قوم اعبدوا الله﴾ (العنكبوت ٣٦).

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال: يا قوم اعبدوا الله﴾ (هود ٨٤).

﴿قال: رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال: فإنك من المنظرين﴾ (الحجر ٣٦-٣٧).

﴿قال: أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ (الأعراف ١٤).

﴿قال: إنك من المنظرين﴾ (الأعراف ١٥).

﴿قال الملأ من قومه: إنا لنراك في ضلال مبين، قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾ (الأعراف ٦٠-٦١).

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه: ما نراك إلا بشرا مثلنا﴾ (هود ٢٧).

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ (التين ٦).

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ (الإنشقاق ٢٥).

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون﴾ (الزمر ٣٩).

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون﴾ (الأنعام ١٣٥).

﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون﴾ (هود ٩٣).

﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ (الأعراف ١٢٣)، ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ (الأعراف ١٢٤).

﴿قال آمنتم به قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾ (الشعراء ٤٩).

﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ (طه ٧١).

﴿لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (يونس ٤٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى:
﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف ٣٤)، و(النحل ٦١).

وبعد تدبر هذه الآيات، ومثلها في القرآن كثير نخلص إلى الفوائد التالية:
يلاحظ ذكر حرف الفاء مقترنا بالفعل (قال) في آيات، وخلوا منه في آيات أخرى من القرآن الكريم، إذ اقترن الفعل بالفاء (فقال) في سورة العنكبوت ٣٦ و(قال) بدون الفاء في سورة هود ٨٤.
كما يلاحظ اقتران مقول القول بالفاء في العديد من الآيات، وبدون الفاء في آيات أخرى، كما لاحظنا في: ﴿قال انظرني قال فإنك من المنظرين﴾ (الحجر ٣٨،٣٧)، فهو هنا مقترن بالفاء، ﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون، قال إنك من المنظرين﴾ (الأعراف ١٥،١٤)، بدون الفاء، مع الأخذ بعين الاعتبار كون الإجابة موافقة لأسلوب الطلب؛ فإذا احتوى الطلب على الفاء جاء الجواب بالفاء (رب فأنظرني)، (قال: فإنك من المنظرين)، (وقال: أنظرني)، (قال: إنك من المنظرين). والحقيقة أن إثبات الفاء هو الأصل.

ولقد حاول بعض المفسرين تعليل عدم وجود الفاء في آية الأعراف ووجودها في سورة (الحجر) بأن ما ورد في سورة (الأعراف) وقع مستأنفا لم يقصد به عطف؛ أما في الحجر فهو معطوف على السؤال على تقدير: إن طلبت تأخير الأجل فإنك مؤخر؛ فهو معطوف على السؤال عطف الكلام على الكلام الذي يقتضيه، لا عطف الإجابة على السؤال فقد سأله إبليس أن يؤخر أجله فأنظره، والفاء توجب اتصال مابعدها بما قبلها[1].
وقد فصل النداء أو الدعاء بين القول ومقوله فلم يقترن الجواب بالفاء في قوله تعالى: ﴿قال: رب بما أغويتني﴾ (الحجر ٣٩)، ﴿قال فبما أغويتني﴾ (الأعراف ١٦)، ﴿قال فبعزتك لأغوينهم﴾ (ص ٨٢)، فإذا كان مقول القول فعل طلب (سؤال) اقترن بها قال فأنظرني.

وللخطيب الإسكافي رأي في اقتران قال بالفاء أو حذفها، فقد ربط قصة شعيب برابط العطف على بما قبلها؛ إذ سبقها ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم﴾ (العنكبوت ١٤)، فتعلق ما بعد آية نوح بها (بالفاء) كما تعلقت آية نوح بالفاء في قوله (فلبث).
أما في الأعراف فقد سبقتها قصة لوط ﴿ولوطا إذ قال لقومه...﴾ (الأعراف ٨٠) فجاءت قصة مدين مثلها بدون الفاء[2] (الأعراف ٨٥).

---

(١) الكرماني/البرهان ص٧٠.

(٢) الاسكافي/درة التأويل ص١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا تأويل بعيد يؤكد ارتباط حرف الفاء بفكرة العطف مع الترتيب والتعقيب؛ لذا أجهد نفسه بالبحث عن العلاقة القائمة بين ما بعد الفاء بما قبلها.

كما يلاحظ أن الفعل "قال" إذا كان في جملة ابتدائية لم يقترن بالفاء كما في سورة الأعراف ٦٠، ٦١: ﴿قالوا إنا لنراك في ضلال مبين﴾، ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾ فهذا كلام ابتدائي أما قوله تعالى ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه...﴾ (هود ٢٧)، (المؤمنون ٢٤). فإنه جواب لكلام النبي نوح عليه السلام ورد صلى الله عليه وسلم على كلامه[١].

ولعل قضية الترتيب والتعقيب في معنى الفاء هي التي دفعت الإسكافي والكرماني إلى البحث عن معطوف سابق؛ ليعطف قصة لاحقة على قصة سابقة، كما أن وجود الفاء مرة وحذفها مرة ثانية دفع الكرماني إلى التأويل والتقدير[٢]؛ فوجود الفاء دفعهم إلى تقدير إن وأسلوب شرط محذوف حتى يستقيم لهم اقتران الجواب بالفاء (إن طلبت تأجيل الأجل ﴿فإنك من المنظرين﴾).

والذي يبدو أن الترخص في دخول الفاء على جواب الشرط وارد في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ وفي هذا رد على من تأول إن طلبت تأجيل الأجل فيجوز (إنك من المنظرين) بدون الفاء.

وتكثر الشواهد على حذف الفاء في القول ومقوله حتى ليكاد يرقى إلى مرتبة الاختيار الأسلوبي متجاوزا الوصف بالترخص، وهذا يعني أن حرف العطف الفاء (الرابط) قد يذكر في آيات، ويحذف في أخرى من باب الترخص والاختيار الأسلوبي، إلا إذا لم يذكر الرابط في مكان يجب أن يذكر فيه قلنا بحذفه وقدرناه محذوفا[٣].

ويرى الدكتور تمام حسان أن "الفاء" قبل القول ضرورية للمعنى، فإذا لم توجد في الكلام قدرناها، شرط أن تكون علاقة القول في الآيات الترتيب والتعقيب، وأتى بمثال على ذلك ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو...﴾ (العنكبوت ٣١) (قال) (قالوا)؛ أي فقال، فقالوا لأن علاقة القول في كل الآيات السابقة هي الترتيب والتعقيب؛ فتقدير الفاء

---

(١) الاسكافي/درة التأويل ص١٥٢.

(٢) الكرماني/البرهان ص٧٠ وانظر قول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين التي تعطف جملة أو جملتان. عبد القاهر الجرجاني/دلائل الإعجاز ص١٨٨.

(٣) تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل القول في كل آية تقدير يدعو إليه المعنى[١].

أما لماذا حذفت هذه الفاء فقد تحذف طلبا للخفة، أو اختصارا، أو اقتصارا، أو تجنبا للحشو[٢].

وترى الباحثة أن الدكتور تمام حسان قد أصاب في تعليله لذكر الفاء وحذفها؛ فمن يتتبع بدقة وتدبر قصة آدم وإبليس في قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ قال أنا خير منه﴾ (الأعراف ١٢)، ﴿قال انظرني إلى يوم يبعثون﴾ (١٤)، ﴿قال إنك من المنظرين﴾ (١٥)، ثم في آية (١٧) ﴿قال اخرج منها مذءوما مدحورا﴾ ويقارنه بقوله تعالى في سورة ص ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين﴾ (ص ٧١،٧٢) ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ (٧٣) ﴿إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين﴾ (٧٤) ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾. من يتتبع ذلك يلاحظ اقتران كل الآيات التي ورد فيها القول بالفاء.

ويبدو أن التركيز القصة في سورة (الأعراف) كان على غواية الشيطان ووسوسته وفتنته، وكأن الغرض من ذكرها في هذه السورة تحذير المسلمين والناس من غوايته كما تبينه الآية ٢٧ من الأعراف؛ لذا لم يقترن القول بالفاء؛ فالحكاية سريعة بدليل اختصار العديد من التفصيلات الواردة في سورتي (ص) و(الحجر) مثل سؤاله: (استكبرت أم كنت من العالين).

أما في سورة ص فكان المقصد الجواب عن امتناع إبليس عن السجود وجوابه، فجاءت الفاء تباعا: "فاخرج" (٧٧)، "فأنظرني" (٧٩)، "فإنك" (٨٠)، "فبعزتك" (٨٢) مقترنة بالفاء.

ولقد أعطيت الموصولات المختصة مثل الذي، التي، الذين- التي لا تنتقل إلى الشرط كما تنتقل الموصولات المشتركة "مَنْ وما"- أعطيت عند الإخبار بها بعض ما تعطاه الموصولات التي انتقلت إلى الشرط في مجال الربط (العطف)؛ فإذا أخبرت بالذي أو التي ... فإن الخبر يقترن بالفاء في المواضع التي يلزم فيها الفاء جواب الشرط؛ لما بين "الذي" و"مَنْ" من شركة في أصل الموصولية والإبهام[٣]؛ إذ يتوقف وقوع خبر الذي على

---

(١) تمام حسان/البيان ص١٣٩.

(٢) ذكر هذا الرأي عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ص١٨٥ فأينما وجد آية فيها قال بدون الفاء قدر لها محذوفا على هيئة سؤال: إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال (يقدر أن الفاء محذوفة مقدرة مع سؤال فماذا قال: فيكون الجواب "قال: سلام قوم منكرون" وهذا تقدير غريب بعيد. (٣) تمام حسان، البيان ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوع صلته[١]؛ كقوله تعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ (التين ١: ٦)، وتسمى الفاء في هذا الموضع رابطة، تربط شبه الجواب بشبه الشرط[٢].

أما قوله تعالى في سورة الإنشقاق ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (٢٥)﴾ فقد سبقه قوله تعالى ﴿بل الذين كفروا يكذبون (٢٢) والله أعلم بما يوعون (٢٣) فبشرهم بعذاب أليم (٢٤)﴾. (إلا الذين آمنوا)، فهو استثناء منقطع[٣]، وقوله لهم أجر غير ممنون استئناف يقرر ما أفاده الاستثناء من انتقال العذاب عنهم وتبيين أجرهم؛ وهذا الموقف لا يستدعي وجود الفاء كما استدعاه الموقف في سورة التين.

إذا جاءت الآية متصدرة بالفعل "قل" ثم تلا القول فعل أمر فالأسلوب على سبيل الوعيد والأمر أمر تهديد، وقرينة الفاء تؤكد الفعل للتهديد مثل قوله تعالى: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ (يونس ٣٨) وتسمى هذه الفاء الفاء الفصيحة؛ أي قل تبكيتا لهم.

وقد اختلف سياق الآية ٣٩ في سورة الزمر ﴿إني عامل فسوف تعلمون﴾ حيث اقترنت لفظة سوف بالفاء عن سياق آية هود ٩٣ ﴿إني عامل سوف تعلمون﴾ فلم تقترن سوف بالفاء؛ فإن ما ورد في سورة الزمر وسورة الأنعام أمر من الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الكفار على سبيل الوعيد؛ أي اعملوا على طريقتكم ﴿فسوف تعلمون﴾ وعملكم سبب جزائكم فسيكون لكم من الجزاء ما ستعملونه.

وأسلوب التهديد واضح في هذه الآية. أما ما ورد في سورة هود فقد جاء في قصة سيدنا شعيب مع قومه عندما تجاهلوه قائلين: ﴿يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾. فقال لهم: ﴿اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون﴾ أي سوف تعلمون وتعرفون عملي وقيمته بعد أن أنكرتموه (سوف تعلمون) بدون الفاء وبدون قل فهي على سبيل الاستئناف وليس فيها من التهديد ما كان في الزمر والأنعام.

---

(١) تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص٥٠، ٥١.

(٢) ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ ص١٦٥.

(٣) الزمخشري/الكشاف ج٤ ص٧١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعزز هذا الرأي قول فرعون للسحرة ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم ... فسوف تعلمون﴾ (الأعراف ٢٣). وقوله على سبيل التهديد والتوكيد في آية الشعراء ٤٩ ﴿فلسوف تعلمون﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ (الحجر ٣).

ويتعاقب ذكر الفاء وحذفها في جواب الشرط "إذا" حين يقع جوابها مضارعا منفيا "بلا" فيجوز أن يقترن بالفاء أو لا يقترن بها بدليل قوله تعالى:
﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (يونس ٤٩).

فقد جاء الفعل "يستأخرون" مضارعا منفيا بلا فاقترن بالفاء.
وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف ٣٤) (النمل ٦١) لم يقترن بالفاء جوازا، أما الفاء التي اقترنت بـ (إذا) فهي استئنافية.

وإصرارهم على إنكار صدق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكذيبهم بيوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾، ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ (يونس ٤٣،٤٤).

فسياق الآية ٤٩ في سورة يونس مبني على ما قبلها من تكذيب الكافرين.

ثم يذكر الله بيوم الحشر وخسران المكذبين، ثم يأتي قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟﴾ وقد طلبوا العذاب الدنيوي الموعود استعجالا منهم، وغرضهم استبعاد الموعود مما لا يكون؛ وهذا الاستفهام موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيأمره بالجواب ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا﴾؛ وفي هذا التعبير إظهار العجز التام؛ فإن كنت لا أملك شيئا من شؤوني، فكيف أملك شؤونكم فآتي بعذابكم الموعود حسبما تريدون؟ لكن الله هو الذي يملكه، ﴿إلا ما شاء الله﴾ ثم قال: ﴿لكل أمة أجل﴾؛ أي أجل لعذابهم يحل بهم عند حلوله، لا يتعدى إلى أمة أخرى (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة) والمقصود بالساعة جزء من الزمان. (ولا يستقدمون).

وقد اختلف المفسرون والنحاة طويلا في شأن "واو" (ولا يستقدمون) فاعتبروا جملة (لا يستقدمون) مستأنفة أو معطوفة على القيد والمقيد ومنعوا عطفها على "لا يستأخرون" إذ لا فائدة (برأيهم) من (لا يستقدمون) بعد مجيء الأجل وأجاب الزمخشري بأن (لا يتأخر ولا يتقدم كناية عن كونه له حد معين وأجل مضروب لا يتعداه بقطع النظر عن التقدم والتأخر)[1].

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٩٧، ص٣٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وآية ﴿وإذا جاء أجلهم﴾ خالية من الفاء لأنها داخلة في حيز الجواب ولم تعطف على ما قبلها مما يدل على استقلالها فأمر الله نبيه أن يقول لهم: ﴿لكل أمة أجل﴾ ولعذابكم أجل مضروب وحد محدود إذا جاء أجلهم فلا يستقدمون ولا يستأخرون[١].

وقد سبقها ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف ٣٣).

ثم تلتها آية ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (٣٤).

أما في سورة الأعراف:

فيستشف من هذه الآية الوعيد دون التصريح التام كما في سورة يونس فإذا فعلوا المحرمات المشار إليها في الآية ٣٣ فسيأتيهم أجل معلوم بالعذاب كما نزل بالأمم السابقة دون أن تصرح الآيات بسؤالهم عن الوعد أو تكذيبهم بيوم القيامة ... الخ. فقد عقب سبحانه وتعالى بقوله (ولكل أمة أجل) عقب ذكر المحرمات من الفواحش وغيرها؛ لذا فقد فسر الأجل تفسيرا آخر هو (الموت)، وفي إضافة الأجل إلى الضمير بعد تنكيره بلاغة، إذ انتقلت دلالة أجل من العموم والتنكير إلى التخصيص لإفادة المعنى المقصود؛ وهو بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها ومجيئه إياها، وقوله (لكل أمة) تفيد العموم والجمعية فكأنه قال إذا جاءت آجالهم بأن يجيء لكل واحد أو لكل أمة أجلها الخاص بها، وقد قرأ ابن سيرين آجالهم بصيغة الجمع واستظهرها ابن جني وجعل الإفراد لفصل الجنسية[٢].

والفاء التي ذكرت مقترنة بإذا فصيحة. ولم تذكر في آية يونس بل اقترنت بجواب الشرط لأن الآية في يونس سيقت جوابا عن استعجالهم العذاب، فاعتنى بأمر الشرط، فأتى بالفاء لتقوية الجواب والتركيز عليه، مما لا يستدعيه سياق الآيات في الأعراف فحذفت من الجواب.

ويجدر أن أشير إلى ظاهرة لافتة للنظر في آيات القرآن الكريم متعلقة بالفاء، وإن كانت تتعلق في التشابه في أسلوب الأداء دون التشابه اللفظي للآيات ، وهي أن الآيات التي بدأت بقوله تعالى يسألونك لم يقترن جوابها بالفاء إلا في سورة طه، في قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾ (طه ١٠٥).

---

(١) الألوسي/روح المعاني ج٦ ص١٢٤،١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص٣٥٢،٣٥٣.

وهذه الآيات التي لم يقترن جوابها بالفاء هي:

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (البقرة ١٨٩).

﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين﴾ (البقرة ٢١٥).

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾ البقرة ٢١٧).

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾ (البقرة ٢١٩).

﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ (البقرة ٢١٩).

﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير﴾ (البقرة ٢٢٠).

﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ (البقرة ٢٢٢).

﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾ (المائدة ٤).

﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي﴾ (الأعراف ١٨٧)

﴿يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله﴾ (الأعراف ١٨٧).

﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ (الأنفال ١).

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ (الإسراء ٨٥).

﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا﴾ (الكهف ٨٣).

وقد حاول أحد المفسرين تعليل وجود الفاء في آية طه دون غيرها؛ بأن جميع الأسئلة في الآيات من ١-١٣ قد سألها أناس للرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الإجابة عنها آمرا النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ (قل) إلا في آية طه، فإن هذا السؤال لم يُسأل فكان تقدير الكلام إن يسألوك عن الجبال فقل وبما أن السؤال يحمل معنى الشرط ويتضمنه دون التصريح بأسلوبه فإن اقتران الجواب بالفاء واجب، أما بقية الأسئلة فقد سئلت؛ فهي ليست مشروطة ليقترن جوابها بالفاء، بل حصل السؤال في الماضي وتم وهم ينتظرون الجواب[١].

---

(١) أبو حيان الأندلسي/ النهر الماد ج٤ ص١٠٩، الألوسي/روح المعاني مج٤ ج٨ ص٥٧٠،٥٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي العودة لكتب التفسير يتبين ضعف هذا التعليل المبني على الافتراض[١] دون دليل وإن كان الحس اللغوي فيه صحيحا بحيث يستشف من يسألونك: إذا سألوك. ومن ثم يقترن الجواب بالفاء بالقياس على (وإذا سألك عبادي عني) (فإني قريب).

وقد تحذف هذه الفاء كما أشرنا في الصفحات السابقة جوازا.

فقد ورد في العديد من كتب التفسير أن السائلين في هذه الآية هم منكرو البعث من قريش عند ابن جرير إذ قالوا على سبيل الاستهزاء كيف يفعل ربك بالجبال يوم القيامة وقيل جماعة من ثقيف وقيل أناس من المؤمنين.

وعلى هذا فإن وجود الفاء تعني بعد أن سئل السؤال ضرورة حتمية للمسارعة إلى إزالة ما في ذهن السائل من إمكانية بقاء الجبال مما يدور في ذهنهم من أن بقاءها دليل عدم الحشر وحتى لا يستمر الوهم مما يقضي بفساد الاعتقاد.

وبما أن مقصود السائلين الطعن في الحشر فلا بد من أن يأتي الأمر مقترنا بالفاء وهو حرف تعقيب دون تراخ لأن تأخير البيان في هذه المسألة الأصولية غير جائز إلا أنه جائز في المسائل الفرعية ولذا لم يأت بالفاء في الأمر بالجواب على يسألونك عن الخمر والميسر "قل". (ويسألونك ماذا ينفقون "قل") (البقرة ٢١٩).

ويمكن التعقيب على هذا الأمر باستقراء بقية المواضع فالسؤال عن الساعة؛ وهي من الأصول كالسؤال عن الجبال؛ ولم يقترن الجواب بالفاء وكذلك السؤال عن الروح وعن الأهلة فلماذا اقترنت في الجبال دون بقية الإجابات عن الأصول؟.

الظاهر أنه قرن بها هنا ولم يقرن بها ثمة للإشارة إلى أن الجواب معلوم للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فأمر بالمبادرة إلى الإجابة بخلاف سؤالهم عن الروح والمحيض والأهلة فلم يكن معلوما له قبل فلم يتجاسر عليه أحد من عوام الناس فضلا عن خواصهم مما لا ينبغي أن يلتفت إليه.

والذي أميل إليه أن الفاء تكسب الجواب سرعة بحيث يجيب المسؤول دون تراخ والإجابة عنها تقتضي السرعة ولا تحتمل الانتظار؛ لمعرفة المسؤول الجواب مسبقا ولعدم منحهم الفرصة للتشكك والاستهزاء[٢].

---

(١) استبعد أبو حيان هذا التفسير بما أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج من أن قريشا قالوا يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة. انظر أبو حيان/النهر الماد ج٤ ص١٠٩.

(٢) الألوسي/روح المعاني ج٨ ص٥٧٠،٥٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل ما سبق آية ١٠٥ يعتبر دليلا على مناسبة الفاء وهو قوله ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما﴾ (طه ٩٨)، ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ (طه ٩٩)، ﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ (طه ١٠٠)، ثم خوفهم يوم القيامة ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾ (طه ١٠٢)، ﴿يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا﴾ (طه ١٠٣)، ﴿نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما﴾. ثم (يسألونك عن الجبال) فالجبال جزء من مظاهر ما يحصل يوم القيامة مما يسألون عنه، ويتهامسون حوله، ويستهزئون به، ويستبعدون وقوعه، والله أعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في حرف "في":

عبّر القرآن الكريم عن "الخلافة" في آيتين متشابهتين بأسلوبين مختلفين ورد في الأول لفظة (خلائف) مضافا إلى معرفة، والثاني لفظة (خلائف) متبوعة بجار ومجرور على النحو التالي: قال تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ (١٦٥ الأنعام).

وقال تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض﴾ (١٤ يونس).

وقال تعالى ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ (٣٩ فاطر).

ونجد من الضرورة أن نربط كل عبارة بما سبقها أو لحقها حتى نتناول الآية في سياقها؛ قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ (الأنعام ١٦٥).

وقال في سورة فاطر: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا﴾ (فاطر ٣٩).

وقد ورد في معاني "خلف" مستخصلة من معجم مفردات ألفاظ القرآن ما يلي:

يقال لمن خلف آخر وسد مسده "خلف"، والخلافة: النيابة عن الغير: إما لغيبة المنوب عنه، أو لموته، و إما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف[١]، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض والخلائف جمع خليفة، وورد في القرآن الخليفة آدم ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾. وكذلك كل نبي خليفة ﴿إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ (ص ٢٦).

وفي آية الأنعام نلاحظ أن كلمة خلائف (النكرة) قد اكتسبت من إضافتها إلى المعرفة التخصيص وقد اكتسبت هذه الإضافة دلالة الملكية؛ أي ملكية الخلائف للحكم في الأرض كما نلمح في هذا الاستخلاف الديمومة.

والمقصود هنا بخلائف الأرض المسلمون؛ أي أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، فلربما دلت الآية على أن أمته خلفت سائر الأمم يملكون الأرض ويتصرفون فيها ﴿ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ (الأنعام ١٦٥)؛ فهم خلائف الأرض خصهم الله دون غيرهم وكأن الأرض خلصت لهم فلم تعد لغيرهم فكأن الخلافة قد اقتصرت عليهم[٢].

---

(١) الراغب الأصفهاني/معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم مادة خلف، ص١٥٦، ص١٥٧.

(٢) الزمخشري/ الكشاف ج٢ ص٦٤، ج٣ ص٥٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في الآية الثانية فقد فصل حرف الجر (في) بين "خلائف" النكرة والأرض فبقيت كلمة (خلائف) نكرة، الأمر الذي يوحي بأن كلمة (خلائف) في هذه الآية قد يكون الاستخلاف لها في مكان ما من الأرض أو في زمان ما في الأرض ما دامت الأرض. وبذلك نفيت عنها صفة الملكية المطلقة، فمن المحتمل أن يشرك المسلمين (الخلائف) خلف آخرون في هذه الآية لأنهم ليسوا خلائف الأرض دون غيرهم كما في الآية السابقة والله أعلم.

وقد علل الكرماني ذكر (خلائف في الأرض) و(خلائف الأرض) لأن ذكر المخاطبين قد تكرر مرات فعرّفهم بالإضافة. أما ما جاء في السورتين الأخريين فعلى الأصل في ضوء قوله تعالى: ﴿جاعل في الأرض خليفة﴾ وقوله: ﴿جعلكم مستخلفين﴾[1].

وترى الباحثة أن التعريف بالإضافة يكسب الجملة دلالة جديدة مختلفة عما كانت عليه سواء أسبق ذكر المخاطبين أم لم يسبق. كما أوضحنا سابقا.

---

(١) الكرماني/البرهان ص٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في حرف اللام:

١- اللام العاملة (التخصيص) أو الملك

يتنوع عمل اللام فيما بعدها فتأتي عاملة للجر في مواضع، وتأتي عاملة للجزم في مواضع أخرى وعاملة للنصب ايضا وقد تأتي غير عاملة في شيء(١).

أما اللام العاملة للجر فقد لفت انتباهنا تعاقب ذكرها وحذفها من خلال آيات من سورة "المؤمنون" جاءت على شكل أسئلة وإجابات على النحو التالي:

﴿قل: لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله. قل: أفلا تذكرون﴾ (المؤمنون ٨٤-٨٥).

﴿قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله، قل أفلا تتقون﴾ (المؤمنون ٨٦-٨٧).

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ (المؤمنون ٨٨-٨٩).

ولدى النظر العام في هذه الآيات الست، وهي من سورة "المؤمنون" يلاحظ المرء أن الله سبحانه وتعالى قد أورد أداة الاستفهام في الآية (٨٤) مقترنة بلام الجر (لمن)، في حين أن هذه اللام لم ترد مع "مَنْ" في السؤالين الآخرين، كما يلاحظ أن إجابات الأسئلة الثلاثة كانت في الآيات الثلاث (٨٥،٨٧،٨٩) سيقولون لله.

ويحاول المفسرون بيان أثر حرف الجر مقترنا بأداة الاستفهام في إجابة الخالق على لسانهم بقوله "لله" فيرون أن الإجابة الأولى هي على الأصل؛ لأن أداة الاستفهام وردت مقترنة بهذه اللام؛ فلزم أن يقترن الجواب بها، ويمد هؤلاء المفسرون في أمد حديثهم عن ذلك فيذهبون إلى أن لفظ الجلالة في الموضعين الآخرين ورد مقترنا بلام الجر مع أن أداة الاستفهام ليست مقترنة به على المعنى(٢).

وقد استندوا في تسويغ ما ذهبوا إليه إلى أن أبا عمرو ويعقوب قرءا بغير لام فيه (سيقولون لله) وبذلك تكون هذه القراءة على اللفظ وهي تؤكد أن القراءة السابقة المحمولة على المعنى قراءة صحيحة ويشفع ذلك قول العرب: مَنْ صاحبُ هذه الدار؟ وإجابتهم (زيد) أو قولهم: "لزيد"؛ بذكر حرف الجر مما يعني أن الوجهين جائزان: أحدهما

---

(١) انظر ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ من ٢٠٧.

(٢) الإسكافي/ درة التنزيل ص٣١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باعتبار اللفظ والآخر باعتبار المعنى، ويدعم هذا التوجه قول الشاعر:

إذا قيل من رب المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قلت لخالد

يقول الزمخشري في تفسيره: "أجيبوني عما استعلمتكم عنه إن كان عندكم فيه علم. وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات[١]."

قرئ الأول باللام لا غير والأخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين الكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة. فباللام على المعنى لأن قوله (من ربه)، ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ[٢].

ويقول الكرماني: سيقولون لله في الأولى الجواب مطابق لفظا ومعنى، وفي الثانية والثالثة على المعنى. السؤال لمن والجواب لله.

وأما الثاني والثالث فالمطابقة فيهما في المعنى لأن القائل إذا قال لك: من مالك هذا الغلام؟ فإن لك أن تقول: "زيد" فيكون مطابقا للمعنى ولهذا قرأ "أبو عمرو" الثاني والثالث الله. الله مراعاة للمطابقة[٣].

وترى الباحثة أن ما أشار إليه القدماء من الحمل على المعنى هو من باب التضمين؛ وقد تحمل الإجابات في آية (٨٧، ٨٩) على المشاكلة اللفظية للآية الأولى (٨٥) حتى تكون الإجابات منسوقة على وتيرة واحدة.

٢- لام التوكيد:

ذكر اللغويون منها لام الابتداء وفائدتها أمران: توكيد مضمون الجملة ولهذا زحلقوها في باب "إنّ" عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين وتخليص المضارع للحال وتدخل باتفاق في موضعين أحدهما المبتدأ والثاني بعد "إن" سواء على الاسم أو المضارع أو الظرف[٤].

وقد تعاقب ذكر اللام وحذفها في الآيات التالية نثبتها ثم نتدبرها لنخرج بمجموعة من الملاحظات حولها:

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص١٩٤-١٩٥.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص١٩٥.

(٣) الكرماني/البرهان ص١٣٨،١٣٩.

(٤) انظر ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ ص٢٢٨،٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ (غافر ٧٦) و(الزمر ٧٢).

﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ (النحل ٢٩).

قال فرعون: ﴿آمنتم به قبل أن آذن لكم؟... فسوف تعلمون﴾ (الأعراف ١٢٣).

﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم؟... فلسوف تعلمون﴾ (الشعراء ٥٠).

﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ (طه ١٥).

﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ (غافر ٥٩).

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى ٤٣).

﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (لقمان ١٧).

﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾ (فاطر ٣١).

﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ (الشورى ٢٧).

﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ (الزخرف ١٤).

﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ (الشعراء ٢٠).

وقال تعالى: ﴿له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد﴾ (الحج ٦٤).

وقوله تعالى: ﴿لله ما في السموات والأرض وإن الله هو الغني الحميد﴾ (لقمان ٢٦).

اختلف النحاة في دخول لام الابتداء على الفعل الجامد؛ فأجازه البعض كابن مالك والمالقي وغيرهما بدليل وجودها في الآية ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ وبدليل ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾.

كما اختلفوا في كونها لام الابتداء أم لام القسم، وأجاز أبو حيان أن تكون لام الابتداء مفيدة لمعنى التوكيد، أو أن يكون قبلها قسم مقدّر. ونص جماعة على منع ذلك فقالوا: لا تدخل لام الابتداء على الجمل الفعلية إلا في باب إن[1].

كما اختلفوا في دخول اللام على سوف وقالوا: هي لام الابتداء لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر لذا فقد قدر لها الزمخشري في جملة ﴿فلسوف تعلمون﴾ مبتدأ محذوفا (فلأنتم سوف تعلمون) ولم يقدرها لام القسم[2].ولا يخفى ما في هذا القول من التكلف

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٣٠٤، ج٢ ص١٣٧.

(٢) عز الدين بن عبد السلام/الإشارة إلى الإيجاز ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لغير الضرورة. وقد اعتبرها ابن عبد السلام اللام الموطئة للقسم حُذف فيها القسم وبقيت اللام على تقدير "فبعزتي".

وسواء أكانت اللام في لبئس مثوى المتكبرين أو في ﴿فلسوف تعلمون﴾ للابتداء أم التوطئة للقسم، فإن الهدف من ذكرها التأكيد حسبما يقتضيه السياق.

فاقتران اللام بالفعل الجامد (بئس) في سياق ذم فئة لم تؤمن بالآخرة وقلوبهم منكرة وهم مستكبرون، وقد قال تعالى في الإخبار عنهم ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ (النحل ٢٣) فقد أنكروا ما أنزل الله (وقالوا أساطير الأولين). فيوم القيامة يخزيهم ﴿ويقول: أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم؟﴾ وهذا سؤال استنكاري توبيخي على طريق الاستهزاء بهم فأنكروا وسالموا على خلاف ما كانوا عليه من الكبر في الدنيا وبذلك استحقوا الجزاء: ﴿فادخلوا أبواب جهنم فلبئس مثوى المتكبرين﴾ أما في الزمر فقد ضم جماعة الكفار عامة دون تخصيص وقابلهم في قوله: ﴿فنعم أجر العاملين﴾ وهي في مدح الذين اتقوا عامة فلم تقترن بلام التوكيد أيضا[١].

وقد اقترن تهديد فرعون للسحرة باللام في قوله ﴿فلسوف تعلمون﴾ (الشعراء ٤٩) وفي الأعراف بدون اللام ﴿فسوف تعلمون﴾.

فقد زاد اللام للتوكيد وتقريب وقوع العقاب في الحال، واجتماع اللام وسوف التي هي للإشارة إنما يعطي الجملة دلالة تحقيق الفعل وتقريبه من الوقوع[٢].

أما في (الأعراف) فقد زاد في قوله: ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ فهو تهديد بعقاب مسوف في المستقبل جزاء ما اعتقد فرعون أنه من مكرهم في المدينة فرد السحرة: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾.

أما في الشعراء فقد أحس بتصميمهم على الإيمان فقال: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ مما يوحي باستعجاله بتنفيذ العقاب[٣].

ولعل من يقارن سياق الآية (طه ١٥) بسياق الآية غافر ٥٩ يدرك السبب في ضرورة ذكر اللام للتوكيد في الثانية دون الأولى؛ فالجملة الخبرية ﴿إن الساعة لآتية﴾ موجهة إلى المشركين الذين ينكرون الساعة؛ وهذه الآية مسبوقة بآية ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر

---

(١) الإسكافي/ درة التنزيل ص٢٦٣.

(٢) الخطيب الإسكافي/درة التنزيل ص١٧٧-١٧٩.

(٣) انظر الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾؛ فهذا الموضع يقتضي التوكيد القوي الذي يؤثر في نفوس الكفار؛ وإذا عرفنا أن الخطاب في ﴿إن الساعة آتية﴾ موجه إلى سيدنا موسى عليه السلام وسبقه قوله تعالى ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ (طه ١٤) وأن الآية قد سبقت (أن الساعة آتية) قد سبقت بقوله تعالى ﴿أقم الصلاة﴾. أدركنا أن النبي موسى لا يحتاج إلى توكيد لأمر هو مصدق به، وليس منكرا له[١]. ولكن الله سبحانه يحمله رسالة ليبلغها لقومه بدليل ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾.

أما ما أوجب التوكيد في قوله: ﴿إنا إلى ربنا لمنقلبون﴾؛ ولم يوجبه في سورة الشعراء فلم تدخل اللام على خبر إن كما هي في سورة الزخرف. ذلك أن سياق الآية في سورة الزخرف هو ﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ (الشعراء ٥٠) أي لتذكروا أنعام الله عليكم وتشكروه وتخالفوا الكفار؛ بأن تقروا بما أنكروه؛ فتؤمنوا بالبعث والحياة بعد الموت؛ وهذا خطاب يقتضي التوكيد، أما الذي في سورة الشعراء فهو خبر عن السحرة لما آمنوا ووصفوا حالهم واستهانتهم بما أخافهم به فرعون من عقوبة إذ إن منقلبهم إلى ربهم؛ فلم يحتج إلى التوكيد.

أما قوله تعالى ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ فقد سبقه كما نلاحظ ﴿ولمن صبر وغفر﴾، وأما قوله ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ فقد سبقها ﴿واصبر على ما أصابك﴾.

ومن يتدبر سياق الآيتين، يلاحظ أن فيهما دعوة إلى الصبر مع فرق واضح في الدلالة:

فالأولى: صبر على ألم يصيبه جراء جناية جان ألحق به الظلم، فحق له الاقتصاص منه. وفي مسامحته والغفران له مشقة إلا أن الله سبحانه وعد من يصبر فيغفر ويعفو جزيل الثواب لما لهذا العفو من إطفاء الثائرة على صعوبته[٢]. فكانت الآية ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ فهي من الأمور التي تحتاج إلى توطين النفس عليها وتخير أرفعها؛ فلا غرابة أن يقترن الخبر باللام للتوكيد.

وليس كذلك ما في سورة لقمان ﴿واصبر على ما أصابك﴾ فليس الأمر مختصا بصبر على الظلم، بل بصبر على الشدائد، وما يكون من الله فعلى الإنسان أن يقبله ويصبر[٣]؛

---

(١) الإسكافي/درة التنزيل ص٤١١-٤١٢.

(٢) الإسكافي/درة التنزيل ص٤٢٧. الكرماني/البرهان ص١٧٨.

(٣) المصدر نفسه ص٤٢٨، ص١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالصبر الأول مختلف في دلالته ومناسبته عن الصبر الثاني؛ فلم يحتج الخبر إلى اللام للتوكيد: فهو في سياق نصيحة أب لابنه بالصبر على الشدائد.

وما قيل في هذه الآيات ينطبق على ما بقي منها في ضوء ما أوضحنا من وظيفة اللام التي تقع في خبر إن أو اسمها فتوكد الخبر كما يتبين أن الأسلوب القرآني قد تنوع ما بين توكيد الخبر باللام وإن أو توكيده بأن وحدها دون اللام أو توكيد الجملة بلام الابتداء حسبما يقتضيه الحال أو السياق أو المناسبة.

تعاقب الذكر والحذف في حرف "لا":

قال النحاة بزيادة "لا"؛ أي أنها زائدة عن أركان الجملة وكلماتها القياسية، في بعض المواضع القرآنية، وإن كان النحاة مسؤولين عن وصف هذا العنصر بالزيادة فإن البلاغيين يعترفون بما تضفيه هذه الزيادة على المعنى وما يلحقه من التوكيد من جراء الزيادة في المبنى[1].

قال تعالى: ﴿**وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ..**﴾ (فاطر ١٩-٢١).

وقال تعالى: ﴿**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم**﴾ (التوبة ٥٥).

وقال تعالى: ﴿**ولا تعجبك أموالهم وأولادهم**﴾.(التوبة ٨٥)

فالمكرر "لا" التي قبل النور، وقبل الحرور، وقبل الأموات، وقبل أولادهم، وإنما تكررت لتؤكد عدم الاستواء في "فاطر"، وألا نعجب لا بأموالهم ولا بأولادهم في الآية الثانية.

ومن باب ما قيل في زيادة "لا" قصة سجود الملائكة لآدم وعدم سجود إبليس وسؤال رب العالمين إبليس في قوله تعالى:

﴿**يا إبليس ما منعك أن تسجد**﴾ (ص ٧٥).

وقوله: ﴿**وما منعك ألا تسجد**﴾ (الأعراف ١٢).

وقوله: ﴿**ما لك ألا تكون مع الساجدين**﴾ (الحجر ٣٢).

وقد لفت نظر النحويين والبلاغيين والمفسرين وجود السؤال منفيا مقترنا بـ "لا" في قوله (ما منعك ألا؟)، (ما لك ألا؟)، ووجوده مثبتا في قوله: (ما منعك أن تسجد؟).
وفي ضوء قوله تعالى (ما منعك أن) مال فريق من النحاة إلى اعتبار "لا" زائدة.

---

(١) تمام حسان/البيان ص٢٧، ص١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن قال بزيادتها من النحاة ابن هشام واعتبرها داخلة في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده وأتى بشاهد آخر من القرآن ﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني﴾ (طه ٩٢-٩٣) وأشار إلى أن الآية ٧٥ من سورة ص قد خلت منها في قوله (ما منعك ألا) كما أشار إلى أن زيادة "لا قد وردت أيضا في قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ (الحديد ٢٩) أي ليعلموا[١].

ومن المفسرين من قال بزيادة "لا" في آية الأعراف؛ فالقرطبي وابن كثير اعتبرا "لا" زائدة لتوكيد الجحد[٢]، والزمخشري اعتبر "لا" صلة زائدة لتوكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحققه فكأنه قال: مامنعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك وزاد على ذلك أن السؤال للتَوبيخ[٣].

واعتبر أبو حيان "لا" في الآية نفسها زائدة للتوكيد وأن الله وبخ إبليس وقرّعه على امتناعه عن السجود[٤].

ومن المفسرين من قال بزيادة "لا" لكنه أشار إلى رأي آخر لتحاشي القول بزيادتها، فمال إلى تأويل المقصود من الآية بقوله ما منعك من الطاعة وأحوجك إلى ألا تسجد؟[٥]، أو ما دعاك إلى ألا تسجد؟ أو ما اضطرك إلى ألا تسجد؟[٦] أو من قال لك ألا تسجد[٧]؟ أو ما ألزمك واضطرك.

ومن المفسرين من مال إلى تبسيط الأحكام فقال: "قصة واحدة فيها حكاية عما قال إبليس إجابة عن سؤال الله عن سبب عصيانه، ليس المقصود منها أداء الألفاظ بأعيانها، وإنما المقصود ذكر المعاني، لأن الألفاظ إذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواء[٨].

---

(١) ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ ص٢٤٨.

(٢) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن الكريم ج٧ ص١٧٠، ابن كثير/ مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص٨ .

(٣) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٨٦.

(٤) أبو حيان/النهر الماد ج٢ ص٥٢٠.

(٥) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص١٧٠.

(٦) الطبرسي/مجمع البيان في تفسير القرآن ج٢ ص٤٠١.

(٧) الكرماني/البرهان ص٦٨،٦٩.

(٨) الإسكافي/درة التأويل ص١٤٢. .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترى الباحثة أن هذا الرأي ليس دقيقا، مثلما أن التركيز على حرفية اللفظة دون النظر في سياقها يؤدي إلى ضياع المعنى واختناقه، وتميل إلى الرأي القائل بالتضمين قديما أو الأسلوب العدولي حديثا؛ فيكون العدول عن دلالة "المنع" إلى معنى "المنعة"[١] مسوغا لمجيء "لا" مع الفعل يسجد في ضوء قوله تعالى: ﴿ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (النساء ١٤١) فتضمن لفظة "منع" معنى الحماية والقوة. فنسوغ بذلك اقتران أن "بلا"، بينما في الدلالة الأولى (المنع) لا تقترن أن "بلا" أصلا.

وهذا ما يميل إليه المحدثون في قضية العدول في لفظ معين عن معنى إلى معنى آخر لغاية أسلوبية؛ فاللفظ الذي يضمن معنى آخر يحتل موقعه، فيدخل على ألفاظ قد لا يدخل عليها باستعماله الأول، وبذلك يصبح ضم لفظة "منعك" إلى "ألا تسجد" أمرا مقبولا، ويجعل "لا" في مكانها ولا تكون بذلك حرفا زائدا للتوكيد[٢].

ولعل تأويل الطبرسي ما منعك بما "دعاك" إلى ألا تسجد أو ما اضطرك إلى ألا تسجد[٣] كما أشرت سابقا، أو ما حماك من عدم السجود،[٤] أو ما الذي جعلك في منعة من عذابي؟ أو كل ذلك يشير إلى أن القدماء كانت تراودهم فكرة ما يسمى في الدراسات الأسلوبية الحديثة الأسلوب العدولي أو التضمين كما كانوا يسمونه[٥].

والرأي عندي –بعد أن استعرضت آراء النحاة والمفسرين واللغويين في القضية الجزئية زيادة "لا" أو ذكرها وحذفها – أن أعرض لقضية أجدر بالبحث وأكثر أهمية، وهي تكرير ذكر قصة سجود الملائكة لآدم وإباء إبليس؛ إذ تعددت المواضع التي ذكرت فيها الحادثة. وبالرغم من تماثل الآيات وتشابهها في العديد من ألفاظها، إلا أن المدقق المتدبر بموضوعية يدرك أن هذه الآيات قد اختلفت من حيث بعض الجزئيات والموضوع والمواقف والمشاهد، كما يتبين أن كل ذكر لهذه الحادثة، في كل سورة على حدة، قد اختص بما يتسق وموضوعها وشخصيتها من حيث بعض ألفاظها وتراكيبها وأساليب التعبير ذكرا وحذفا.

---

(١) وقد اعتبر السكاكي هذه الآية من باب المجاز المرسل انظر مفتاح العلوم ص١٦٦. وقدرها ما دعاك إلى أن لا تسجد وضمّن لفظة منع معنى حمل: ما حملك على ألا تسجد.

(٢) تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص٣٤٩.

(٣) الطبرسي/ مجمع البيان ج٢ ص٤٠١.

(٤) الألوسي/روح المعاني مج٤ ص٣٢٨، مج ١٢ ص٢١٥.

(٥) الراغب الأصفهاني/معجم مفردات القرآن الكريم مادة "منع".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل في ترتيب السور ذات العلاقة بقصة خلق آدم وسجود إبليس، حسب ترتيبها في النزول – ما يعيننا على تحديد الفروق الدقيقة بين الآيات، ويثبت أن ما ورد ليس تكرارا حرفيا أو إعادة. والجدير بالذكر أن ترتيب السور التي تعاقب فيها الذكر والحذف الذي هو مدار بحثنا في هذه الجزئية سورة ص ثم سورة الأعراف ثم سورة الحجر[1]. والرأى أن تذكر الآيات السالفة الذكر ضمن سياقها في السور ثم تناقش.

قال تعالى في: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين (٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٧٢) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٧٣) إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين (٧٤) قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين (٧٥) قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (٧٦) قال فاخرج منها فإنك رجيم (٧٧)﴾.(ص ٧١-٧٧)

وقال تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن مع الساجدين (١١) قال: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (١٢) قال: فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج منها إنك من الصاغرين (١٣)﴾(الأعراف ١١-١٣).

وقال تعالى في: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون (٢٨) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٢٩) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٣٠) إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين (٣١) قال يا إبليس: مالك ألا تكون مع الساجدين (٣٢) قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون (٣٣) قال فاخرج منها فإنك رجيم (٣٤)﴾.(الحجر ٢٨-٣٤)

وفي ضوء المقولة "القرآن يفسر بعضه بعضا" وبتحليل هذه الآيات نتبين ما يلي:

بدأت آيات سورة ص بالحديث عن قصة خلق آدم بقوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين﴾، وقد اختلفت بداية القصة في الأعراف عما جاء في سورة ص ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا﴾، كما اختلفت هذه البداية عنها في سورة الحجر: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من حمأ مسنون﴾.

وقد تفاوت التعبير عن خلق آدم من طين فلم يذكر مادة الخلق في بداية (ص) مكتفيا "بلقد خلقناكم"؛ وقد جاء التعبير بصيغة الماضي المؤكد، بينما كان في آية ص "إني خالق"

---

(١) الإسكافي/ درة التنزيل ص١٤١، الكرماني/ البرهان ص٦٨، ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بصيغة اسم الفاعل الذي يدل على عزم أكيد وثبات؛ أما في قوله تعالى: "لقد خلقناكم"[١] فقد تم الخلق وحصل والبداية بالفعل الماضي الذي تم فلا حاجة لتنبيه الملائكة؛ فقد ذُكر ذلك في آية سابقة، كما أنه لا حاجة لذكر نوع الخلق من طين، والحقيقة أن الخطاب في هذه الآية موجه للبشر؛ ليذكرهم بنعمة الله عليهم إذ خلقهم وأحسن خلقهم فالمشهد مشهد تذكرة.

أما سورة الحجر فقد أضافت عنصرا جديدا مهمّا، وعلى الإنسان أن يعرفه؛ وهو أصل تكوينه "من صلصال من حمأ مسنون" وهذه معلومة جديدة.

وقد حاول بعض المفسرين أن يبرروا هذا التكوين بأن الصلصال لا يتماسك كثيرا، وسرعان ما يتحطم، فهو ليس فخّارا بل كالفخار؛ فليس فيه شدة ولا قدرة على المحافظة على ذاته من الفساد؛ فهاتان صفتان ملازمتان للإنسان، إلا إذا تداركه الله برحمته[٢].

وفي سورة ص ذِكر لسجود الملائكة أجمعين إلا إبليس. وللتعبير عن هذا الحدث ذكر الملائكة بالاسم وأكدّ سجودهم بتوكيد معنوي تمثل في لفظة "أجمعين" التي تدل على حال سجودهم جميعا، واستثنى إبليس.

أما في سورة الأعراف فقد عبّر النص القرآني عن الحدث بالفعل المتصل به ضمير عائد على الملائكة دون أي توكيد واستثنى إبليس من السجود دون أن يذكر لفظة "استكبر" أو يحكم عليه بالكفر واكتفى بقوله تعالى (لم يكن من الساجدين).

إلا أن سورة الحجر قد نصت على الحدث مؤكدا بنفس أسلوب سورة ص وعندما ذكر رفض إبليس السجود عبر عنه بقوله تعالى: ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾.

وتطالعنا حلقة جديدة في سلسلة توالي أحداث القصة؛ وهي أن الله سبحانه قد طلب من إبليس إجابة محددة ليستدرجه من خلال سؤاله ليكشف عما في نفسه بصراحة فقال تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾، وعلى الرغم من أن السؤال قد سبق بمعرفة أكيدة وعلم رباني أخبر عنه في قوله ﴿أستكبرت﴾ إلا أنه يطلب منه أن يصرح بالسبب بنفسه ليدينه من فمه بعد أن ناداه سبحانه صراحة: (يا إبليس)، فالقضية في عدم سجوده إما استكبارا، أو استعلاء، فيرد باستعلاء واستكبار وبقرار صريح وواضح في قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿أنا خير منه﴾. ويوضح سبب استعلائه: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

---

(١) عبد القاهر الجرجاني/دلائل الإعجاز ص١٣٥-١٣٦: في التفريق بين دلالة الفعل والاسم المشتق.

(٢) د. فضل عباس/القصص القرآني ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصدر الحكم الإلهي بعد الاعتراف الصريح: ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾.

والسؤال في سورة الأعراف يطلب إجابة دونما تخيير بين أمرين أو سببين ودون توجيه الخطاب بالنداء فقد حذفت جملة النداء يا إبليس وقال ﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾.

وفي لفظة منعك تعبير دقيق عن الحماية والمنعة التي حملته[1] على عدم السجود ومخالفة أمر الله تعالى الملزم للطاعة، ويحمل السؤال دلالة أبعد من اللوم أو التبرير فالتوعد بالمحاسبة وتُحمل نتيجة مخالفة أمر إلهي واضح في هذه السورة فقد أجاب إبليس: "أنا خير منه". وذكر العبارة السابقة في سورة ص في قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

وصدر الحكم بناء على هذه الإجابة: (فاهبط منها). وفي لفظة "الهبوط" المقابل "للتكبر" دلالة عميقة وفي عبارة ﴿فما يكون لك أن تتكبر﴾ رد على شعور إبليس بالتكبر وإذلال له وتحجيم لقدره ثم قال سبحانه: ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ فكان استكباره سببا في الحكم الإلهي عليه بالخروج والذلة والصغار.

وفي سورة الحجر نداء لإبليس يوحي بالاستغراب والعجب من موقفه: "مالك؟ ألا تكون مع الساجدين؟" أي لماذا تفردت ولم تكن ضمن الذين سجدوا دون استثناء؟ والسؤال لا يحمل عتابا ولا ملامة بقدر ما يحمل دلالة الاستيضاح لموقف مستغرب مستهجن. ويجيب بجحود وإصرار وتحد: ﴿لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾، فليس امتناعه عن السجود لمانع شرعي لكن اجتهاده دفعه إلى أن يربأ بنفسه عن السجود لمخلوق أصل تكوينه من (صلصال من حمأ مسنون). ولم يصرح بمفاضلة بين أصل تكوينه من نار وأصل تكوين الإنسان، إلا أن هذا الاستعلاء يظهر ضمنا في أسلوب الجحود: ﴿لم أكن لأسجد﴾ وصدر الحكم الإلهي: ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾.

واللافت للنظر أن سورة الحجر قد ركزت على خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون مرتين. مرة في قول الله للملائكة، ومرة في رد إبليس على سؤاله عن عدم سجوده. ولا بد أن يكون لهذا التركيز هدف ومغزى؛ وهو أن يكون الإنسان على علم دائما بأصل تكوينه فلا يتكبر بل يعرف قدره وقدرة الله عليه.

---

(١) انظر الراغب الأصفهاني/معجم مفردات ألفاظ القرآن. باب منع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد هذا التحليل الدقيق لهذه الآيات المتشابهة التي تدور حول قصة واحدة تخلص الباحثة إلى النتائج التالية:

هناك اختلاف بين هذه الآيات -رغم تشابهها- من حيث الجزيئات، وفي طريقة عرض المشاهد، فقد عبّرت عن القصة الواحدة بعدة أساليب. ولا شك أن تنوع أساليب التعبير دليل على إعجاز القرآن الكريم.

إن ما تكرر من الألفاظ أو المشاهد يدل على أهمية الأحداث وتقصد إلى أن تثبت في الأذهان من خلال إعادتها.

إن الهدف من رواية كل قصة في كل سورة هو هدف ديني الغرض منه الدلالة على صدق الوحي من جهة وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته وتهديد كل من تحدثه نفسه بالعصيان والتكذيب أو التكبر من جهة أخرى.

وردت القصة في كل سورة متناسبة وموضوعها؛ ففي سورة الحجر ركزت على خلق آدم من طين، والجن من نار وهما مادتا تكوين لا تفاضل بينهما[1]، وفي سورة الأعراف تم التركيز علىتذكير الإنسان بنعمة الله عليه وتخويفه من مصير العَنَت والتكبر. وفي سورة ص بدأت بقصة خلق آدم أيضا وعصيان إبليس والتهديد الصريح لمن لا يطيع أوامر الله والقرار الصارم القاطع المؤكد في قوله تعالى: ﴿قال فالحق والحق أقول(٨٤) لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين(٨٥)﴾.

إن كل لفظة في القصة لها دلالة خاصة يقتضيها السياق، ولا يسد مسدها غيرها من الألفاظ، وهذا دليل على عظمة الأسلوب القرآني، وعلى بلاغة الذكر والحذف حسبما يقتضيه السياق[2].

---

(١) فضل حسن عباس/القصص القرآني ص٥٥.

(٢) سيد قطب/التصوير الفني في القرآن الكريم ص١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في الحرف "مِنْ":

أ- مِنْ متبوعة بالظروف قبل وبعد وتحت:

القرآن الكريم غني بالصور اللغوية المتنوعة التي تنبيء عن تنوع في المعاني تبعا لحذف أداة أو وجودها، وتتعدد مظاهر الذكر والحذف بوحي من القصود التي تنطوي عليها الآيات، ومن وسائل تجسيد هذه الظاهرة ذكر حرف الجر "مِنْ" طورا وحذفه تارة أخرى.

فمن مظاهر الذكر والحذف لحرف الجر "مِنْ" ما يكون مع الظروف "قبل"، و"بعد"، و"تحت". وغير خاف أن في كل حالة معنى مستفادا.

لننظر في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ (يوسف ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ (النحل ٤٣).

وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا "قبلك" إلا رجالا نوحى إليهم﴾ (الأنبياء ٧).

يلفت النظر في آيات القرآن الكريم اطراد ذكر "مِنْ" مع الظرف "قبل" وبخاصة إذا انقطع عن الإضافة (من قبل) بينما يقل مجيئه خلوا منها؛ وعلى سبيل المثال فقد ورد ذكر "من قبلك" في آيات القرآن الكريم عشرين مرة بينما اقتصر ذكر "قبلك" بحذف "مِنْ" على أربع مرات في (الإسراء آية ٧٧) و(الأنبياء آية ٧) و(الفرقان آية ٢٠) و(سبأ آية ٤٤).

وتعاقب ذكر "مِنْ" وحذفها مع الظرف "قبلهم" إلا أن اقترانه "بمن" كان ضعيفاً ورودِه غير مقترن بها، كما أطرد وجود "مِنْ" مع الظرف (قبل) إذ كان صلة موصول (الذين) ولم يأت خلوا منها مع هذا الأسلوب أبدا، ومثال على ذلك قوله تعالى: (كذلك يوحى اليك وإلى الذين من قبلك) (الشورى٣).

ومن الآيات التي تعاقب فيها ذكر (مِنْ) وحذفها مع الظرف "قبلهم" قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ (مريم ٧٤)، ومثلها (سورة مريم ٩٨)، و(طه ١٢٨)، و(ق ٣٦).

وقد وردت آية مشابهة قد اقترن الظرف "قبل" فيها بمن وهي الآية التالية:

﴿كم أهلكنا مِن قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص﴾ (ص ٣).

وباستقراء الآيات السابقة نستخلص ما يلي:

- أن الظرف حين يقترن بمن يكتسب دلالة التحديد والابتداء للزمان الذي سبق زمانهم وبذلك يصبح هذا الزمان محدداً ابتداء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وكلما أغرق الزمان في البعد وصعب تحديده جاء خلوا من حرف الجر بدليل الآيات التي تحدثت عن قوم نوح وتكذيبهم، لبعد الفترة وطولها في قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ (ص١٢)، (غافر ٢٥)، (ق ١٢)، (القمر ٩)، (الحج ٤٢).

- وفي ضوء هذه الملاحظات فإن قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ يدل على تقييد الفترة الزمنية وتعيينها، أما قوله (قبلك) بدون "مِنْ" فقد دل على استغراق الزمان كله، وفي ذلك اتساع في الفترة الزمانية وما قيل ينطبق على قوله تعالى ﴿كم أهلكنا قبلهم﴾ و﴿كم أهلكنا من قبلهم﴾.

ومن الآيات التي تعاقب فيها ذكر حرف الجر "مِنْ" وحذفه مع الظرف "بعد" قوله تعالى: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ (البقرة ١٢٠) وفي سورة الرعد آية (٣٧) مثلها، وقوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين﴾ (البقرة ١٤٥).

ويُظهِرُ أثرُ المقام الذي اكتنف نزول الآية التي اقترن فيها الظرف "بمن" ضرورة وجودِ هذا الحرف، وهو أمر لا يقتضي وجود "مِنْ" في الآيتين الأخريين؛ فقد سبق قوله تعالى في: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾:

﴿إن هدى الله هو الهدى﴾ (البقرة ١٢٠) وفي سورة الرعد ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا﴾ (الرعد ٣٧) فلم تبين الآية حدود العلم ولا نَوْعه بل جعلت تحديد هذا العلم موكولا إلى تصوُّر القارئ.

أما آية (البقرة ١٤٥) فقد سبقها قوله تعالى ﴿وما أنت بتابع قِبْلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين﴾.

وقد بينت قرينةُ السياق حدود العلم إذ الأمْرُ متعلقٌ في (الآية ١٤٥) من البقرة بالقِبْلة. وأمْرُ القِبْلة مخصوص بزمان محدد، إذ عُيّنت القِبْلة للمسلمين في صلاتهم نحو المسجد الحرام[1].

وهذا يعني أن "مِنْ" أضاف إلى المعنى خاصّيّة وهي: من الوقت الذي يسبق الظرف "بمن" التي هي للدلالة على ابتداء الغاية الزمانية. أما العلم في الآيتين الأخريين فقد وقع التوعد معه على اتباع أهواء أهل الكتاب، فغير مخصص بوقت دون وقت، ولا بنوع مخصوص من العِلْم، بل كان واجبا في الأوقات كلها فاستُغني عن "مِنْ".

---

(١) الإسكافي/ درة التنزيل ص٢٥، الكرماني/ البرهان ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجدير بالذكر أن دلالة "أهواء" اختلفت في الآيتين؛ فالأهواء في قوله "بعد الذي جاءك من العلم" هي الميول والبدع التي تخالف الدين الصحيح (العلم)؛ وبذلك تتضح دلالة "العلم" وتتحدد وتعني الدين الصحيح، أما دلالة "الأهواء" في (البقرة) فهي اتباع قبلتهم، و"العِلْم" هو علم مخصوص بأمر "القِبْلة" التي حدّدها الله للمسلمين وهي أن يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام[١].

وقد اعتبر الدكتور عبد الفتاح الحموز أن "مِن" في قوله: ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ زائدة[٢] ولسنا معه في هذا الرأي.

ومن اللافت للنظر ما ورد في القرآن الكريم من آيات تحتوي على الظرف "تحت" مقترنا "بمِن" أو بدونه؛ فأينما وردت آية فيها "جنات تجري" تبعها قوله تعالى "من تحتها الأنهار" إلا في آية وحيدة في سورة (التوبة) وهي قوله تعالى:

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري "تحتها" الأنهار خالدين فيها﴾ (التوبة ١٠٠).

وهذا يعني أن "تحت" في سائر الآيات قد وردت مقرونة "بمِن"إلا في هذا الموضع.

وقد حمّل جانبٌ من المفسرين هذه الآية الفريدة المخالفة لما أطّرد في مثيلاتها أكثر مما تحتمله ألفاظها؛ فذهب الخطيب الإسكافيّ مثلا، إلى أن "مِن" لابتداء الغاية المكانية وعليه فإن الجنات التي يرد الظرف "تحت" بعدها مقرونا "بمِن" هي جنات تبتدئ بالأنهار التي تجري من تحتها وهي (أشرف) من غيرها لذا فهي – وفق تفسيره خاصة بالأنبياء ومن رافقهم من المؤمنين الذين يعملون الصالحات. أما الجنة التي وردت فيها "تحت" دون أن تقترن "بمِن" فإنها تنوّه إلى جناتٍ خُصّ بها قوم ليس فيهم الأنبياء[٣] بدليل قوله تعالى "والسابقون ... (التوبة ١٠٠).

ويشعر المرء هنا أن الخطيب قد حَمّل ألفاظ الآيات أكثر مما تحتمل من الدلالات إذ لا تنبئ هذه الألفاظ عن أشرف الجنات أو عن أنواع من الجنات بعضها مخصص للأنبياء والمؤمنين وبعضها مخصص للسابقين من المؤمنين ليس فيهم الأنبياء.

---

(١) الإسكافي/ درة التأويل ص٢٨، الزمخشري/الكشاف ج١ ص١٨٢.

(٢) عبد الفتاح الحموز/التأويل النحوي ج٢ ص١٢٩٢، ص٤٩٢، تمام حسان/ص٢٣٩.

(٣) الخطيب الإسكافي/درة التأويل ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجدير بالذكر أن الدكتور عبد الفتاح الحموز قد اعتبر "مِنْ" مع الظرف زائدة في ضوء خلوه منها في المواضع الأخرى[١].

والرأي هنا أن الفرق في المعنى يتمثل في أن ورود "تحت" مقترنة "بمِنْ" يدل على أنَّ مصادر الأنهار ومنابعها من الجنة ذاتها، أما تلك التي وردت فيها "تحت" دون أن تقترن "بمِنْ" فتوحي بأن مصادر الأنهار من أماكن خارج الجنات وأنها تسير تحت هذه الجنات لتتضافر مصادر المياه جميعا. وفي هذا دلالة أكيدة على ما في الجنة من نعيم ماني مستمد من مصادر متعددة، وتعد هذه الآيات شواهد على أنه لا تستوي الدلالة إذا وردت الظروف مقترنة "بمِنْ" والظروف نفسها إذا لم تقترن بها.

ومن الآيات التي اقترن فيها الظرف "بعد" "بمِنْ" في موضع، ولم يقترن به في موضع آخر قوله تعالى: ﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئا﴾ (الحج ٥، النحل ٧٠)، و﴿لكي لا يعلم من بعد علم شيئا﴾ (الحج ٢٢). وقوله تعالى ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ (البقرة ١٦٤) وقوله تعالى ﴿فأحيا به الأرض من بعد موتها﴾ (العنكبوت ٦٣).

ب- مِنْ متبوعة بالأسماء:

ومن مظاهر التنوع في استخدام حرف الجر "مِنْ" مع الأسماء في إطار الذكر والحذف استخدامُ هذا الحرف أحيانا مع كلمة "ذنوبكم" وعدم استخدامه معها أحيانا أخرى؛ فقد وردت لفظة ذنوبكم مقترنة "بمِنْ" في قوله تعالى ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ إبراهيم ١٠) و(الأحقاف ٣١) و(نوح ٤).

وبدون "مِنْ" في (آل عمران ٣١) و(الصف ١٢) و(الأحزاب ٧١) في قوله تعالى ﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾.

أما سياق الآيات التي وعد الله بغفران الذنوب فيها :

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم* تؤمنون با لله ورسوله وتجاهدون في سبيل ا لله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم﴾ (الصف ١٢).

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا لله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (الأحزاب ٧١).

---

(١) عبد الفتاح الحموز/التأويل النحوي في القرآن الكريم ج٢ ص١٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقولـه تعـالى: ﴿قـل إن كنتـم تحبـون ا لله فـاتبعوني يحببكـم ا لله ويغفـر لكـم ذنوبكـم﴾ (آل عمران ٣١).

أما ورود كلمة ذنوبكم مقرونة "بمن" فمما يُمثّله قوله تعالى:

﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين* أن اعبدوا ا لله واتقوه وأطيعون* يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركـم إلى أجل مسمى﴾ (نوح ٤).

وقوله: ﴿يا قومنا أجيبوا داعي ا لله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾ (الأحقاف ٣١).

وقوله تعالى: ﴿قـالت رسـلهم أفي ا لله شـك فـاطر السـماوات والأرض يدعوكـم ليغفـر لكـم مـن ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ (إبراهيم ١٠).

وتلتقي الآيات السابقة جميعا على الدعوة إلى مغفرة الذنوب مـع الفـارق فـي الدلالـة التـي اكتسبتها "مِنْ" السياق؛ وبتدبر الآيات السابقة جميعا يتضح أن "مِنْ" تكسب اللفظـة الدلالـة على البعضيّة، وأنها حين اقترنت بلفظة "ذنوبكم" وردت في معرض دعوة الرسل أقوامهم إلى إجابة داعي الله، ومعنى ذلك أن حكاية الحال تدل على أن تلك الأقوام لـم تكن آمنـت ولذلك لم تحمل كلمة الغفران معنى شموليا، فاستلزم ذلك وجود "مِنْ" التبعيضية.

وقد شغلت هذه القضية أذهان المفسرين والنحويين، فإذا كانت "مِن" للدلالـة علـى احتمـال غفران بعض الذنوب بعد الإسلام فكيف يستقيم ذلك في ضوء المقولـة (الإسـلام يجـب مـا قبله)؟ فلم يستقم المعنى لديهم، وقد خطر الاحتمـال التـالي لبعـض النحـاة، أن يعتـبر "مِـن" حرف جر زائداً والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وبذلك ينسجم المعنـى، فيوافـق مبـدأ غفـران الذنوب جميعاً بالاسلام.

إلا أن هذا الوجه لا يستقيم على رأي سيبويه فـلا تـزاد "مِـن" فـي المثبـت؛ ومـن ثـم فهـي للتبعيض لا غير وأن المغفور هو بعض الذنوب لا كلها[١].

ويضـع عز الدين بن عبد السلام الاحتمال التالي للتوفيق بين أن تكون "مِنْ" للتبعيـض وأن الإسلام يجب ما قبله فيقول: إن إضافة الذنوب إليهم إنما تصدُق فيما وقع فعلا؛ لأن ما لـم يقع لا يكون ذنبا لهم؛ وإضافة ما لم يقع إلى ما وقـع مجاز، فسيبويه يجمـع بيـن الحقيقـة والمجاز في تأويله "يغفر لكم البعض الذي وقع قبل إسلامكم"[٢].

---

(١) السيوطي/معترك الأقران ج٢ ص٥٥٦.

(٢) عز الدين بن عبد السلام/فوائد في مشكل القرآن ص٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبرر مثل هذا التوفيق بعدم إطماعهم في غفران المستقبل من الذنوب لمجرد الإسلام وذلك حتى يجتنبوا المنهيّات[١].

وأرى أن هذا إغراق في التأويل والتفسير وتحميل للآيات ما لا تطيق، فذنوب قوم نوح كثيرة لدرجة أن غفران جزء منها لمجرد الإيمان هو فضل كبير من الله، كما أن ذنوب الجن كثيرة في ضوء ما ورد في سورة الجن من قوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا(٤)، وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا (٦) وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا (٧) وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (٩)﴾.

وتحتمل دعوة النبي قومه إلى الإيمان ليغفر الله لهم "من ذنوبهم"، رغبته في تذكيرهم بكثرة ذنوبهم، وأنهم جمعوا من الذنوب الشيء الكثير، ولكثرتها فهم بحاجة إلى الإيمان ليغفر بعضها، وبذلك لا يطمعون في غفران كل الذنوب إذا أجابوا داعي الله بل إن غفران بعضها أمل وفوق الأمل؛ حتى لا تركن نفوسهم وتتكل على الوعد بغفران الذنوب جميعاً.

أما سياق الآيات التي لم تقترن "بمن" وجاءت على صورة "يغفر لكم ذنوبكم" فيدل على أن المخاطب فيها هم المؤمنون ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾؛ ولذلك انطوت عبارة (يغفر ذنوبكم) على معنى شمولي استلزم معه عدم استخدام حرف الجر "مِن" مما يستلزم تفسير الآيات على أساس شمولية المغفرة لا جزئيتها.

ولعل ما أسهبنا في إيضاحه أو تأويله ينطبق على آيات تسير على النمط نفسه وهي: (يكفر عنكم سيئاتكم، ويكفر عنكم من سيئاتكم) في قوله تعالى:

﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه يكفر عنكم سيئاتكم﴾ (النساء ٣١).

﴿ولقد أخذ الله بني إسرائيل لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾ (المائدة ١٢).

﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ (الأنفال ٢٩).

أما ورود "يكفر سيئاتكم" مقترنة بمن فمنه قوله تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾ (البقرة ٢٧١).

---

(١) عز الدين بن عبد السلام/فوائد في مشكل القرآن ص٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمتدبر لمعاني الآيات يلاحظ أن التكفير في الآيات الثلاث الأولى يحمل معنى شموليا؛ مما استلزم عدم استخدام حرف الجر "من" بعدها، في حين أنّ (التكفير) في الآية الأخيرة لم يحمل معنى تكفير السيئات على إطلاق القول؛ مما استلزم معه استخدام حرف الجر "من"[١].

والاستدلال بالآيات يشير إلى أن تنفيذ الشروط التي احتوتها يستدعي تكفير السيئات جميعا لكنّ التصدق بالمال في آية البقرة ٢٧١ لا يكفر كل السيئات بل جزءا منها[٢].

ومن الأمثلة على اقتران "الجبال" "بمن" مرة وخلوها منها مرة ثانية في قوله تعالى عن أصحاب الحجر: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ ﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾ (الحجر ٨٠)، وقد صوّر أحوالهم في قوله: ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين﴾ (الحجر ٨٠-٨٢).

وقال في سورة الشعراء: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ (الشعراء ١٤٩).

وقال في الأعراف: ﴿تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا﴾ (الأعراف ٧٤).

وفي ضوء آيات أخرى وردت في القرآن الكريم متضمنة ذكر الجبال يمكن التفريق بين دلالة الجبال مقترنة بمن وغير مقترنة بها.

فقد ورد ذكر الجبال في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا﴾ (النحل ٦٨).

وقوله: ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ (النحل ٨١).

وقوله: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها﴾ (فاطر ٢٧).

يلاحظ أن من يتدبر الآيات أن وجود حرف الجر في هذه الآيات يعطيها دلالة مختلفة عن تلك الآيات التي وردت بدون هذا الحرف؛ فدلالة ﴿تنحتون الجبال﴾: تنجرونها وتنشرونها على أن تكون لكم بيوتا؛ فتكون الجبال مغارات وكهوفا؛ وبذلك يكون أصحاب الحجر قد اتخذوا الجبال نفسها بيوتا لتكون مشتىً لهم والسهول لمصيفهم[٣].

ويحتمل أن يكون المعنى على ما هو أبعد من ذلك، فإن طموحهم دفعهم إلى التوسع في البناء لدرجة أنهم لو جاز لهم إعمار الجبال حتى لم يبق جزء دون نحت لفعلوا.

---

(١) الزمخشري/للكشاف ج٢ ص٥٤٣. (٢) فضل عباس في كتابه لطائف المنان ص١٥٠، ص١٥٦.

(٣) أبو حيان الأندلسي/النهر الماد ج٢ ص٥٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي وسع المرء أن يتصور تطور مثل هذه الأعمال كما يظهر في البتراء مثلا.

وقد تحتمل الآيات التي اقترنت فيها "الجبال" "بمن" معنيين: أحدهما أن يتخذوا جزءا من الجبال بيوتا لهم وبذلك لا تخرج عن المعنى السابق إلا أن الإعمار يشمل جزءا أو بعضا من الجبال، والثاني أن يقتطعوا أجزاءً من الجبال على شكل حجارة ليبنوا منها بيوتا لهم في أماكن أخرى خارج هذه الجبال.

ويظل معنى التبعيض مخيما على هذه الآيات بوجود "مِنْ" بينما تسيطر دلالة الشمول على معنى الآيات بدون "من".

ولعل فيما أشرنا إليه ما يدل على أن تعاقب الذكر والحذف لحرف الجر "مِنْ" في القرآن الكريم ينمُّ عن معانٍ متنوعة تسهم في هذا البناء الإعجازي الذي يعد من أخص خصائص القرآن الكريم.

ج- من مقترنة باللفظة "مثل":

ومن المواضع التي اقترن الاسم فيها بحرف الجر "مِنْ" أو خلا منه أربع آيات من أربع سور مختلفة من القرآن الكريم: جاءت في إحداها لفظة "مثل" مقترنة "بمِن" وجاءت في الثلاث الأخرى بدون مِنْ، ودارت هذه الآيات حول تحدي الله سبحانه وتعالى العرب بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم.

وأرى أن أورد الآيات مرتبة حسب حجم التحدي وتدّرجه.

قال تعالى: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾ (الإسراء ٨٨).

﴿**أم يقولون افتراه؟ قل فأتوا بعشر سور مثله**[١] **مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ (هود ١٣).

﴿**أم يقولون افتراه؟ قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ (يونس ٣٨).

---

(١) انظر دلالة "سورة" في الراغب الأصفهاني/معجم مفردات القرآن الكريم، السورة المنزلة الرفيعة وسور المدينة حائطها المشتمل عليها وسورة القرآن الكريم تشبيها بها لكونه محاطا بها إحاطة السور بالمدينة أو لكونها منزلة كمنازل القمر. وقيل سؤرة. قطعة مفردة من جملة القرآن. الراغب الأصفهاني مادة سور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (البقرة ٢٣).

وحتى نستطيع إدراك دلالة "مثله" و"من مثله" والفرق بينهما ينبغي أن يُحدد هدف كل آية رغم أن الآيات يكمل بعضها بعضا: فآية الإسراء تقرير النفي يقضي باستحالة أن يأتي الإنس والجن "بمثل" هذا القرآن ولو تظاهروا، وممّا يلفت النظر اجتماع "إنْ" الشرطية و"لو" وهو حرف امتناع لامتناع، مما يجعل جواب الشرط مستحيلا.

ولا بد أن يكون العرب قد عرفوا هذا "المِثل" الذي سيأتون بكلام عليه ليقولوا إذا صاغوه ها قد أتينا "بمثله".

وقد فسر الزمخشري "مثل" بقوله لا يأتون بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه مما يعرفه أهل البيان(١).

وعلى الرغم من أنهم لن يأتوا بمثله لا هم ولا الجن فقد تحداهم. والتحدي هنا يعني المطالبة بأن يأتوا بكلام على وصف معلوم لديهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة: فإن استطاعوا بطل التحدي وبطلت دعوى الإعجاز وإذا فشلوا قيل لهم: قد أعجزكم أن تفعلوا "مثله" وثبت الإعجاز(٢).

ويتصف التحدي في آية الإسراء بالشمولية" فالله سبحانه يقول ﴿على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾. وتُصوِّرُ سورة هود ١٢ مدى التكذيب والاستهزاء حتى ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك؛ إذ يقول المكذبون: ﴿لولا أنزل عليه كنز﴾ ومرة يقولون: ﴿أو جاء معه ملك﴾ ثم يقولون ﴿افتراه﴾. والضمير في (افتراه) عائد على ما يوحَى إليه أي القرآن الكريم. فأمره الله سبحانه أن يرد على ادعائهم المتمثل في أنَّ القرآن الكريم من عند محمد صلى الله عليه وسلم وليس وَحْيا، بمواجهتهم بآية التحدي: ﴿قل: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾. وفي قوله "مفتريات" مسايرة لهم في ادعائهم على مَعْنى: فإن كنت قد اختلقتُه فأنا واحد منكم. وأنتم جماعة فصحاء لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه(٣).

وما يلفت النظر في هذه الآيات أنها ختمت بقوله ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي فهلا تؤمنون –بعد أن يثبت عجزكم عن المجيء بعشر سور مثله– بأن القرآن الكريم من عند الله وليس مفترى؟

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٦٦٤.

(٢) عبد القاهر الجرجاني/دلائل الإعجاز ص٢٩٥.

(٣) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٣٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي آية يونس ٣٧ يتحداهم بأن يأتوا بسورة مثله بعد أن عجزوا عن أن يأتوا بعشر سور ونوّه إليهم بأنْ يَدعوا لمساندتهم على ذلك كل من يقدر حتى يثبتوا صدقهم ﴿إن كنتم صادقين﴾.

وعلى الرغم من أنه سبحانه قال ؟﴿أم يقولون افتراه﴾ قلْ يأتِ أحدمنهم بسورة مثله مفتراة كما ورد في سورة هود ١٣؛ لذا فإنه سبحانه وصفهم بالتكذيب والجحود والتسرع بالحكم كمن سبقهم منالأمم، وختم الآية بقوله: ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ (يونس ٣٩).

ويظهر اختلاف لهجة الخطاب في يونس عنه في سورة هود: بالتلويح بالعقاب والتذكير بما حصل لمن سبقهم من المكذبين بعد أن قرر سبحانه: ﴿ما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (يونس ٣٧).

وتخف حدة التحدي في سورة البقرة لتنزل إلى أن يأتوا بسورة من مثله، وليست سورة مثله كما في آية يونس.

وتَثقُل "مِنْ" الدلالة من التماثل التام (بسورة مثله) إلى سورة تحتوي بعض ما تحتويه سورة من القرآن الكريم من بلاغة وفصاحة إلى غير ذلك من المواصفات المعروفة لديهم. وتمثل هذه الآية جَسامة التحدي؛ إذ إنَّ واحدا منهم؛ وهوالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قد استطاع أن يأتي بما لم تستطع جماعة تساندها الإنس والجن وما يعبدون من دون الله؛ وهو يتحداهم بأنْ يختبروا أنفسهم ويجهدوا قرانحهم ليأتوا بسورة فقط فيها بعض ما في القرآن الكريم وليس مثله أو عشر سور مثله بل سورة "من مثله".

والآية الأخيرة تشكل قمة التحدي؛ لأن المخاطبين جم غفير، والمطلوب جزء صغير؛ وهذا تسجيل بالعجز وعدم القدرة.

وتشتد اللهجة في مخاطبتهم ﴿فإن لم تفعلوا﴾ وأردف: ﴿ولن تفعلوا﴾؛ وفي ذلك إخبار بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﴿فاتقوا النار﴾: وهو تحدٍ يتبعه إنذار وتخويف مِنْ ﴿نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾.

وهذا الذي أشرنا إليه يشكل فارقا واضحا بين الآيات الأربع من جهة وبين الآيتين المتشابهتين التي احتوت إحداهما على "مِنْ" والتي خلت منها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجدير بالذكر أن الزركشي في برهانه عد هذه الآيات –على اختلاف مواضعها في القرآن– من باب الإيغال في الاحتياط وأوضح رأيه بمثال نصه:

"كما يقول الرجل لمن يجحد: "ما يستحق علي درهما ولا دانقا ولا حبة ولا كثيرا ولا قليلا" ولو قال: "ما يستحق علي شيئا" لأغنى في الظاهر، لكن التفصيل أدل على الاحتياط وعلى شدة الاستبعاد في الإنكار[١].

وقد مال الكرماني إلى أنّ وجود حرف الجر "مِن" في آية البقرة (من مثله) وحذفه في سورة يونس يدل على التبعيض، ووجودها في موضعها من البقرة ضروري وحسن؛ ويوضح رأيه قائلا: "لما كانت سورة البقرة سنام القرآن الكريم وأوله بعد الفاتحة حَسُنَ دخول "مِن" فيها؛ ليُعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن الكريم من أوله إلى آخره، ولو دخلت "مِن" على سورة يونس لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض، ولم يكن ذلك بالسهل"[٢].

ومن النحاة المعاصرين من اعتبر "مِن" زائدة مع مثله إذا كانت نعتا[٣]. ويتفق رأيه مع رأي أبي البقاء العكبري[٤] ونخالفهما الرأي؛ لأن "مِن" كما أوضحنا لها دلالة دقيقة وذكرها ضروري في هذا الموضع.

---

(١) الزركشي/البرهان ج١ ص١٢٨.

(٢) الكرماني/البرهان ص٢٤.

(٣) عبد الفتاح الحموز/التأويل النحوي ج٢ ص١٣٠٧.

(٤) أبو البقاء العكبري/التبيان في إعراب القرآن ج١ ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في نون التوكيد:

اتفق النحاة على أن نون التوكيد يؤكد بها الأمر مطلقا؛ أما المضارع فيكون مُؤَكَّداً واجب التوكيد إذا كان مثبتاً مستقبلا لِقسَمٍ، غير مفصول لامه بفاصل، نحو ﴿تالله لأكيدن أصنامكم﴾.

ولا يجوز توكيده بهما إذا كان منفيا، أو كان مفصولا عن اللام كما في قوله تعالى: ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ (آل عمران ١٥٨)، ونحو ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ (الضحى ٥)، ويكون قريبا من الواجب إذا كان شرطا لإن المؤكدة "بما" نحو (وإما تخافنّ) (الأنفال ٥٨)، (فإما ترينّ) (مريم ٢٦). وقد يترك توكيده وهو قليل، ويكثر توكيده إذا وقع بعد أداة طلب كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ (إبراهيم ٤٢).

ويندر توكيده وذلك بعد لا النافية[1] كقوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾.(الأنفال ٢٥)

وقد تنوعت أساليب التوكيد في القرآن الكريم ما بين قسَم، أو توكيد بالحرف الناسخ إنّ أو لام الابتداء أو نون التوكيد المخففة والثقيلة. وتعددت المواضع التي ورد فيها الفعل مؤكدا بنون التوكيد.

وقد تعاقب ذكر هذه النون وحذفها في آيات متشابهة على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ (آل عمران ٦٠).

وقال تعالى: ﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (يونس ٩٤) و(البقرة ١٤٧).

وباستقراء الآيات التي وردت فيها نون التوكيد مع الفعل الناقص "كان" نستنتج أنّ:

الجمل الشرطية المنفية لا يقترن جواب الشرط فيها بنون التوكيد، كقوله تعالى: ﴿وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ (هود ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ (يوسف ٣٣) فإذا سبقت "إنْ" الشرطية لام القسم اقترن جواب الشرط باللام ونون التوكيد سواء أكانت الجملة منفية، كما في قوله تعالى: ﴿لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ (الأنعام ٧٧)، و﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ (الأعراف ١٤٩) أو مثبتة مثل قوله ﴿لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ (التوبة ٧٥)، كما يتعاقب ذكر نون التوكيد وحذفه مع لا الناهية؛ فإذا وُجدت النون بهذا الأسلوب انتقلت الدلالة من باب النهي إلى باب تهييج الحماس لزيادة الثبات

---

(١) ابن هشام/مغني اللبيب ج٢ ص٣٣٩، ص٣٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطمأنينة، كما في قوله تعالى: ﴿لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ (الأنعام ٦٣)، أما قوله سبحانه: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ فموجّه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد سبقها قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنّ فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (البقرة ١٤٦).

فأهل الكتاب يعرفون الحق ويكتمونه إصرارا منهم على الباطل، ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي الشّاكين في كتمانهم الحق مع علمهم أو لا تشكّ في أنه من ربك[١].

أما في يونس فقد سبقها: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (يونس ٩٤).

أما ما ورد في سورة آل عمران فقد سبقها قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران ٥٩).﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ (آل عمران ٦٠).

فالحديث أيضا موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه متعلق بقصة خلق عيسى عليه السلام، بدليل قوله تعالى: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ (آل عمران ٦١)، فالنبي صلى الله عليه وسلم ليس في حالة شكّ مطلقا، ولا يحتاج إلى توكيد إيمانه بخلق عيسى وبشريّته، فالحق ما قاله الله عن عيسى، والباطل ما يدعيه أهل الكتاب، والخطاب للنبي والمقصود أمته أو للسامع ممّن يقع في نفسه الشك[٢].

وقد خرج أسلوب النهي إلى معنى بلاغي وهو تهييج الحماس لزيادة الثبات والطمأنينة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم وليس على أسلوب النهي الحقيقي. فعن ابن عباس رضي الله عنه قال لا والله ما شك طرفة عين[٣]. ولا سأل أحدا منهم.

وهذا الأسلوب مطرد في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فلا تكونن ظهيرا للكافرين﴾ (القصص ٨٦).

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج١ ص٣٦١.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص٣٥٧.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص٣٥٦،٣٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في حرف الهاء:

يطرد دخول الهاء على ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة حيث تحتمل بنية اسم الإشارة تقدم هذه الهاء عليه لاحقة به أو منفصلة عنه بضمير الشخص.

وقد تصرف التركيب القرآني في ذلك بعض التصرف وبخاصة في "هأنتم" إذ أعطى "هاء التنبيه" من تباين الرتبة ومن الإثبات والحذف ما يتضح في الايات التالية:

قوله تعالى: ﴿هم أولاء على أثَري وعجلت إليك رب لترضى﴾ (طه ٨٤).

وفي قوله تعالى: ﴿هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل ا لله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ (محمد ٣٨).

وقوله: ﴿هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾ (آل عمران ٦٦).

وقوله تعالى: ﴿هأنتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾ (آل عمران ١١٩).

﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ (البقرة ٨٥).

بعد تدبر الآيات السابقة يُلاحظ ما يلي: فقد دخلت الهاء على ضمير المخاطب واسم الاشارة كما في قوله تعالى ﴿هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا﴾ (النساء ١٠٩)ولم تُدْخَل الهاء على المخاطب وأدخلها على اسم الإشارة كما في قوله تعالى: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ (البقرة ٨٥).

ولم يدخل هاء التنبيه على الضمير ولا على اسم الإشارة، كما ورد في الآية الكريمة، قال: ﴿هم أولاء على أثَري وعجلت إليك رب لترضى﴾ (طه ٨٤).

كل ذلك يعد تصرفا أسلوبيا في النمط التركيبي (ها + ضمير الشخص + اسم الإشارة الذي يعد بدوره فرعا على نمط آخر) هو (ها + ضمير الإشارة) وهو يعد صورة مؤكدة من الإشارة المجردة وذلك بإضافة ها التنبيه إليها[1].

وبتدبر سياق الآيات لمعرفة الحكمة من ذكر هاء التنبيه في آية وحذفها من آية أخرى نصل إلى ما يلي:

أن الآية (طه ٨٤) لا تحتاج إلى هاء التنبيه، لأن موسى في حضرة الذات الإلهية والله غنيّ عن الإجابة وعليم بها لكن السؤال موجه إلى موسى من ربه ﴿ما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ (طه ٨٣)كونه مأمورا باستصحابهم وهو سؤال استنكاري لإنكار العجلة على

---

(١) تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص٣٢،٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موسى، لذلك أجاب بنفي الانفراد فقال ﴿هم أولاء على أثري﴾ واسم الإشارة يعني هنا الحضور دون الحاجة إلى التنبيه بـ (ها).

إلا أن المخاطبين في سورة محمد كانوا في غفلة عن الحقيقة فينبههم الله سبحانه وتعالى بالدليل القاطع على أنه لو قيل لهم أنفقوا أموالكم جميعا في سبيل الله لبخلوا وظهر حقدهم وضاق صدرهم وأظهروا كراهتهم لدين يذهب بأموالهم – والدليل على ذلك أنكم تدعون لأداء ربع العشر[١] فمنكم أناس يبخلون به؛ لذا جاء أسلوب المخاطبة ﴿هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل ا لله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ (محمد ٣٨).

وفي سورةآل عمران خطاب للذين آمنوا فيه تحذير ونهي عن أن يتخذوا لأنفسهم أولياء وصحبة من دون المسلمين أي من المنافقين والكفار وينبههم إلى مغبة هذه الصحبة وسوء الاختيار وتبيان الحق بوجوب الإخلاص في الدين بموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائهم. آل عمران ١١٨. ثم نبههم بالهاء فقرنها بضمير الخطاب ﴿هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾ وفي ذلك تنبيه لهم على فداحة خطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء؛ وسواء أكانت "أولاء" خبر المبتدأ "أنتم" أو اسما موصولا، وتحبونهم صلته فإن وجود الهاء في مكانه المناسب هو للتنبيه المشوب بالتوبيخ[٢].

أما قوله سبحانه: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ (البقرة ٨٥) فقد سبق بقوله في الآية ٨٤ بقوله: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾. وقد جمع الأسلوب القرآني في آية "ثم أنتم هؤلاء" بين الخطاب والإشارة للبعيد؛ لاستبعاد هذه التصرفات واستنكارها؛ فأسند "لهؤلاء" –مع أنهم المخاطبون– القتل والإجلاء والعدوان، بعد أن أخذ منهم ميثاقهم واقرارهم وشهادتهم، – وكأنهم قوم آخرون غير أولئك الذين أقروا وشهدوا تغيّراً في صفاتهم اقتضى تغير ذاتهم كما يقال: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به[٣]. والمعروف أن ضمير الإشارة معناه الدائم هو الحضور، لكن دلالته تختلف بإضافة الهاء وعدمها، واحتمال بنيتها تقدم هاء التنبيه عليه لاصقة به أو منفصلة عنه بضمير الشخص، فطالعتنا في الآيات "هآنتم أولاء"، "وهؤلاء"؛ وفي تباين الصيغة يحدث تباين الدلالة.

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٤ ص٣٢١.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص٣٩٨.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في حرف الواو:

أ- واو العطف:

تعاقب ذكر حرف العطف الواو وذكره ظاهرة لافتة للنظر في آيات القرآن الكريم؛ فكثيرا ما نجد آية ذكر فيها حرف العطف الواو ولم يذكر في الأخرى على النحو التالي:

قال تعالى:

﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (إبراهيم ٦).

وقال تعالى: ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتّلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (الأعراف ١٤١).

وقال تعالى: ﴿وإذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾.

لفت نظر النحاة والمفسرين والبلاغيين ذكر الواو في سورة إبراهيم (ويذبّحون) دون آيتيّ البقرة والأعراف؛ فاختلفت آراؤهم حولها؛ فقال بعضهم بزيادتها في البقرة مستأنسين بالآيتين الأخريين إذ خلتا من الواو[١] ﴿يسومونكم سوء العذاب يذبّحون﴾

وذهب بعضهم إلى تأويل واو مقدرة محذوفة في آيتي البقرة والأعراف حتى يستقيم نسق الآية في إبراهيم مع آيتي البقرة والأعراف[٢].

ومن النحاة من لم يقدّر محذوفا ولم يحذف موجودا وفسّر في ضوء هذه الآية كما هي فاعتبر الواو للعطف عَطْفَ جملةٍ على جملة، كما اعتبر (يذبحون) بدون الواو في الآيتين الأخريين جملة مستأنفة، أو حالا من ضمير الرفع في يسومونكم أو بدلا من يسومونكم، على التفسير[٣] كما تقول أتاني القوم زيد وعمرو، فلا تحتاج إلى الواو في زيد ونظيره في القرآن: ﴿ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب﴾[٤] (الفرقان ٦٨-٦٩)

---

(١) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٨٥، ج٢٣ ص٧٦.

(٢) أبو حيان/النهر الماد ج١ ص٤٩.

(٣) انظر إعراب الآيات في ابن الأنباري/البيان ج١ ص٨١، العكبري/التبيان ج١ ص٦١.

(٤) العكبري/إملاء ما من به الرحمن ج١ ص٢١، ج٢ ص٣٧ والزمخشري/الكشاف ج٢ ص٤١،ج٢ ص٥١٧ والزركشي/البرهان ج٢ ص١٥٠ والإسكافي/درة التأويل ص١٣، ص٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما من قال بزيادتها فأتى بشاهد من الشعر لامرئ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى، أي قد انتحى.

ويترتب على اعتبار حرف الواو للعطف مذكوراً في آية ومقدّراً في الآيتين الأخريين أنّ المقصود في قوله "ويذبحون" تذكرة بأنواع العذاب وتذبيح الأبناء واستحياء النساء فجعل كلا منها مستقلا بذاته، معطوفا على الآخر، مشتركا معه بأنه أنجاهم من ثلاثة أصناف من العذاب (يسومونكم سوء العذاب)، (ويذبّحون أبناءكم) (ويستحيون نساءكم)، فإذا اعتبرت الواو زائدة كان ذبح الأبناء واستحياء النساء بدل تفصيل لسومهم العذاب[١].

وظل النحاة مشغولين بفكرة الاتباع الإعرابي مما أبعدهم أحيانا عن فكرة الكشف عن دواعي الكلام وأغراضه وما بين أنساقه من فروق في الدلالات وكأن الغاية لديهم إثبات العلاقة المنطقية بين المعطوف والمعطوف عليه، والتركيز على فكرة التشريك في الحكم؛ ولا يجوز أن نقف عند الجانب الشكلي للآيات منفصلة عن نظرات أكثر عمقا تتصل بالمعنى من حيث تعدد اتجاهاته الإيحائية المنبثقة من السياق، لا من حيث أنه نتاج آلي لترابط نحوي خاص[٢].

وحين نتناول بالدراسة هذه الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة مع زيادة حرف العطف أو بدونه فإننا ننطلق من فكرة تراسل ماهيات المعاني[٣] بين المتعاطفات، فتقدم تحليلا أسلوبيا لصيغة العطف هنا، فينضاف إلى البعد النحوي بُعد آخر دلالي أسلوبي؛ فقد صُدّرت الآيتان في سورتي البقرة والأعراف بـ (إذ نجّيناكم) وهي ظرف، وكان الغرض من الآيتين تعداد نعم الله تعالى على بني إسرائيل، وتذكيرهم بها وما ذُكر في الآيات وإن كان في أصله مِحَنا إلا أنه في نفس الوقت نعمٌ؛ لأن الله تعالى (نجّاهم) و(أنجاهم) منها.

ونلاحظ أن آية (البقرة) جاءت بـ (نجّيناكم) بالتضعيف، بينما آية (الأعراف)

---

(١) العكبري/ املاء ما من به الرحمن ج٢ ص٣٧، الزمخشري/ الكشاف ج٢ ص٥١٧.

(٢) د. عفت الشرقاوي/بلاغة العطف في القرآن الكريم ص٥٨،٥٩.

(٣) المقصود بتراسل الماهيات أن البناء الداخلي لصيغة العطف تنتج معنى كليا عاما هو الذي ندركه لأول وهلة ولا جدوى من اعتبار مفردات العطف منفصلة بعضها عن بعض لأن التغير في أي جزء يؤدي بالضرورة إلى تغيير شامل فالسياق يضفي ظلالا معينا على المعنى يتغير بها المفهوم ضمناوليس تصريحا (المصدر السابق ص٥٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت بالهمزة (أنجيناكم) وكأن الله سبحانه وتعالى يذكرهم مرتين، في حالتين؛ لأن التضعيف يعني تخليصهم من المحن تدريجيا والهمزة تعني تخليصهم منها دفعة واحدة وهذا تذكير لهم بعد (الإنجاء). وهذا المعنى يستفاد من قوله ﴿نزّلنا على عبدنا﴾ و﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، فالإنزال بالتدريج والتنزيل دفعة واحدة.

وعطفا على ما سبق فإن "يذّبحون" في البقرة ورد مضعّفا ليتسق مع (نجّيناكم) لتصور المعاناة في بداياتها وهو فعل الذبح للأبناء بينما (يقتّلون) جاء مع الهمزة أنجيناكم لأن الغرض تذكيرهم بما حصل من النعمة بعد انتهاء الإنجاء كله. وإن كان هناك قتل للأبناء واستحياء للنساء.

أما آية (إبراهيم) التي احتوت الواو، فنلاحظ أن الخطاب من موسى عليه السلام؛ فهو يذكرهم بنعم الله عليهم بعد إنجائهم؛ ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم﴾، ولذلك جاء الفعل بالهمزة (أنجاكم)، فهو يعد إنجاءهم من آل فرعون وقد كانوا يسومونهم العذاب ويذبحون ويستحيون نعمة وإن كانت حين أصابتهم نقمة[١].

وهنا يُطرح سؤال: أليس التذبيح والاستحياء من سوم العذاب؟ بلى.

وإنما أراد أن يذكر هذين الموقفين لبشاعتهما بعد أن ذكر يسومونكم سوء العذاب، وسوء العذاب مجمل والتذبيح والاستحياء تفصيل فهي من باب عطف الخاص على العام والله أعلم.

وقد وردت الآية (٨٦) من سورة الأعراف متضمنة الواو قبل الجملة ﴿وتبغونها عوجا﴾، وفي الآية (٩٩) من آل عمران خلت الجملة ذاتها من الواو رغم اتفاق الآيتين في ألفاظهما على النحو التالي: قال تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (الأعراف ٨٥). ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون، وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا..﴾ (الأعراف ٨٦).

وقال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا﴾ (آل عمران ٩٩). وقد اتفق النحاة والمفسرون على أنّ الواو في الأعراف للعطف، وهي لعطف جملة (تبغونها عوجا) على جملة (تصدون) أي (صادين وباغينها عوجا)[٢].

---

(١) الإسكافي/ درة التنزيل ص١٣، الكرماني/ البرهان ص٢٦.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٢٣، ج١ ص٣٨٤، الكرماني/ البرهان ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت بالهمزة (أنجيناكم) وكأن الله سبحانه وتعالى يذكرهم مرتين، في حالتين؛ لأن التضعيف يعني تخليصهم من المحن تدريجيا والهمزة تعني تخليصهم منها دفعة واحدة وهذا تذكير لهم بعد (الإنجاء). وهذا المعنى يستفاد من قوله ﴿نزّلنا على عبدنا﴾ و﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، فالإنزال بالتدريج والتنزيل دفعة واحدة.

وعطفا على ما سبق فإن "يذّبحون" في البقرة ورد مضعّفا ليتسق مع (نجّيناكم) لتصور المعاناة في بداياتها وهو فعل الذبح للأبناء بينما (يقتّلون) جاء مع الهمزة أنجيناكم لأن الغرض تذكيرهم بما حصل من النعمة بعد انتهاء الإنجاء كله. وإن كان هناك قتل للأبناء واستحياء للنساء.

أما آية (إبراهيم) التي احتوت الواو، فنلاحظ أن الخطاب من موسى عليه السلام؛ فهو يذكرهم بنعم الله عليهم بعد إنجائهم؛ ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم﴾، ولذلك جاء الفعل بالهمزة (أنجاكم)، فهو يعد إنجاءهم من آل فرعون وقد كانوا يسومونهم العذاب ويذبحون ويستحيون نعمة وإن كانت حين أصابتهم نقمة[١].

وهنا يُطرح سؤال: أليس التذبيح والاستحياء من سوم العذاب؟ بلى.

وإنما أراد أن يذكر هذين الموقفين لبشاعتهما بعد أن ذكر يسومونكم سوء العذاب، وسوء العذاب مجمل والتذبيح والاستحياء تفصيل فهي من باب عطف الخاص على العام والله أعلم.

وقد وردت الآية (٨٦) من سورة الأعراف متضمنة الواو قبل الجملة ﴿وتبغونها عوجا﴾، وفي الآية (٩٩) من آل عمران خلت الجملة ذاتها من الواو رغم اتفاق الآيتين في ألفاظهما على النحو التالي: قال تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (الأعراف ٨٥). ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون، وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا..﴾ (الأعراف ٨٦).

وقال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا﴾ (آل عمران ٩٩). وقد اتفق النحاة والمفسرون على أنّ الواو في الأعراف للعطف، وهي لعطف جملة (تبغونها عوجا) على جملة (تصدون) أي (صادين وباغينها عوجا)[٢].

---

(١) الإسكافي/ درة التنزيل ص١٣، الكرماني/ البرهان ص٢٦.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٢٣، ج١ ص٣٨٤، الكرماني/ البرهان ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ما ورد بدون الواو (تبغونها عوجا)، فقد ورد في تفسيرها: تطلبون لها اعوجاجا وهناك مَنْ أعرب الهاء في "تبغونها" مفعولا به و"عوجا" حالا وقع في المصدر (عوجا) موقع الاسم[١]، ولا يخفى ما في هذا الإعراب من التعسف في التأويل؛ أي أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج، وقد سوَّغ الكرماني كون جملة تبغونها عوجا حالا وذلك لخلو الواو منها؛ إذ لا تزاد الواو مع الفعل إذا وقع حالا، وأتى بشاهد: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ و﴿دابة الأرض تأكل منسأته﴾ وجعل الواو في الأعراف للعطف[٢].

ولنتناول الآيتين في سياقهما لندرك الفرق بين مدلوليهما ولماذا وجدت الواو هنا ولماذا حذفت هناك. وسياق الآيتين يوضح اختلاف حال المخاطبين؛ فالخطاب موجه في آية (آل عمران) إلى أهل الكتاب وهم يعرفون "الحق" الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويعلمون أنه الحق؛ فقد بشَّر به عيسى عليه السلام ووردت دلائله في التوراة، ومع تيقنهم من هذا الحق فإنهم يتخذون من الوسائل والأسباب ما يحول بين الناس والإيمان وهم يريدون "العوج" على الاستقامة، ولذا جاءت الآية لتؤكد هذا بـ (وأنتم شهداء)، وقد سبق الفعل "تصدون" أداة استفهام الغرض منه الاستهجان والاستغراب من موقفهم:
لم يصدون عن سبيل الله؟ فإن صدّهم الناس عن دين الحق عملٌ مستغرب لا يناسب معتقدهم بأن دعوة الإسلام هي دعوة الحق، كما خلت الآية من الجار والمجرور واكتفت بمن "آمن" فالمقصود: الإيمان بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو دين الحق أي: مَنْ دخل في الإسلام.

أما ما ورد في سورة الأعراف فالمخاطبون قوم شعيب أهل مدين، يدعوهم نبيهم لعبادة الله وحده وأن يفوا الكيل والميزان... فهو يوجههم فيأمرهم وينهاهم، ويتمثل النهي في قوله: (لا تقعدوا بكل صراط توعدون). ولعل في تفسير الزمخشري لهذه الآية بآية أخرى بيانا وإيضاحا؛ فقد شبههم بمن يقتدي بالشيطان في قوله ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ (الأعراف ١٦). وفي قوله ﴿ويصدون عن سبيل الله من آمن به﴾ (الأعراف ٨٦) والجار والمجرور عائدان إما على السبيل أو على من آمن بالله.

ويلاحظ اختلاف أسلوبي التعبير والخطاب وشدة اللهجة لاختلاف المخاطبين. فأهل الكتاب يعلمون فخاطبهم بأسلوب الاستفهام الاستنكاري؛ ومفهوم "سبيل الله" عندهم ذو دلالة خاصة يعلمونها والمقصود "بمن" آمن خاص بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته أي مَنْ دخل في الاسلام، بينما قوم شعيب لا يزالون في مراحل الدعوة الأولى إذ يدعوهم

---

(١) الزمخشري/ الكشاف ج٢ ص٣٨٤ حاشية الكشاف. (٢) الكرماني/البرهان ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى المبادئ الأولية للإيمان فهم مشركون بدليل قوله: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ ولهم من العادات من خسران الكيل والميزان ما يدل على جهالتهم. أما أهل الكتاب فلديهم من الكتب السماوية ما يعرفونه حق المعرفة، ولا يحتاجون بعده إلى مثل هذه الأوامر والنواهي.

وقوله تعالى:﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين﴾ (الأعراف ١٦١)، وقد كثر الكلام وتعددت الآراء حول ذكر الواو في سورة البقرة (آية ٥٨) قبل عبارة ﴿وسنزيد المحسنين﴾ وعدم ذكرها في الأعراف (١٦١) ويطّرد ذكر الواو وحذفها في مواضع أخرى من آيات متشابهة على النحو التالي في قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾ (البقرة ٥٨).

فقد ارتأى القرطبي أن الواو في البقرة للعطف؛ أي تغفر خطايا من هو عاص، وسنزيد في إحسان من هو محسن، أي نزيدهم إحسانا على الإحسان المتقدم عندهم[١].

وحين حذفت الواو أصبح الخبر مستأنفا، وفي حكم الابتداء (سنزيد المحسنين)؛ فقد انفصل عما قبله، ولا دليل على فصله في اللفظ إلا حرف العطف[٢].

وقد فرق الزمخشري بين العبارتين، فإن كانت بالواو فهي على معنى: من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة (حطة) سببا في زيادة ثوابه، ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة[٣].

أما سنزيد المحسنين بدون واو فوعد بشيئين: الغفران والزيادة.

وفي رأية أن طرح الواو لا يخل بذلك؛ لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقيل له: سنزيد المحسنين[٤].

ومنهم من أشار إلى أن الواو ممكن وجودها في البقرة؛ لأن الآية تبدأ ﴿وإذ قلنا ادخلوا﴾ فالواو قامت بعطف عبارة (سنزيد المحسنين) على عبارة "ادخلوا"؛ وهذا وجه جائز؛ لأن موضع عبارة ادخلوا مفعول به لفعل القول (إذ قلنا) ادخلوا وسنزيد.

---

(١) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٤١٥.

(٢) الخطيب الإسكافي/درة التأويل ص١٦،١٧،١٨.

(٣) الزمخشري/الكشاف ج١ ص١٤٥.

(٤) المصدر نفسه ج٢ ص١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في آية الأعراف (إذ قيل) فقد تم حذف الواو في آية سنزيد المحسنين ليحول ذلك دون عطف هذه العبارة على عبارة "اسكنوا" التي هي نائب؛ فاعل إذ إنه من المتعارف نحويا أنه لا يجوز أن يأتي الفاعل أو نائب الفاعل جملة، ووجود الواو سيجعل من العبارة (وسنزيد) جملة معطوفة، وعليه فإن جملة (سنزيد المحسنين) جملة استئنافية، في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، فكأننا نقول (فنحن سنزيد)[١].

والرأي أنّ من يتدبر سياق الآيتين: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾(البقرة ٥٨). وقوله تعالى: ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين﴾ (الأعراف ١٦١).

يدرك أن ما ورد في آية البقرة تذكير من الله لهم بوعده على تقدير "اذكروا"، إذ قلنا فجاءت (وسنزيد المحسنين) مرتبطة بما هو مطلوب منهم: ادخلوا، قولوا. فإن تحقق ذلك كان هنالك تحقق لوعد الله ﴿نغفر لكم وسنزيد المحسنين﴾ وزيادة.

أما آية الأعراف فتذكير من الله لهم بعد أن لم يفعلوا ذلك فهم، بدلوا قولا غير الذي قيل لهم؛ فيذكرهم الله بما كان قيل لهم من الدخول إلى القرية وقول (حطة) وبما وعدوا به (سنزيد المحسنين) .. مع أن ذلك كله حكاية حال سابقة مما لا يستدعي وجود الواو كما استدعتها الحال في سورة البقرة. والله أعلم.

وقد وردت آيتان من سورة الشعراء ذُكرت في إحداها واو العطف ولم تُذكر في الثانية على لسان ثمودتخاطب نبيهم صالحا حين قال تعالى: ﴿إنما أنت من المسحرين، ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ (الشعراء ١٥٣،١٥٤)،. وجاءت آية ١٨٥ من السورة نفسها على لسان قوم شعيب: قال تعالى: ﴿إنما أنت من المسحرين، وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ (الشعراء ١٨٥،١٨٦).

ويذهب بعض المفسرين إلى أن سبب زيادة الواو أن شعيبا كان خطيب الأنبياء فأحب القوم أن يجاروا فيما ذهب إليه من قول فزادوا هذه الواو[٢].

وذهب الكرماني إلى أن شعيبا زاد في الحديث، فزادوا له في القول، وأن صالحا قلل فقللوا وافترض أن الواو جعلت الجملة الثانية معطوفة وأن عدم ذكرها جعل الجملة الثانية بدلا من اتحاد المعنى. والمعلوم أن دلالة العطف تغاير دلالة البدل، ويبدو أن تعليل الكرماني والألوسي غير مقنع[٣].

---

(١) الألوسي/روح المعاني ج١٩ ص١١٩.

(٢) الإسكافي/درة التأويل ص١٧.

(٣) الكرماني/البرهان ص١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ورد في تفسير الزمخشري: أن كلمة (المسحّر) لها معنيان: الأول الذي سُحِر كثيرا حتى غلب على عقله، والثاني من له رئة ومعدة فيأكل ويشرب أي أنه بشر[١].

وأجاب عن سؤال طرحه: هل اختلف المعنى بإدخال الواو ها هنا وتركها في قصة ثمود؟ ويجيب: إذا دخلت الواو فقد قُصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية. وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد؛ وهو كونه مسحرا ثم قرر أنه بشر مثلهم.

والمعنى واحد فيما ذهب إليه قوم صالح من أنه بشر يأكل ويشرب فلا حاجة لوجود الواو؛ فالمقصود بقولهم "من المسحرين": أنه ذو معدة يأكل ويشرب وبذلك تكون الجملة الثابتة مؤكدة لبشريته بصراحة النص. ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾.

أما ما قاله قوم شعيب فالقصد من المسحرّين المعنى الثاني "من المسحورين" الذين أصيبوا بمسّ، وهذا يختلف عن كونهم بشرا، وبذا يكون قوم شعيب وصفوه بصفتين: البشرية، وكونه مسحورا؛ لذا ذكرت واو العطف[٢].

وقد رجّح الدكتور فضل عباس هذين المعنيين بدليل تاريخي؛ وهو أن القبائل الأولى (ثمود وعاد) لم تكن مشهورة بالسحر، وكلما جاءهم نبي كذبوه بأنه بشر يأكل ويشرب، وأن السحر لم يكن معلوما لدى قوم صالح.

أما السحر عند قدماء المصريين فقد حدثنا القرآن الكريم عنه، كما أنَّ قرب المسافة بين مصر ومدين منزل شعيب ترجح معرفتهم للسحر. ومن هنا يكون القصد بالمسحرين: "المسحورين"[٣].

ومما يلفت النظر أيضا ذكر الفعل المضارع "لتبتغوا مسبوقا بالواو في آية، والفعل ذاته في آية مشابهة بدون "الواو".

قال تعالى في سورة النحل (١٤):

﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

وقال تعالى في سورة فاطر(١٢):

﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٣١٨، ص٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص٣١٨، ص٣٢٢.

(٣) د. فضل عباس/اعجاز القرآن الكريم ص٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن يتدبر سياق الآيتين ويتفكر في علة ذكر الواو في"ولتبتغوا" بالواو وحذفها من "لتبتغوا" يدرك أن الواو جاءت في مكانها وأن لفظة "لتبتغوا" خلت من الواو لاستغناء الدلالة عنها، ومع أن ظاهر الآيتين يوحي باتفاقهما في الدلالة لتشابه الآيتين في الألفاظ تقريبا ابتداء من ﴿لتأكلوا لحما طريا﴾ ﴿وتأكلون لحما طريا﴾. فإن غاية الآية الأولى تختلف عن غاية الثانية.

فسورة النحل تبدأ بتعداد نعم الله تعالى في قوله: ﴿والأنعام خلقها لكم﴾ (آية ٥).

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ...﴾ (آية ١٠) ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ (آية ١٢)، ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه﴾.

وبعد أن يعدد سبحانه نعمه على الإنسان في البر يعدد نعمه في البحر وهي نعم متنوعة متعددة؛ أولها: ﴿لتأكلوا منه لحما طريا﴾، وثانيها: ﴿لتستخرجوا منه حلية﴾، والثالثة: منفعة الركوب ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ بالإضافة إلى منافع أخرى يبتغيها الإنسان من فضل الله عليه؛ وبذلك يكون ابتغاء فضل الله نعمة أخرى مضافة إلى بقية النعم الإلهية وعلى نسقها.

إلا أن غاية الآية الثانية مختلفة: ﴿وا لله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾، ﴿وما يعمَّر من معمَّر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على ا لله يسير﴾ (١١)، ثم قوله تعالى: ﴿وما يستوي البحران﴾ (فاطر ١٢).

فالغاية تعداد دلائل قدرة الله، وأن هذا الخلق والتكوين وتحديد الأعمار والإماتة والإحياء -كل ذلك، مع كونه محيرا للعقول والأفهام، فهو على الله يسير، ومن كان ذلك عليه يسيرا فلن يصعب عليه البعث والنشور[1].

وقد ساق الله سبحانه آية ﴿وما يستوي البحران﴾، ليدل على مزيد من قدراته على الخلق والتكوين، فجعل بحرا عذبا فراتا، وآخر ملحا أجاجا. ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ﴿ومن كل تأكلون لحما طريا﴾؛ وهو السمك ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر﴾- كل ذلك ﴿لتبتغوا من فضل ا لله﴾؛ واللام هنا بدون واو سلكت مسلك التعليل؛ وهي في الفعل حرف رجاء مستعار لمعنى الإرادة. فحذفَ الواو من قوله "لتبتغوا"؛ لأن الآية لم تُبْنَ على فعل يقتضي استيعاب ما يتعلق به، كما كان في قوله، وهو الذي سخر البحر لكذا وكذا بعضه إثر،

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٥٧٤،٥٧٥. تفسير أبي السعود ج٥ ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض ثم صارت مواخر، تلي قوله "لتبتغوا"، وصح تعلق الكلام بمعنى المواخر؛ لأن معناها التي تشق الماء وتسير بأهلها؛ واللام على هذه الصفة لتبتغوا من فضله فلما اتصلت مواخر بقوله لتبتغوا ولم يحجز بينهما ظرف استغنى عن الواو لذلك.

ويحتمل أن تكون الآية مثلا ضربه الله سبحانه لتشبيه المؤمن والكافر بالبحرين ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات ...[1] وهذا ملح أجاج﴾.

ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من مأكل وملبس وجري الفلك؛ فرغم ملوحته فالسمك عذب طري، أما الكافر فهو كما قال تعالى ﴿ثم قست قلوبكم من بعد فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾، ثم قال: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ (البقرة ٧٤) ومما يرجح هذا القول سياق الآية (٨) في المقايسة بين من يعمل السيء ومن يعمل الحسن في قوله تعالى ﴿أفمن زين له سوءعمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (فاطر ٨)[2].

ويحظى تعاقب ذكر الواو وحذفها بأهمية كبيرة تصل إلى درجة تشكل ظاهرة ذات بال في القرآن الكريم، وتأتي هذه الآيات شواهد مضيئة على تعاقب الذكر والحذف لحرف الواو قال تعالى:

﴿اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ (آل عمران ١٣٦).

وقال تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾ (العنكبوت ٥٨،٥٩).

وقوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظر كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة﴾ (فاطر ٤٤)

وقوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظر كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾ (الروم ٩).

وقوله تعالى: ﴿إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشر من طين﴾ (ص ٧١)

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة ٣٠).

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٥٨٦، ٥٨٧، تفسير أبي السعود ج٧ ص١٤٦.

(٢) الإسكافي/درة التأويل ص٢٥٩، ض٢٦٢. انظر التأويل المسهب للآيتين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى: ﴿وذلك الفوز العظيم﴾ (التوبة ٨٩).
وقوله تعالى: ﴿وذلك الفوز العظيم﴾ (غافر ٩).

ب- واو القسم:

وممّا شغل النحاة والمفسرين وجود الواو في بداية آية (المؤمنون ٢٣) مقترنة بالواو وخلوها منها في سورة (الأعراف ٥٩) على النحو التالي:
قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ (المؤمنون ٢٣).
وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ (الأعراف ٥٩).

ومن اللافت للنظر أن كل ما ورد مشابها لهذه الآية ثبتت فيه الواو قبل لقد، إلا في سورة الأعراف، فقد جاءت خالية منها.

وقد تعددت آراء النحاة في هذه الواو، فرأى بعضهم أن تكون واو قسم بتقدير والله لقد أرسلنا، وردّ بعض النحاة هذا الرأي مستبعدا أن تكون اللام للقسم لأن هذا يعني أن يكون المقسم به قد حُذِف وبقي حرفه وجوابه وفي ذلك حذف للمجرور وإبقاء الجار والنحاة قالوا لا بد من إبقاء المجرور(١).

ومنهم من اعتبرها ابتدائية واللام جوابا لقسم محذوف(٢)، وعلل عدم وجود الواو في الأعراف بتقدم ذكر نوح بصراحة في الآيات، إلا أن الخبر في الأعراف ابتدائي لم يتقدم في هذه السورة ذكر رسول ليكون عطفا عليه(٣).
ومنهم من قال أن الواو في "المؤمنون" للعطف أي عطف قصة على قصة(٤)، ورفض أن تكون للقسم.

وقد اتفق النحاة على اعتبار اللام مع قد بدون الواو للقسم،بمعنى "والله لقد" واعتبروا الجملة بعدها جوابا لقسم محذوف فقال الزمخشري:"ولا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقَلَّ عنهم أن تأتي بدونها لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها لأن "قد" مظنّة التوقع"(٥).

---

(١) الألوسي/روح المعاني ج١٠ ص١١٠.
(٢) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٠٨،١٠٩.
(٣) الألوسي/روح المعاني مج ٤ ص٣٨٧.
(٤) الزركشي/البرهان ج١ ص١٥١.
(٥) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٠٨،١٠٩. تفسير أبي السعود مج ٣ ص٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونقل الألوسي عن النحاة أنهم قالوا: إذا كان جواب القسم ماضيا مثبتا متصرفا فإما أن يكون قريبا من الحال فيؤتى "بقد"، وإلا أثبت باللام فجوزوا الوجهين.

ويبقى السؤال الذي لم يُجَبْ عنه (لم وُجدت الواو في "المؤمنون" ولم توجد في (الأعراف)؟ وبالعودة إلى سياق الآيتين نلاحظ أن آية "المؤمنون" جاءت فيها بلفظة "ولقد" قبل ذكر نوح مرتين[١] الأولى في قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ والثانية في قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾ (المؤمنون ١٧)، ثم في قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه...﴾. (المؤمنون ٢٣).

وترى الباحثة أن الذي دفع بعض النحاة إلى القول بأن الواو للقسم وليست للعطف في سورة "المؤمنون" أسباب تتعلق بإثبات علاقة الإسناد للمعطوف (أرسلنا نوحا) ، وهو معطوف كما يُلاحظ، على الآية التي قبله وما تعلقت به أي الآيتين ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ (٢١) و﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ (٢٢) ثم ﴿ولقد أرسلنا نوحا﴾؛ فلم تنطبق على الآية (٢٣) فكرة التشريك المطلق في الحكم؛ (وهي فكرة تعلق بها النحاة في معنى العطف بصفة عامة)[٢]؛ إذ لا علاقة بين هذه الآية وما قبلها لاختلاف المعطوف والمعطوف عليه؛ فلجأ بعضهم إلى القول بأن الواو للقسم وإنْ مال بعضُهم إلى تقدير رابط بعيد وهو عطف قصة على قصّة.

وتميل الباحثة إلى أن هذه الواو للعطف وأن العطف في هذه الآية يُلقي بظلاله خاصة على المتعاطفين من حيث صلة المعطوف بالمعطوف عليه بلاغيا ومعنويا، لا نحويا؛ فقد ذُكر سابقا أنّ ثلاث آيات قد بدأت بـ (ولقد)، جاءت اثنتان منها لتدلل على وجود الله سبحانه، وعلى قدرته، ولتعرض أمام المشركين أدلة مقنعة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يعرضه عليهم، ثم عطفت الآيتان بقصة نوح (ولقد أرسلنا) لتقول للمشركين على سبيل التوعد والتهديد: إن كانت هذه الآيات الكونية المقنعة لكل عاقل متدبر لم تصل بكم إلى الإيمان بسبب عنادكم؛ فإليكم قصة نوح مع قومه كيف عاندوا واستكبروا فحل بهم من العذاب ما حل؛ فكأن ذلك تهديداً لمشركي مكة ليثوبوا إلى رشدهم، فالآيات الدالة على الله وعلى صدق رسالة نبيّه، ساطعة فاعتبروا وإلا حلّ بكم ما حل بمن سبقكم أي: (قوم نوح).

---

(١) الكرماني/ البرهان ص٧٢.

(٢) الألوسي/روح المعاني ج١ ص١١٠.

(٣) د. عفت الشرقاوي/بلاغة العطف في القرآن الكريم ص٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في سورة الأعراف فلم تأت الواو لأن قصة نوح كانت هي بداية القصص بعد ذكر آدم[١] وأهل الأعراف[٢] ثم عطف عليها بقصة هود وقصة صالح وشعيب فقال: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه...﴾ (الأعراف ٥٩)، (٦٤) ثم ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ ...(الأعراف ٦٥)، ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾ (٧٣: ٧٩)، ... الخ.

جـ- الواو التي قال النحاة بزيادتها:

ومما يلفت النظر آيتان متشابهتان في سورة الزمر ذكرت الواو في إحداها وحذفت من الأخرى على النحو التالي: قال تعالى:

قال تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ... الآية﴾ (الزمر ٧١).

وقوله: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ... الآية﴾ (الزمر ٧٣).

وقد أخذت الواو في "وفتحت" جزءا من اهتمام النحاة والمفسرين والبلاغيين واختلف تقديرهم لإعرابها من جهه ولدلالتها الوظيفية من جهة ثانية.

فاختلف موقف النحاة من هذه الواو المذكورة في أبواب الجنة دون أن تذكر مع أبواب النار؛ فاستدل ابن هشام بعدم ذكرها في أبواب"جهنم" على أنها زائدة في آية أبواب الجنة وسمّاها "واوا دخولها كخروجها"[٣]؛ فالمقصود وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها، ويترتب على ذلك أن تكون جملة "فتحت أبوابها" جوابَ "إذا".

لكنّ ابن هشام نفسه عدد احتمالات العلاقات النحوية في هذه الآية، أن تكون "الواو" في "وفتحت عاطفة" والزائدة واو "قال لهم خزنتها" فتكون الآية على معنى: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها سلام عليكم فيكون جواب إذا: "قال لهم خزنتها سلام عليكم"[٤]. أو أن تكون "واو" "فُتحت" و واو "قال" عاطفتين وجواب "إذا" محذوفا، فيكون تقدير الكلام: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم ... (اطمأنوا

---

(١) انظر الآيات من (١١: ٢٧) قصة آدم وعصيان إبليس ونزول آدم إلى الأرض ثم خطاب بني آدم (٢٧).

(٢) قصة الأعراف (٤٦) وما بعدها (الأعراف) حتى قوله تعالى كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون آية (١٥٨).

(٣) ابن هشام/مغنى اللبيب ج١ ص٣٢٦، ٣٦٣.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص٣٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو كان كيت وكيت)، وهناك احتمال رابع وهو أن تكون واو "فتحت" "للحال" وتكون دلالتها" أي جاؤوها مفتحة أبوابها؛ واستدل بآية ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾، وبذلك ندرك كيف تعددت احتمالات الإعراب لهذا الحرف بتعدد العلاقات النحوية في هذه الآية فتعددت احتمالات المعنى(١).

أما موقف المفسرين من هذه "الواو" وجودها وحذفها، فقد أخذ مسارا آخر: فذهب بعضهم إلى أن "الواو" في "وفتحت أبوابها" هي واو الثمانية، واستشهد بآية "الكهف": ﴿يقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ (الكهف ٢٢) وجاءت تسمية واو الثمانية عن جماعةمن الأدباء كالحريري ومن النحويين كابن خالويه، زعموا أن العرب إذا عدّوا قالوا: واحدا اثنين ... سبعة وثمانية؛ إيذانا بأن السبعة عدد تام وأن ما بعدها عدد مستأنف(٢).

وإذ استنتج المفسرون في ضوء ذلك أن أصحاب الكهف ثمانية مع وجود الواو قاس بعضهم و"فتحت" أبوابها فقال أبواب الجنة ثمانية، لذا ذكرت الواو، وأبواب النار سبعة فلم تذكر واو الثمانية، وممّا يجعل هذا التفسير بعيدا وغير مقبول في سورة "الزمر" كما قيل في الكهف، أن العدد لم يرد ذكره على الإطلاق في سياق "فتحت أبوابها"؛ فقد ذكرت لفظة "الأبواب" دون تحديدٍ لعددها، فكيف يُعْرَف العدد ويُحدّد دون ذِكْره؟

وبالرغم من أن عدد أبواب الجنة قد ورد في حديث للبخاري: "في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى باب الريان لا يدخله إلا الصائمون"(٣)، فإن هذا العدد لم يرد أو يحدد في الآية مما يجعلنا نقر بصحة نفي واو الثمانية في هذا المقام؛ لأنه لم يذكر العدد، ونستبعد رأي من يقول بوجود واو الثمانية.

وذهب عدد من المفسرين إلى أن أبواب جهنم تكون مغلقة ولا تفتح إلا حين مجيء الكفار إليها كسائر أبواب السجون؛ وهذا يسوغ عدم ذكر الواو في قوله ﴿حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها﴾ إذ كانت مغلقة، واستدلوا بعدم وجود الواو على أن جملة "فتحت" جاءت جوابا للشرط، وأن شرط فتحها مجيء الكفار، أما أبواب الجنة فإن أبوابها تُفتح

---

(١) انظر العكبري/املاء ما من به الرحمن ج٢ ص١١٦.فقد رفض أن تكون الواو زائدة فهي للحال والجواب محذوف.

(٢) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن الكريم ج١٥ ص٢٨٣،٢٨٤. الألوسي/روح المعاني مج ١٢ ص٢٨٦.

(٣) العسقلاني/فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم ١٨٩٧ مج ٤ ص١٣٣، التبريزي/مشكاة المصابيح ج١ كتاب الصوم حديث رقم ١٩٥٧-(٢) ص٦١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلفا قبل مجيء المؤمنين استبشارا وتطلعا إلى من سيدخلها، وبعد ذلك يجدون من أنواع الكرامات ما يفاجئهم (وفتحت ...). وعلى ذلك رأيُ عدد كبير من المفسرين[١].

ويبدو أن احتدام الخلاف حول هذه "الواو" كاد أن يشغل النحاة والمفسرين عن بلاغة وجود "الواو" وأهمية ذكرها في آية الجنة، مما لا يستدعي وجودها في آية جهنم.

والذي أراه أن من مظاهر تكريم الله لعباده أن الجنة تكون مهيأة ومُعدَّة ومشرعة أبوابها لاستقبال المؤمنين مما يكون أدعى للبهجة والراحة النفسية لهم. ويخيل للإنسان طول المسافة رغم اقتراب المؤمن منها فلطالما انتظرها، فكلما اقترب منها خطوة زاد شوقه، فيناسب هذا الشوق أن تكون الجنة مفتحة أبوابها لتناسب تعاظم شوق المؤمنين فلا ينتظرون حتى تفتح، وهذا يستدعي وجود "الواو".

أما بالنسبة لجهنم فكلما اقترب الكافر ازداد خوفا وحذرا وتعاظم الخوف إلى درجة الرعب فكلما تقدم خطوة تمنى في نفسه أن يتأخر، وأن يرجع إلى الوراء، نتيجة الوقع النفسي الشديد لتخيل ما ينتظره؛ فهو يريد أن يتراجع فما أن يصل إلى النار إلا وتفتح أبوابها وحميمها ليكون الوقع أعظم والرعب أشد؛ فلم يستدع الموقف ذكر "الواو". والله أعلم.

ولعل ما جعل الخلاف يحتدم حول هذه "الواو" هو وجود أداة الشرط "إذا"، والمعروف أن النحاة أينما وجدوا شرطا بحثوا له عن جواب، فإن لم يجدوه في سياق الآيات أخذوا في تقديره وتأويل وجوه محتملة حتى تستقيم قواعد الشرط ويندرج المثال تحت القاعدة.

ولعل تقدير زيادة "الواو" واعتبارها زائدة دخولها كخروجها "إنما هو من قبيل البحث عن تسوية للوضع ليستقيم معنى الشرط وجوابه"[٢].

ولم تكن "الواو" في سورة الزمر وحيدة في بابها؛ ففي سورة يوسف أيضا وردت الآية ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه﴾ (يوسف ١٥).

---

(١) أبو حيان/النهر الماد مج٥ ص٥٥،الإسكافي/درة التأويل ص٤٠٩-٤١٠. الكرماني/البرهان ص١٨٦، القرطبي/الجامع ج١٥ ص٢٨٣-٢٨٤، الألوسي/روح المعاني مج ١٢ ٢٨٦-٢٨٨، تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٦٤.

(٢) تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبحث النحاة عن جواب "لمّا" فما استقام لهم، وما تحدد؛ فلم يجدوا مفرا من تقدير إحدى "الواوين" زائدة: فإما أن يكون المعنى فلما ذهبوا أجمعوا وأوحينا. أو أن يكون: فلما ذهبوا وأجمعوا أوحينا.

ومثله: في قوله تعالى ﴿فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم﴾ (الصافات ١٠٣).

ومثله: ﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم﴾ (آل عمران ١٥٢).

وكذلك ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ (التوبة ١١٨).

وقد يحصل العكس فيقدر بعضهم واو العطف محذوفة في أحد الموضعين، كما اقترح بعض النحويين في آية النار قياسا على آية الجنة فقال: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾ على تقدير واو محذوفة[١].

ونخلص إلى النتيجة التالية: إن أسلوب الشرط في هذه الأمثلة وعلى رأسها حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها من حيث ظاهره التقليدي الصوري المألوف أسلوب منطقي إذ يرتبط فيه السبب بالنتيجة والشرط بالجزاء ولذلك فإنه بصورته المتكاملة التي يتخيلها النحاة لأصل التركيب لا يناسب مقام التعبير القرآني وإذا كان من الإعجاز البياني للقرآن الكريم حذف أو إغفال ذكر جواب الشرط مع استعمال الواو (وفتحت) للتعبير عن المفاجأة حيث تذهب النفس فيه كل مذهب – فليس من براعة التحليل النحوي البلاغي للقرآن الكريم أن نعود إلى تقدير هذا الجواب بألفاظنا ومعانينا لنخضع القرآن الكريم للثابت الذي نعرفه ونألفه[٢].

وترى الباحثة أن من أساليب التصوير الفنية في القرآن الكريم ذلك الأسلوب الذي يبدو مشروطا بلا جواب وهو أسلوب يفتح أمامنا آفاقا من التعبير تختلف أسراره باختلاف المناسبة والسياق.

---

(١) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٢٧٣، ٢٨٤، الألوسي/روح المعاني مج ١٢ ص٢٨٦، ٢٨٨.

(٢) د. عفت الشرقاوي/بلاغة العطف في القرآن الكريم ص٧٠-٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

* تعاقب الذكر والحذف في المفردة: الاسم والفعل

وفيه الموضوعات التالية :

تعاقب الذكر والحذف في:

- المبتدأ
- الفعل
- الفاعل
- المفعول به
- الموصوف
- المؤكد المعنوي
- المعطوف
- العلم
- الاسم الموصول
- المعرف بالأداة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في المفردة (الاسم والفعل):

تتميز مفردات القرآن الكريم بخصائص ومميزات عديدة منها: جمال وقعها، واتساقها مع المعنى، واتساع دلالتها؛ فهي مفردات منتقاة مختارة، تختص كل منها بمعنى لا تؤديه مفردة أخرى؛ لأنها مقدرة خير تقدير معبرة أصح تعبير وأصدقه.

وأن التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية يمنح القارئ إدراكا متكاملا لمدلولها، ويفتح أمامه أبواب الوعي الدقيق لكثير من الآيات القرآنية التي يتعاقب فيها ذكر المفردة وحذفها.

وإذا كان بعض العلماء يعد الترادف من خصائص اللغة ومفاخرها، فإن كثيرين قد وقفوا من فكرة الترادف في ألفاظ القرآن الكريم موقف السلبية والإنكار؛ فقالوا لا ترادف في مفرداته، لأن كل مفردة هي في مكانها لتؤدي دلالة محددة، فإذا حذفت أو تغيرت المفردة تغيرت الدلالة.

وتعرض الباحثةفي هذا الفصل لقضايا ذكر مفردات بأعيانها في آيات وحذفها في آيات أخرى. وسيتم ذكر الآيات وتحديد نوع المذكور والمحذوف وتوضيح علل الحذف والذكر وفيما يلي عرض لتعاقب الذكر والحذف في المبتدأ.

أ- تعاقب ذكر المبتدأ (المسند إليه) وحذفه:

تعاقب الذكر والحذف في المبتدأ (ضمائر التوكيد):

يطرد ذكر ما سماه النحاة ضمير الفصل أو العماد في آيات القرآن الكريم ليصبح ظاهرة تستدعي الدراسة. ومما يلفت النظر وجود العديد من الآيات المتشابهة ذُكر فيها الضمير مقابل آيات أخر لم يذكر فيها هذا الضمير. هذه الآيات المتشابهة هي:

أ- الضمير "هو":

قال تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (القلم ٧).

﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (الأنعام ١١٧).

﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ (القصص ٨٥).

﴿وربك أعلم بمن في السماوات والأرض﴾ (الإسراء ٥٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ذُكر الضمير في قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ با لله إنه هو السميع العليم﴾ (فصلت ٣٦).

وحُذِف في قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ با لله إنه سميع عليم﴾ (الأعراف ٢٠٠).

وقد ذُكِر في قوله تعالى: ﴿ذلك بأن ا لله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن ا لله هو العلي الكبير﴾ (الحج ٦٢).

وحُذِف من قوله تعالى: ﴿ذلك بأن ا لله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن ا لله هو العلي الكبير﴾ (لقمان ٣٠).

وقد اختتمت الآيات التالية بقوله تعالى: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ متضمنة الضمير "هو":

سورة الجاثية ٣٠، التوبة ٧٢، ١١١، غافر ٩، الدخان ٥٧، الحديد ١٢، والأنعام ١٦.

كما اختتمت الآيات التالية بقوله تعالى: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ بدون الضمير هو:

النساء ١٣، المائدة ١١٩، التوبة ٨٩، الصف ١٢، التغابن ٩، التوبة ١٠٠.

وقال تعالى: ﴿إن ا لله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (الزخرف ٦٤).

وقال تعالى: ﴿إن ا لله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (آل عمران ٥١).

وقال تعالى: ﴿وإن ا لله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (مريم ٣٦).

وذُكِر مرة وحُذف أخرى في قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (الشعراء ٧٨-٨٠).

﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ (الشعراء ٨١) بدون "هو".

- الضمير "هم":

كما تعاقب ذكر الضمير "هم" وحذفه في الآيات التالية على النحو التالي:

وقال تعالى: ﴿ألا لعنة ا لله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل ا لله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون﴾ (هود ١٨، ١٩).

وقال تعالى: ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة ا لله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل ا لله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون﴾ (الأعراف ٤٤، ٤٥).

قال تعالى: ﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمة ا لله هم يكفرون﴾ (النحل ٧٢).

﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمة ا لله يكفرون﴾ (العنكبوت ٦٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطرد ذكر الضمير "هم" في الآيات التالية: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ (يوسف ٣٧) و(فصلت ٧).

﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ (النمل ٣).

﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ (النمل ٥).

﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم ٧).

كما ذكر الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض﴾ (غافر ٢١).

وقال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض﴾ (غافر ٨٢).

اختلف النحاة في تسمية هذا الضمير وفي أسباب هذه التسمية، كما اختلفوا في إعرابه، وتدبر كل وجه من وجوه هذا الإعراب.

أما اختلافهم في التسمية؛ فقد ذهب الكوفيون إلى أن الضمير الذي يُفصل به بين المبتدأ والخبر يسمى عمادا، وعللوا هذه التسمية بأنه يَعتمدُ عليه معنى الكلام.

بينما أطلق عليه البصريون "ضمير الفصل" وعللوا التسمية بأنه يُميِّزُ به بين النعت والخبر، واشترطوا في الخبر أن يكون معرفة أو كالمعرفة (شبيها بالمعرفة)، وأن يكون اسما. وفائدة الضمير هنا أن يأتي لدفع اللبس بين أن يكون المعرف "بأل" خبراً أو تابعاً، وبوجود الضمير يتعيُن أنّ ما بعدَه خبرٌ لا صفة.

وقد خالف الجرجاني؛ فألحق المضارع بالاسم "لتشابههما"؛ فأجاز أن يأتي بعد الضمير فعل مضارع، وكذلك أبو البقاء العكبري وابن الخباز وابن الأنباري، فقالوا بأنهم يجيزون في قوله تعالى: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ (فاطر ١٠) وقوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ (التوبة ١٠٤) أن يكون (هو) ضمير فصل، يفصل بين المبتدأ والخبر، حين يكون فعلا مضارعا، ولا يجيزون زيد هو قام[1]. وعللوا ذلك بحجة ضعيفة، لأن الفعل المضارع أشبه بالأسماء شبهاً أوجب له الإعراب بخلاف الماضي؛ ولهذا المعنى جاز أن يقع المضارع بعد حرف الاستثناء دون الماضي. وقد توسع ابن

---

(١) ابن الأنباري/الإنصاف ج٢ المسألة ١٠٠ ضمير الفصل ص٧٠٦-٧٠٧، ابن هشام/ مغني اللبيب ج٢ ص٣٥٤.

(٢) ابن الأنباري/البيان في غريب القرآن ج٢ ص٢٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخباز أيضا فيما أجازه الجرجاني؛ فأجاز أن يقع الماضي بعد ما سماه "ضمير الفصل" في قوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ (النجم ٤٣-٤٥) وعلل ذلك قائلا: إنما أتى بضمير الفصل قبل "أضحك" "وأمات" ولم يأت مع "خلق"؛ لأن بعض الجُهَّال قد أثبت هذه الأفعال لغير الله كالنمرود الذي قال: أنا أحيي وأميت، وأما الثالث فلم يدعه أحد من الناس[1]، ولم يقف خلاف النحاة عند حد تسمية هذا الضمير وتعليل تسميته، وشروط ما قبله وما بعده، بل في وضع شروط لهذا الضمير (الفصل) أهمها: أن يكون مبتدأ في الحال أو الأصل (أولئك هم المفلحون)، وقوله تعالى: ﴿وإنا نحن الصافون﴾ (الصافات ١٦٥) وأن يكون معرفة في الأصل أو الحال وخالفهم الفراء ومن تابعه من الكوفيين، فأجازوا كونه نكرة وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿أن تكون أمة هي أربى﴾[2] (النحل ٩٢).

ويصل المرء إلى درجة من عدم القناعة بعلة وجود مثل هذا الضمير بعد نكرة أو فعل مضارع أو فعل ماض؛ لأنه لم يعد هناك حاجة لدفع لبس أو لفصل بين الخبر والتابع. ولا بقبول تسميته "ضمير فصل" حيث أنه لم يَفصِلْ، وما جاء لدفع اللبس، ولا أن يسمى عمادا لعدم اعتماد معنى الكلام عليه.

ومثلما اضطربوا في تسميته "فصلا" أو عَمادا اضطربوا في إعرابه واختلفوا: فزعم البصريون أن ضمير الفصل (حسب تسميتهم) لا محل له من الإعراب، وقال الكوفيون إن ضمير العماد له محل من الإعراب، واختلفوا في محله: فذهب الكسائي إلى أن محله بحسب ما بعده، وقال الفراء بل بحسب ما قبله؛ لأن محله بين المبتدأ والخبر "رفع"، وبين مفعولي ظنّ "نصب"، وبين معموليّ (كان) رفع عند الفراء، ونصب عند الكسائي، وبين معمولي إن بالعكس.

وفي ضوء ذلك تعددت احتمالات أوجه إعرابه:

ففي قوله تعالى: ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ (المائدة ١١٧) يحتمل الضمير "أنت" أن يكون ضمير فصل أو توكيدا لفظيا ولا يحتمل الابتداء؛ لأن الرقيب منصوب فهو "خبر كان". وقوله تعالى: ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ يحتمل الفصلية والابتداء دون التوكيد؛ لدخول اللام في الأولى، ولكون ما قبله ظاهرا في الثانية، واحتمال الثلاثة في "إنك أنت علام الغيوب" والضمير في قوله "أن تكون أمة هي أربى من أمة" مبتدأ؛ لأن ظهور "ما" قبله

---

(١) ابن هشام/المغنى ج٢ ص٤٩٤-٤٩٥.

(٢) ابن الأنباري/الأنصاف المسألة ١٠٠ ج٢ ص٧٠٦-٧٠٧، ابن هشام/ المغني ج٢ ص٤٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمنـع التوكيـد وتنكيـره بمنع الفصل[١].

وداقع كلّ عن رأيه في إعرابه فاحتج الكوفيون لقولهم: (حُكْمُه حُكْمُ ما قبلَه)؛ لأنـه توكيد لما قبله؛ فينزل منزلة النفس إذا كان توكيدا، فكذلك ضمير العماد؛ وأما من ذهب إلى أن (حكمَهُ حكم ما بعده)؛ فقد احتج بأن الضمير مع ما بعده كالشيء الواحد؛ فوجب أن يكون حكمُه مثل حكمِه[٢].

وأما حجة البصريين بأنـه لا موضع لـه من الإعراب؛ فلأنـه ما دخل على الجملة إلا لمعنى؛ وهو الفصل بين النعت والخبر، وقد أبطل ابن الأنباري حجة من قال من الكوفيين إنه توكيد لما قبله، وأنه بمنزلة (جاءني زيد نفسه)؛ لأن المكّنى لا يكون تأكيدا للمظهر، كما أبطل حجة من قال إنه بعده كالشيء الواحد؛ لأنه لا تعلق له بما بعده؛ فهو كناية عما قبله، فكيف يكون مع ما بعده كالشيء الواحد[٣].

ولا يخفى أيضا الجهود المضنية التي بذلوها أثناء خلافهم، وتدبر أوجه الإعراب وتصدي كل منهم للآخر لإبطال حجته.

وقد أبعدهم هذا الاختلاف حول التسمية والإعراب والتوسع في مفهوم الفصل؛ ليجعل بعضهم من ضمائر الفصل ذلك الضمير الذي يأتي بين الاسم والخبر إذا كان مضارعا أو ماضيا أو اسما غير معرف، أبعدهم عن التفكير في وظيفة هذا الضمير والفائدة التي تعود على الجملة من وجوده، وإن صرحوا من البداية أن له فائدة لفظية؛ وهي الإعلام، من أول الأمر، بأن ما بعده خبر لا تابع، وبناء عليه سمي فصلا أو عمادا.

وقد أشار البيانيون إلى فائدة أخرى لهذا الضمير سوى الفصل؛ وهي فائدة الاختصاص.

فذكر الزمخشري فوائد الضمير في تفسيره لآية (وأولئك هم المفلحون)، فقال: (هم) فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتأكيد على أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره.

وبيّن معنى التعريف في (المفلحون) الدلالة على أن المتّقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة، فتعريف "المفلحون"، وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين اسم الإشارة "أولئك"؛ ليبصرك بمراتبهم، ويرغبك في طلب ما طلبوا، ولينشطك لتقديم ما قدموا[٤].

---

(١) ابن هشام/مغني اللبيب ج٢ ص٤٩٨:٤٩٣.

(٢) الأنباري/الأنصاف ج٢ المسألة ١٠٠ ص٧٠٦. انظر شرح ابن يعيش على المفصل ص٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٧٠٦

(٤) الزمخشري/الكشاف ج١ ص٥٤،٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرأي لدي أن ما ذهب إليه الزمخشري في بيان وظيفة الضمير في الجمل هو الهدف الأجدى والأجدر، وبما أن هذا الضمير قد يأتي متبوعا بفعل أو نكرة فما جدوى أن يُسمى فصلا، كما أنه لا يمكن تسميته ضمير شأن أو قصة؛ إذ إنه لم يأت في مطلع الجملة[1]، ويعود على ما بعده لزوما، وتأتي بعده جملة مفسرة.

وفي ضوء ما أوضح الزمخشري ترى الباحثة أن هذا الضمير –حتى وإن جاء لرفع لبس– إنما جاء لتوكيد المعنى دون أن تقصد التوكيد اللفظي التابع المعروف؛ وبذلك نتخلص من الخلاف ونتدبر آيات تعاقب ذكر "ضمير التوكيد" وحذفه؛ لتبيين وظيفة ذكره وعلة حذفه.

وباستقراء الآيات السابقة وتدبرها نستخلص الملاحظات التالية:

– لا يخلو موضع من المواضع التي ذكر فيها الضمير (هو) أو (هم) من دلالة التوكيد؛ فهذا الضمير يعتبر وسيلة لقرع الآذان وتنبيه النفوس إلى الفكرة أو الخبر الذي تتضمنه الآية ليستقر في القلب؛ فينتهي الحال بالمستمع إلى الإيمان بها، فقوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم﴾ مع ذكر الضمير "هو" قد أعطى الخبر (أعلم) قيمة أدت إلى رسوخ خبر العلم وكأنه حقيقة ناصعة؛ وهكذا الحال في الآيات الأخرى التي احتوت على الضمير هو أو هم.

– فإذا ما اقترن الضمير بتعريف الخبر زاد التوكيد لدرجة تجعل المبتدأ كأنه مقصور على الخبر؛ وهذا الخبر مقصور عليه دون غيره، مثل قوله: ﴿وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ با لله إنه هو السميع العليم﴾ (فصلت ٣٦) وقوله: ﴿ذلك بأن ا لله هو الحق وإن ما يدعون من دونه هو الباطل وإن ا لله هو العلي الكبير﴾ (الحج ٦٢)؛ فالله هو السميع العليم، وهو الحق وغيره هو الباطل، وإن الله هو العلي الكبير، وذلك هو الفوز العظيم ولا فوز سواه، وكقوله تعالى: ﴿إن ا لله هو ربي وربكم﴾ (الزخرف ٦٤)، وهو من كلام عيسى، عليه السلام؛ يريد أن يؤكد الربوبية لله، وينفي الأبوة عنه؛ فالله وحده ربه وربهم؛ ولا يخفى ما أفاده وجود الضمير في الآيات السابقة لرفع اللبس أيضا؛ فقد يلتبس الخبر بالبدل إن لم يؤت بضمير هو في قوله تعالى ﴿ذلك بأن ا لله هو الحق﴾ .

– وقد يأتي الضمير بعد الأفعال التي هي مظنّة الاشتراك بين البشر والله، سبحانه وتعالى؛ فوجود ضمير الفصل في هذا الموضع يصبح ضرورة لمعنى الاختصاص؛ وهذا

---

(١) انظر ابن هشام/مغنى اللبيب ج٢ ص٤٩٠–٤٩١، قل هو الله أحد ونحو فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا والكوفيون يسمونه (ضمير المجهول).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفسر وجود الضمير في الآيات قبل الفعل يطعمني ويسقين ويشفين (الشعراء ٧٨، ٨٠)، وخلو آية (الذي خلقني)، (الذي يميتني ثم يحيين) (الشعراء ٧٧، ٨١) من هذا الضمير، وهو يفسّر كذلك وجود الضمير في قوله تعالى: ﴿وأنّه هو أضحك وأبكى﴾ (النجم ٤٣)؛ لأن الإطعام، والسقيا، والإضحاك، والإبكاء مظنّة الاشتراك بين البشر والله تعالى.

ومما يلفت النظر في الآيات التي على لسان إبراهيم إسناده الإطعام، والسقيا، والإماتة، والإحياء إلى الله سبحانه وتعالى، وإسناده المرض إلى نفسه؛ فلم يقل: إذا أمرضني فهو يشفين، بل أسند الشفاء إلى الله تأدبا وتحرجا من أن ينسب ما فيه أذى أو ألم إلى الله، سبحانه وتعالى.

- وقد أتى "هو" الضمير ليشكل عنصرا من عناصر التشويق والحث على العمل يتضح ذلك في الآيات التي احتوت على عبارة ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾، والمقصود بالفوز العظيم الذي لا فوز بعده كقوله تعالى وهو وعدٌ منه للمؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى:

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة ٧٢).

ولما ذكر سبحانه المجاهدين بأموالهم وأنفسهم أثبت الضمير، وقال في شأنهم: ﴿أولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾ (التوبة ٨٨) واكتفى بذكر الضمير الذي اقترن بأل التعريف مع "مفلحون" ليطمئنهم أنهم المفلحون فلاحا لا فلاح بعده، ولم يُذكر الضمير هو في قوله تعالى: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ (التوبة ٨٩). ولعل طبيعة الإيمان المقرون بالقوة والبذل والكرامة والشجاعة والاستقامة صفات تستدعي مثل هذا الضمير "هم المفلحون"، وتستدعي في الجزاء السابق (هو الفوز العظيم).

والمجاهدون الذين نالوا الشهادة بعد أن قاتلوا أعداء الله ثم قتلوا في سبيله فقد وعدهم بأن لهم الجنة "وذلك هو الفوز العظيم"؛ فهو حث على الجهاد والتضحية والموت في سبيل الله لنيل مثل هذا الجزاء، وقد يحمل ذكر الضمير في مجال الموازنة بين أعمال الكفار والمنافقين ومصيرهم من جهة وأعمال المؤمنين ومصيرهم من جهة أخرى - يحمل معنى الترغيب في أعمال الخير، والترهيب من أعمال الشر، وفتح باب التوبة والأمل بذكر ما ينتظر المؤمنين من النعيم والثواب المقيم، ويتضح هذا الهدف من وجود الضمير في قوله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾ (التوبة ٦٧)، وفي قوله: ﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ (التوبة ٦٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر بالمقابل المؤمنين وصفاتهم قائلا سبحانه: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ...﴾ (التوبة ٧١)، ثم عقب بوعده الذي لا يخلف لهؤلاء: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة ٧٢)، ويلفت النظر قوله، سبحانه، في المنافقين: (بعضهم من بعض)، وقوله في المؤمنين: (بعضهم أولياء بعض)؛ فالمنافقون بعضهم مثل بعضا أفراد ضعاف لا جماعة متماسكة قال تعالى: ﴿بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ (الحشر ١٤) لذا قال سبحانه (بعضهم من بعض)، لبيان نوعهم وجنسهم ودينهم، أما المؤمنون، فهم جماعة متماسكة كل واحد ولي حميم للآخر[1] فهم يد على من سواهم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعل التنفير من صفات المنافقين من جبن وذلة وتخاذل وصغاروهوان يستدعي مثل هذا الوصف المقترن بضمير الفصل ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ (التوبة ٦٧) ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ (التوبة ٦٩) ولعل هذا ما يجعل المنافق يفكر في التوبة حين يوازن بين مصيره ومصير المؤمن وما أعده الله من الثواب؛ فيعود إلى الطريق القويم؛ فقد خص المنافقين بأنهم الخاسرون الفاسقون وخص المؤمنين بالفوز العظيم ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة ٧٢).

وقد يتطلب المعنى من التأكيد ما يدعو إلى تكرار الضمير في جملة واحدة في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ (النمل ٣)، فقد أكد إيمانهم بالآخرة لتكرار الضمير قبل الخبر (يؤمنون) وفي المقابل أكد على خسران الفريق الآخر بتكرار الضمير أيضا، كما في قوله تعالى: ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ (النمل ٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم ٧)، وقوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ (هود ١٩)، فالآيات تؤكد على صفات هؤلاء وما يستتبع هذه الصفات من عقاب لأنهم لا يوقنون بالله أو هم غافلون عن الآخرة، أو كافرون بها؛ ولذا هم الأخسرون؛ أما المؤمنون بالآخرة فقد أكد أيضا صفاتهم بقوله: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾، وفي سورة البقرة وصف الله سبحانه المتقين بأنهم (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) ... ثم ركز على ايمانهم الأكيد بالآخرة فقال: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ (البقرة ٤).

---

(١) سيد قطب/في ظلال القرآن مج٤ ص٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في جزائهم: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ وأكد تأكيدا آخر، فعطف وكرر ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ (البقرة ٥). وقد ذكر الضمير أيضاً في هذا الموضع بالإضافة إلى توكيد الخبر – لضرورة الإسناد – ورفع اللبس، وكذا في آية (٢١) من سورة غافر؛ فلولا ذكر الضمير لأشكل على المستمع تحديد المقصود بالإخبار؛ أي لمن أسند هذا الخبر. في قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة﴾ (غافر ٢١) فلو قال: (كانوا أشد منهم) لاحتمل المعنى أن السابقين كانوا أشد من الناظرين أو العكس؛ أما بوجود الضمير فقد تحددت الدلالة، وتأكد المعنى؛ فإن السابقين هم الأشد قوة؛ أما في آية (غافر ٨٢)؛ فلأن الآية اختلف نسقها؛ فجاءت على النحو التالي: ﴿كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ بدون كانوا، ثم استأنف: (كانوا أكثر منهم)؛ فاستغنت عن الضمير لوضوح الدلالة وتحديدها؛ فهي خاصة بمن كانوا قبلهم دون غيرهم.

تعاقب ذكر الفعل وحذفه:

ذكر النحويون المواضع التي يحذف الفعل فيها، ومن هذه المواضع أن يجاب به نفي أو استفهام، وبعد القول في جواب الاستفهام، وفي المواضع التي لا التباس فيها[٢].

ويلفت النظر ظاهرة حذف الفعل من الجملة التي تأتي جوابا لاستفهام في آية وذكره في آية أخرى على النحو التالي:

وقال تعالى: ﴿ولئن سألتهممن خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (الزمر ٣٨).

وقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ (الزخرف ٩)، ويعرب لفظ الجلالة: فاعلا لفعل محذوف؛ أي خلقهن الله، ويجوز أن يكون مبتدأ خبرُه محذوف، إلا أن تقدير الفعل أولى من تقدير المبتدأ؛ لمطابقة الجواب للسؤال؛ ولأن ذلك جاء مصرحا به في آية الزخرف فما السر في ذكر الفعل؟.

على الرغم من أن هاتين الآيتين تعرضان لموقف المشركين من فكرة خلق

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج١ ص٥٤،٥٥.

(٢) أبو حيان/البحر المحيط ج٦ ص٤٦٨. د. عبد الفتاح الحموز/التأويل النحوي في القرآن الكريم ج١ ص٥٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السماوات والأرض، وتصوّر تناقضهم في اعترافاتهم وسرعة ردّهم بما يعبّر عن معرفة أكيدة، لا تحتمل الشك بأن الله خلق السماوات والأرض، وفي إشراكهم به وعدم إيمانهم بوحدانيته. فإن أسلوب الإجابة عن السؤال نفسه في كل منهما قد اختلف، فماذا ترتب على ذلك؟

من يتدبر الإجابة الأولى عن السؤال نفسه يلمح فيها الحسم وسرعة الرد "الله" مع ملاحظة دلالة نون التوكيد الثقيلة "ليقولن" ولفظ الجلالة مباشرة "الله".

وقد اختلف المقام في الآية الثانية؛ فهو مقام بسط وعرض وكأنه حوار علمي؛ ففي هذه الآية يقرّون أنه الخالق ويعلمون من صفاته "العزيز العليم"، وهم يدركون العديد من آيات الله بدليل قوله تعالى في الآية التالية: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون﴾ (الزخرف ١٠).

﴿والذي نزل من السماء ماء، والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ...﴾ إلى آية ١٤؛ فهم يعلمون، لكنهم بالرغم من معرفتهم الأكيدة، يشركون ويكذبون كما قال تعالى: ﴿وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين﴾ (الزخرف ١٥).

ولعل التفاوت في الإجابة يوحي بالتفاوت في القصد من السؤال من ناحية واختلاف المقال لاختلاف المقام بدليل سياق آية الزمر. ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ (الزمر ٣٨).

فالإجابة سريعة صادرة عن شخص متأكد مثلما أن السائل متأكد ...؛ فقد أقروا أنه "الله". ولعل هذه الإجابة طرف خيط يمسك به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ للتوصل إلى بطلان ما يعبدون من دون الله؛ فهم لا يملكون ضرا ولا نفعا؛ فليس الهدف من السؤال المحاورة العلمية المتدرجة للتوصل إلى نتيجة، ولكن الموقف فيه تقرير سريع بـ "الله" وقرار بتناقضهم وبطلان ما يعبدون؛ وفي الأمر الإلهي "قل" حسم وحزم.

<u>حذف الفاعل:</u>

<u>بناء الفاعل للمجهول ونيابة المفعول:</u>

من الظواهر الأسلوبية الواضحة في البيان القرآني ظاهرة الإستغناء عن الفاعل، وهو ما يُطلق عليه أرباب الدراسات اللغوية الحديثة مصطلح "الحجب"[1]؛ أي حجب

---

(١) حوليات الجامعة التونسية: تونس-١٩٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاعل بحذفه. وقد تعددت الدراسات حول هذا الحذف وتنوعت فنجدها في كتب الصرف في باب بناء الفعل للمجهول، وفي كتب النحو في باب نائب الفاعل وأحكامه[١]، وفي كتب علم البيان في باب إسناد الفعل إلى غير فاعله على سبيل المجاز.

ومما يلفت النظر في البناء القرآني اطراد ظاهرة الاستغناء عن الفاعل بالبناء للمجهول، ويقابله ذكر الفاعل في البناء للمعلوم.

ومن الآيات التي تعاقب فيها ذكر الفاعل وحذفه ما يلي: قال تعالى: ﴿**يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين**﴾ (الواقعة ١٧).

وورد في سورة الإنسان:

﴿**يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا**﴾ (الإنسان ١٥) ﴿**قواريرا من فضة قدروها تقديرا**﴾ (الإنسان ١٩). وقوله: ﴿**يطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا**﴾ (الإنسان ١٩).

فالآية في سورة الواقعة ذكرت الفعل "يطوف" مقترنا بفاعله الموصوف (ولدان مخلدون)، وأن هؤلاء الولدان المخلدين يطوفون على أهل الجنة وعليهم ثياب فاخرة وحلي وزينة بأكواب وأباريق؛ فالغرض ذكر الطائفين وبيان صفتهم؛ فهم صغار السن بدليل قوله تعالى في آية أخرى: ﴿**ويطوف عليهم غلمان كأنهم لؤلؤ مكنون**﴾ (الطور ٢٤).

أما في الآية ١٥ من الإنسان، فقد ذكر الفعل "يطاف" عليهم بآنية فحجب الفاعل؛ لأن المقصود ما يطاف به على أهل الجنة؛ لذا أفاض في وصف هذه الآنية؛ فهي مخلوقة من فضة، وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفافيتها؛ فهي تجمع بين صفتي جوهرين مختلفين: الفضة، والقارورة؛ لذا قدرّها أهل الجنة في أنفسهم؛ فجاءت حسب ما يشتهون، وقدر ما يحتاجون[٢].

وباختلاف القصد اختلف أسلوب التعبير: فحين قصد وصف الفاعلين (الطائفين) ذكرهم لتعلق الصفة بهم (غلمان صباح الوجوه لا تدركهم السن لأنهم مخلدون وهم في سن الصباحة والصبا والوضاءة وكأنهم لؤلؤ منثور[٣]).

وقد استغنى البيان القرآني عن ذكر الفاعل وأسنده إلى غير فاعله حين كان القصد التركيز على الحدث "يطاف بآنية"، بصرف النظر عن محدثها وهم الطائفون.

---

(١) عائشة عبد الرحمن/الإعجاز البياني ص٢٢٢.

(٢) سيد قطب/في ظلال القرآن ج٨ ص٣٩٩.

(٣) الزمخشري/الكشاف ج٤ ص٦٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبتدبر قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطَبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ (التوبة ٩٣)، وقوله قبل ذلك من السورة نفسها: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ (التوبة ٨٧)، وبالرجوع إلى الآيات السابقة وصولا إلى الآيات مدار البحث نجد أن الآية الأولى قد سبقها قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله. ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾ (التوبة ٩١).

﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ (التوبة ٩٣).

فهذه الآيات نزلت فيمن تخلف عن الجهاد بالمال من القادرين ماديا؛ فعقبت على موقف هؤلاء المتخلفين عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم: ﴿طبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾، أي خذلهم الله؛ فغفلوا عن وخامة العاقبة؛ وبسبب ذلك لا يعلمون غائلة ما رضوا به وما سيتبعه آجلا[1]؛ فالتركيز في هذه الآية على الحدث (الطبْع) وعلى الفاعل "الله".

أما الآية الثانية فقد سبقت بقوله تعالى: ﴿إذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا: ذرنا نكن مع القاعدين، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ (التوبة ٨٦-٨٧) فهذه الآية نزلت فيمن خالف أمر الله فتخلف عن المشاركة في الجهاد بالنفس مع القدرة.

ففي قوله سبحانه طُبع على قلوبهم: إخبار من الله تعالى بحالهم؛ فهم مفطورون على التخلف عن الجهاد؛ لذا لا يتدبرون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاوة والضلال[2]؛ فالطبع علىقلوبهم هو الذي منعهم من الجهاد، فهم مطبوع على قلوبهم، وليس تخلفهم حالة مستحدثة أو حدثا عابرا، فالتركيز في هذه الآية على الحدث، وفي السابقة على الحدث والفاعل معا (طبع الله على قلوبهم).

وللخطيب الإسكافي رأي في هاتين الآيتين إذ قال: إن قوله تعالى (طُبع على قلوبهم) مسبوق بقوله (وإذا أنزلت سورة) فصدرت بفعل عُلِم أن فاعله الله فيما لا

---

(١)تفسير أبي السعود ج٤ ص٩٢، ص٩٣.

(٢) أبو حيان/النهر الماد ج٣ ص١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقتضي ذكر الفاعل فحُمِل عليه الفعل الثاني؛ لأنه معلوم أن "الله" يطبع مثلما يعلم أنه أنزل السورة من باب المشاكلة، فقال فطُبع للعلم بالفاعل من جهة وللمشاكلة اللفظية من جهة ثانية.

أما الثانية فجاءت في موضع إشباع وتأكيد وتنبيه وتحذير وتخويف فسمي الفاعل ليليق هذا الفعل بمكانه[١] وتابعه الرأي الكرماني[٢].

وترى الباحثة أنّ البناء للمجهول "طبع" قد أكسب الحدث دلالة الدوام والاستمرار، فالطبْع موجود على قلوبهم من قبل، وقلوبهم قاتمة مسبقا ومغلقة عن نور الهدى؛ إذ كان النفاق متجذرًا في قلوبهم، فمن المنطق ألا يشاركوا في الجهاد على الرغم من أنهم أغنياء ويمتلكون القدرة، وليس لهم من الأعذار ما يسوغ التخلف من عرج أو عمى أو فقر وأن الله طبع على قلوبهم لتخلفهم لذا قال: طُبع ولم تأت (طبَع الله).

وتطرد ظاهرة حجب الفاعل في القرآن الكريم بصورة لافتة للنظر فقد وردت الأيتان المتشابهتان التاليتان:

﴿وإن يكذبوك فقد كَذّب الذين من قبلهم﴾ (فاطر ٢٥).

وقال تعالى: ﴿فإن يكذبوك فقد كُذبت رسل من قبلك﴾ (فاطر ٤).

ورغم أن الآيتين في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم حين كذبته قريش وأن الهدف منهما تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتخفيف من آلامه ودعوته إلى الصبر فإن دلالة كل منهما مختلفة عن دلالة الأخرى حسب تغير بنية الفعل "كذّب": فالأولى: إن يكذبوك تعني أنهم ليسوا أول قوم يكذبون رسلهم فقد كذّب أقوام قبلهم على الرغم من مجيء رسلهم بالبينات[٣].

والثانية: إن يكذبوك فلست أولّ نبيّ يواجه تكذيب قومه فقد سبقك العديد من الرسل ونالهم من أقوامهم ما نالك من التكذيب؛ فالآية الأولى ركزت على ذكر الفاعل وهم (المكذبون) يدل على ذلك قوله تعالى: "كذب الذين من قبلك"، أما الثانية فقد ركزت على حجب الفاعل لأن القصد "التكذيب" الذي يقع على الرسل الذين كانوا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ونال النبي صلى الله عليه وسلم من قبل مثلَ ما نالهم.

---

(١) الخطيب الإسكافي/درة التنزيل ص٢٠١.

(٢) الكرماني/البرهان ص٨٩.

(٣) انظر تفسير الآيات أبو حيان/النهر الماد ج١ ص٦٠٨،ج٤ ص١٩٧. الزمخشري/ الكشاف ج٣ ص١٥٨، ٥٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما وردت آيتان متتاليتان من سورة التوبة حجب فيهما الفاعل وسد مسده المفعول به في الآية الأولى وحُذف هذا المفعول من الآية الثانية على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كُتِب لهم به عمل صالح﴾ (التوبة ١٢٠).

ثم قال تعالى: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كُتِب لهم﴾ (التوبة ١٢١).

ومن يتأمل الآيتين يدرك أن الظمأ والنصب والمخمصة (الجوع) ليست أعمالا، أما أن (يطؤوا موطئا) و(ينالوا من عدو) فهي أعمال؛ وبذلك لحق أجر ما ليس بعمل بما هو عمل فقال تعالى: ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾؛ أي أجر عمل صالح، أما النفقة والسير فتُكتبُ وتخطُّ بذاتها ليجزيهم الله عليها[١]. وهكذا ولد هذا الفرق في أسلوب التعبير فرقا في المعنى والدلالة أو أن الفرق بين الأمرين أفرز فرقا في أسلوب التعبير فجاء الأسلوب الأول: كتب لهم به عمل صالح وجاء الثاني إلا كتب لهم.

تعاقب ذكر المفعول وحذفه في آيات القرآن وأثر ذلك في الدلالة:

من يتتبع مواضع حذف المفعول به في القرآن الكريم في ضوء المواضع التي ذكر فيها يدرك أثر الحذف والذكر في إثراء الدلالة، وقد تحدث النحاة قديما عن علاقة الفعل بالفاعل أو المفعول، إلا أن تناولنا لهذه الآيات يتجاوز الجانب النحوي إلى الجوانب الدلالية، لتوحي إلى التباس معنى الفعل بالفاعل والمفعول، فإذا حذف المفعول أو لم يذكر كان داعما على إثبات المعنى للشيء على الإطلاق وعلى الجملة[٢]، كما قد يوحي بعموم الدلالة النابعة من الفعل لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل[٣] وتخلص له وتتصرف بجملتها كما هو له[٣].

ومن يتأمل قوله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ (آل عمران ٣٢). ويقارنه بقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾ (التغابن ١٦) يدرك أن الطاعة في الآية الأولى

---

(١) الخطيب الإسكافي/درة التنزيل ص٢٠٥.

(٢) عبد القادر الجرجاني/دلائل الإعجاز ص١١٩.

(٣) المصدر نفسه ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاصة بالله والرسول صلى الله عليه وسلم وفي الثانية مطلقة وعامة (الطاعة بشكل عام).وقد تغيرت دلالة الفعل (يعقل) في الآيات التالية:

أ- قال تعالى: ﴿يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ (البقرة ٧٥).

ب- قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ (الحج ٤٦).

وأغلب ما ورد الفعل (عقل) في القرآن الكريم دون أن يستوفي مفعوله، ومنه قوله تعالى:

﴿أفلا تعقلون﴾ (البقرة ٤٤)، ﴿لعلكم تعقلون﴾ (البقرة ٧٣)، ﴿إن كنتم تعقلون﴾ (آل عمران ١١٨)، فدلالة الفعل في الآية الأولى عقل: فهم، والثانية يفكرون بها والثالثة لعموم الفهم والإدراك.

وكذلك الفعل "علم" استخدم في القرآن في العديد من الآيات متعديا كقوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ (المائدة ١١٦).

كما تعددت مواضع حذف المفعول بعد الفعل (علم) في آيات أخرى: ﴿وأنتم تعلمون﴾ (البقرة ٢٢)، ﴿إن كنتم تعلمون﴾ (البقرة ١٨٤)، وقوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر ٩).

ومن المواضع التي ذكر فيها الأسلوب القرآني المفعول به مقترنا بفعله والمواضع الأخرى التي خلت من هذا المفعول مع الفعل ذاته آيتان ذكرت فيها لفظة "حسنة" في موضعين ولم تذكر في الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿فمن الناس من يقول ربنا "آتنا" في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ (البقرة ٢٠٠)، ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (البقرة ٢٠١).

ويتضح جمال ذكر المفعول وأهميته في موضعيهما من الآية وضرورة الحذف وعلته في الموضع الثالث؛ فالآيتان تتحدثان عن فئتين من الناس: فئة لا تطلب بذكر الله إلا عرض الدنيا وفئة تطلب خير الدارين (الدنيا والآخرة)؛ أما الفئة الأولى فإن همها الكسب الدنيوي خاصة دون الالتفات إلى ما هو أبعد؛ فهي تدعو ربها بعطاءٍ دنيوي غير محدد النوع لكنه متعلق في الدنيا: (ربنا آتنا في الدنيا) فأن يعطيها الله في الدنيا فهذا مقياس السعادة وغاية ما تتمناه، وأما الفئة الثانية: فتطلب "الحَسَنتين" وهي أيضا تدعو أن يؤتيها الله في الدنيا وقدمت "في الدنيا" على المطلب "حسنة" ثم حددت المطلب الأول بلفظة "حسنة" وعطفت بمطلب آخر (وفي الآخرة) وحددته بـ "حسنة"، ولتكرار ذكر حسنة دلالة عميقة تبين معالم العطاء الذي تطلبه من حيث النوع والزمان؛ فهذه الفئة تنشُد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوفيق في الخير في الدنيا دون أن تنسى ثواب الآخرة، وهي تدرك أن الله يحاسب عباده على ما يمنحهم؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ (التكاثر ٨)؛ فعقبت الفئة بمطلب ثالث: ﴿وقنا عذاب النار﴾، وختمت الآية بقرار إلهي أن لكل من الفئتين الداعيتين نصيبا من جنس ما دعوا به يعطيهم في الدنيا وفي الآخرة ما يستحقون. قال تعالى: ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ (البقرة ٢٠٢)، وتحمل لفظة كسبوا دلالة "الدعاء" إلى جانب دلالة العمل بدليل قوله تعالى: ﴿بما كسبت أيديهم﴾ أي ما عملت أيديكم[١].

ومن خلال هاتين الآيتين ندرك الغرض من حذف المفعول في الآية الأولى، وهو إثبات الفعل للفاعل (الإيتاء) أما ما "يؤتيهم" فخارج عن الغرض؛ "وفي هذا الحذف فائدة جليلة وغرض لا يصح إلا على تركه"[٢].

أما الآية الثانية ففيها ذكر المفعول به "حسنة" بقصد النص على ما يريدون فوجود المفعول به قيّد نوع الإيتاء وحدده.

وقد يحذف المفعول به لغرض نفسي حتى لا يثبت المذكور بذكره أو بتكراره في نفس السامع، بينما يذكر المفعول ويكرر ذكره حتى يرغب فيه ويحث عليه، وعلى ذلك يكون الذكر للترغيب والحذف للتنفير، وهذا ما يفسر حذف المفعول في قول الله تعالى من سورة "المؤمنون": ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ (المؤمنون ٩٦).

وقوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾ (فصلت ٣٤).

فقد احتوت الآيتان على أمر من الله "أن يدفع المؤمن السيئة بالحسنة" ولا يقابل السيئة بالسيئة، لكنَّ أسلوب التعبير قد اختلف باختلاف ترتيب الألفاظ في الآيتين؛ فجاء كل منهما على نمط خاص ولهدف خاص؛ فقد تقدّم الجار والمجرور على المفعول به للأهمية في الآيتين (ادفع بالتي هي أحسن).

كما ذُكِر المفعول به "السيئة" وأخّره في الآية الأولى وحذف في الثانية، وقد عدل الأسلوب القرآني عن لفظة الحسنة إلى التعبير (بالاسم الموصول وضمير الفصل واسم التفضيل)؛ فحملت بنية العبارة من دلالة التوكيد والترغيب ما يفوق دلالة "الحسنة" فلقد عبر عن الحسنة بأسلوبٍ زادها حسنا.

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج١ ص٢٤٥، ص٢٤٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني/دلائل الإعجاز ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يأت الأسلوب القرآني بعبارة "التي هي أسوأ مقابل التي هي أحسن" بل عدل إلى لفظة "السيئة" فذكرها في الآية الأولى لضرورة تحديد المعنى المراد، وحذفها في الثانية؛ إذ اكتفى بذكرها في بداية الآية، ولم يشأ أن يذكرها ثانية بينما ذكر "التي هيأحسن" وذكر الحسنة في نفس الآية.

ولعل دلالة "السيئة" التي ينهى عنها الشرع، ويحط من مقامها، وينفر منها، مقابل دلالة "الحسنة"، أو "التي هي أحسن" مما يحث عليه الشرع ويرغب فيه ويرفع من مقامه بدليل قوله ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (فصلت ٣٤) لعل ذلك يعتبر مسوغا لحذف السيئة وإثبات الحسنة وتكرارها، كما تمّ ذكره في بداية القول لما لهاتين الكلمتين المتناقضتين من أثر في النفس فالذكر للترغيب والحذف للتنفير وحط القيمة.

وقد اجتمعت في الآية الأولى ظاهرة الذكر إلى جانب التقديم الرتبي (بالتي هي أحسن) السيئة، كما اجتمعت في الآية الثانية ظاهرة الحذف إلى جانب التقديم الرتبي مما يجعل لهذا الذكر والتقديم من الروابط النفسية ما يؤهلها لأن تكون أسبق في التصور الذهني من غيرها (السيئة) كما يقال: التقديم في اللسان تبع للتقديم في الجنان. وفي ذلك أيضا ما فيه من العناية والاهتمام بالمتقدم المذكور[1].

ويطرد حذف المفعول به عندما يكون المراد الاقتصار على إثبات المعاني التي اشتقت منها الأفعال لفاعليها.

وقد اجتمع الذكر والحذف للمفعول في آية واحدة احتوت على الفعل كذّب:

قال تعالى: ﴿فإن يكذبوك فقد كذّبت رسل من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود﴾ (الحج ٤٢).

وقال تعالى: ﴿إن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم﴾ (فاطر ٢٥).

وقال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بماكانوا يكسبون﴾ (الأعراف ٩٦).

فالخطاب في آية الحج وفاطر موّجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حين كذبته جماعة من اليهود، منهم كعب بن الأشرف[2]، وفي الخطاب تسرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن هؤلاء الذين كذبوه ليس بدعا في الأمم؛ فقد كذّب قوم نوح وعاد وثمود من قبلهم؛ فالمكذبون في بداية الآية جماعة اليهود، والمكذّب هو الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذكر صراحة على شكل ضمير متصل للمخاطب، وفي جواب الشرط جاء الفعل مبنيا للمعلوم.

---

(١) ابن الأثير/المثل السائر ج٢ ص٩٧، سعد أبو الرضا/في البنية والدلالة ص١٠٩.

(٢) أبو حيان/النهر الماد ج١ ص٦٠٨، ج٤ ص١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(فالمُكَذَّبون) مذكورون معروفون و(المكذَّبون) أي (رسلهم) لم يصرِّح بهم لمعرفتهم من سياق الآية، ولم يذكرهم لا صراحة ولا تلميحا في آية فاطر، لأن الهدف أن يعرف محمد صلى الله عليه وسلم أن "التكذيب" من ديدن الأقوام وأن نتيجة التكذيب الهلاك، إذ قال في آية أخرى: ﴿كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ (ق ١٤) لذا ربط العذاب والوعيد بالتكذيب[1]. وقوله في آية (الأعراف ٩٦): ﴿ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.

والجدير بالذكر أن الفعل "كذَّب" في القرآن الكريم جاء على أساليب عدة وحسب تنوع الأسلوب تنوعت الدلالة.

فبالإضافة إلى ما أوضحناه من تعدي الفعل إلى مفعول أو اكتفائه بفاعله فقد جاء في سورة يونس وقد تعلق به جار ومجرور (كذبوا به) وذلك في قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ (يونس ٧٤)، كما جاء الفعل "كذب" مبنيا للمجهول "كُذِّب". قال تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كُذِّبت رسل من قبلك﴾ (فاطر ٤). إذ حجب الفاعل مكتفيا بالتركيز على الحدث وهو التكذيب وعلى الرسل الذين وقع عليهم التكذيب.

وما قيل في ذكر المفعول وحذفه مع الفعل "كذب" يقال في الفعل "عفا"؛ فقد تصرَّف فيهالأسلوب القرآني على أنحاء متعددة كما هو في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ (الشورى ٤٠).

﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ (التغابن ١٤).

﴿ولقد عفا عنكم﴾ (آل عمران ١٥٢)و﴿عفا الله عما سلف﴾ ،(المائدة ٩٥).(البقرة ١٧٨)

﴿فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ (البقرة ١٧٨). (التغابن١٤)

لقد جاء الفعل (عفا) في عدة مواضع من القرآن الكريم بقصد "العفو العام"﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ (الشورى٤٠)،﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ (التغابن١٤)، و(البقرة ٢٣٧)، و(النور ٢٢)، و(البقرة ١٠٩).

ويجمع بين هذه الآيات هدف إبراز عموم العفو، دون التركيز على ذكر المعفو عنهم. وقد ورد في مواضع أخرى الفعل (عفا) مقترنا بحرف الجر (عن) كما في قوله تعالى:

﴿ولقد عفا عنكم﴾ (آل عمران ١٥٢)، و﴿عفا الله عما سلف﴾ (المائدة ٩٥)، و﴿عفا الله

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنك﴾ (التوبة ٤٣)، ﴿ثم عفونا عنكم﴾ (البقرة ٥٢). وبذلك يكون الهدف العفو عنهم بالإضافة إلى العفو ذاته؛ أي تخصيص العفو.

وفي موضع من القرآن الكريم جاء الفعل مبنيا للمجهول في قوله تعالى: ﴿فمن عُفِي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ (البقرة ١٧٨). فالهدف عملية "العفو" دون النظر إلى نوع المعفو عنه وقد اكتسبت اللفظة دلالة "سمح". وبذلك حُجِب المفعول.

وكذلك ورد الفعل (سمع) متعديا إلى مفعول في قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ (المجادلة ١)، ومتعديا بالباء في قوله تعالى: ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ (يوسف ٣١)، ودون أن يستوفي مفعوله في قوله تعالى: ﴿قالوا سمعنا وأطعنا﴾ (البقرة ٢٨٥)، وقوله ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ (طه ٤٦)، ومتعديا باللام ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ (فصلت ٢٦).

تعاقب ذكر الموصوف وحذفه:

يلفت نظر المتدبر لآيات القرآن الكريم استخدام كلمة "الدنيا" دون أن تقترن بالحياة في حوالي مائة وخمسة عشر موضعا بينما وردت كوصف للحياة أي (الحياة الدنيا) في ثمان وستين آية.

كما وردت كلمة "الآخرة" في حوالي مائة وخمسة عشر موضعا أيضا دون أن تقترن "بالدار"، بينما استخدم الأسلوب القرآني الآخرة صفة للدار أي (الدار الآخرة) في تسع آيات.

وفي القرآن الكريم آيتان متشابهتان نزلتا في المنافقين جاءت كلمة الدنيا في الأولى منهما صفة "للحياة" في حين حذفت الحياة في الثانية واقتصرت على لفظة الدنيا على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في "الحياة الدنيا" وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ (التوبة ٥٥).

وقال تعالى : ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في "الدنيا" وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾: (التوبة ٨٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نزلت الآيتان في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بشأن المنافقين والمراد بالخطاب جميع المؤمنين، والملاحظ أن الآية ٥٥ أسبق في النزول من الآية ٨٥[١]، ولابد أن يكون لتجدد النزول شأن في تقرير ما نزل وتأكيده حتى يكون على بال المخاطَب (النبي صلى الله عليه وسلم)؛ فلا ينساه أو يسهو عنه ولو للحظة؛ فمن يهمه أمر يرجع إليه في أثناء حديثه ليركز عليه. وقد أعيد هذا المعنى للأهمية فيما يجب أن يُحذّره الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] من أحوال المنافقين وصفاتهم وخباياهم.

وقد تكون الآية الثانية نزلت في حق فريق غير الفريق الأول إلا أن هذه الفئة لا تخرج في معناها عن الأولى فهي فئة من المنافقين أيضا[٣]. فقد سبقت الأية الأولى بقوله تعالى: **﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا با لله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾** (التوبة ٥٤). وسبقت الثانية بقوله تعالى : **﴿ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا با لله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾** (التوبة٨٤).

ومما يرجح التراخي بين نزول الآيتين اختلاف أسلوب الخطاب في كل منهما فالنهي في الأولى كرر "لا" بعد العطف في قوله تعالى: **﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾** وفي إعادة "لا" توكيدٌ على النهي عن الإعجاب بأموال المنافقين، (ولا أولادهم) على الرغم من إمكانية العطف بدون تكرار "لا" بدليل الآية الثانية **﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾**.

ولعل اعتبار الآية الثانية للتذكير وإعادة التوكيد هو أن الأسلوب القرآني قد اكتفى بالعطف دون تكرار "لا" ودون ذكر لام الإرادة التي قدّر النحاة بعدها أن محذوفه ولم يذكر الحياة واكتفى بكلمة "الدنيا".

ولاقتران لفظة "الحياة بالدنيا" وجعل الدنيا صفة للحياة دلالة مختلفة عن دلالة "الدنيا"منفردة فهي هنا صفة على صيغة فعلى وهي مؤنث أدنى ومشتقة من الدنو أي القرب أو من الأدنى بمعنى الأصغر أو من الأرذل فتقابل بالخير[٤]؛ فدلالة "الحياة الدنيا" في الآية الأولى تحمل استغراق المنافقين في هذه الحياة وانشغالهم بها وانصرافهم عما

---

(١) الواقدي/أسباب النزول، سورة التوبة.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٢٨٩. وتفسير أبي السعود ج٤ ص٧٤.

(٣) أبو السعود/تفسير أبي السعود ج٤ ص٩٠.

(٤) الراغب الأصفهاني/انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم باب دنا ص١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعدها فكان تعبير الحياة الدنيا صورة لانصرافهم عن طاعة ربهم وغفلتهم عن الحياة الآخرة، وقد قرن سبحانه وتعالى "الحياة" "بالدنيا" ليصور حبهم لهذه الحياة وإيثارهم لها على الآخرة.

وقد نبَّه الله سبحانه نبيَّه وحذره "والتنبيه للمؤمنين" من أن يفتن بما أوتي هؤلاء المنافقون من الأموال والأولاد فإن ما يبهر به الإنسان للوهلة الأولى يحمل في ثناياه بوادر هلاكهم فإنما أعطاهم ما أعطاهم تعذيبا لهم؛ فقد تكلفوا في جمع الأموال، وتجشموا في اكتسابه فألهاهم المال والولد عن النظر في العاقبة؛ إلى درجة أنّ إنفاقهم في أبواب الخير كان عن كراهية؛ وستظل هذه حالهم حتى تُزهق أنفسهم وهم كافرون.

أما دلالة "الدنيا" منفردة فهي تقابل الآخرة في العديد من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ (البقرة ١١٤).

ودلالة الآخرة هي الحياة الثانية التي سيحياها الإنسان بعد هذه الدنيا وبذا تكون الدنيا والآخرة علَمين على شيئين متقابلين، لفترتين مختلفتين، منفصلة كل منهما عن الأخرى.

وبالعودة إلى الآية (٨٤) نتبين أنها في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على من مات أو يموت من المنافقين وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا با لله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ (التوبة ٨٤)؛ فالآية تتحدث عن موت فعلي وقرار بشأن من مات منهم؛ فقد انتهت علاقته بالدنيا وزهقت نفسه وهو كافر؛ فلا حاجة إلى ذكر "الحياة" الدنيا لأن ما ينتظره بعد الموت في الآخرة بات قريبا.

وقد لفت نظر الدكتور عودة أبو عودة اطراد استخدام "الحياة الدنيا" و"الدار الآخرة" في القرآن الكريم، وعلل هذا الاقتران المطرد بأن كلمة الحياة مرحلة مؤقتة مصيرها الفناء، إلا أن الآخرة فيها الثبات والدوام والاستقرار والخلود؛ فهي الدار وليست الحياة الآخرة وخلص إلى أن الدنيا لم تقترن بالدار في القرآن الكريم مثلما لم تقترن الآخرة بالحياة[1].

ومما لفت نظر الباحثة أنه قد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات أضيفت فيها كلمة "الدار" إلى كلمة عقبى أو عاقبة وكان المقصود في الدار: "الدنيا". قال تعالى: ﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار﴾ (القصص ٣٧).

وقال تعالى: ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ (الرعد ٤٢).

---

(١) عودة أبو عودة/شواهد في الإعجاز القرآني ص١٢١-١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى: ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾ (الرعد ٢٢).
وقال تعالى: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (الرعد ٢٤).

فقد فسرت هذه الآيات على أن المراد بالدار "الدنيا" وعاقبتها وعقباها: "أن يختم للعبد بالرحمة، والرضوان، وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت، فإن قلت العاقبة المحمودة أو المذمومة فكلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار قلت: وضع الله سبحانه الدنيا مجازا[1] للآخرة وأراد بعباده أن يعملوا فيها الخير[2]"، كذلك ورد في معجم الراغب الأصفهاني في "الدار" قوله: تسمى البلدة دارا، والصقع دارا، والدنيا دارا، والدار الدنيا دارا، ودار الآخرة وأورد الآيتين "ولهم عقبى الدار"، فنعم عقبى الدار، وقد ورد تعبير الدار الدنيا في الشعر في البيت التالي:

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ... شرك الردى وقرارة الأقذار
دار متى ما أضحكت في يومها ... أبكت غدا تبا لها من دار

وعلى هذا فقد نفهم من قوله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص ٧٧) أي: الدار الدنيا مما يجعلنا نميل إلى إمكانية وصف الدنيا بالدار كما جازت للآخرة والله أعلم.

وفي آيتين أخريين وردت كلمة الدنيا مسبوقة باسم الإشارة هذه في آية بينما حذفت الدنيا واكتفى باسم الإشارة للدلالة عليها على النحو التالي:

١. قال تعالى: ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة﴾ (هود ٦٠).
٢. قال تعالى: ﴿وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة﴾ (هود ٩٩).

وعلى الرغم من أن الآيتين قد نزلتا في قومين مختلفين، إلا أن العقاب نفسه وقع عليهما، فالآية (٦٠) يعود الضمير فيها على قوم هود في قوله تعالى: ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ (هود ٥٩).
أما الآية (٩٩) فقد نزلت في قوم موسى؛ أي فرعون وأتباعه. ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد﴾ (هود ٩٦، ٩٧).

ويمكن القول بأن السبب في حذف الصفة (البدل) في الآية الثانية راجع إلى دلالة السياق عليه؛ هذا السياق المتمثل في المعنى وفي المعطوف (ويوم القيامة) كما أنه سبق التصريح بها في آية (٦٠) فبإمكان المرء أن يقدّرها بالقياس مع تلك الآية.

---

(١) المقصود بالمجاز: الطريق أو الوصول.
(٢) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٣٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل بإمكان الباحثة أن تذهب إلى أن حذف كلمة الدنيا والاكتفاء بالإشارة إليها في الآية المتعلقة بفرعون وأتباعه قُصِد من ورائها التقليل من شأن الدنيا التي تمسك بها فرعون بغروره فأطاع قومُه أمره وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾، (هود ٩٧) وهذا يعني أن اللعنة تحل على هؤلاء؛ وفي اكتفاء الأسلوب القرآني باسم الإشارة (هذه) ﴿أتبعوا في هذه لعنة﴾ ليزداد هذا الموقع تدنيا فبتمسكهم بهذه لازمتهم اللعنة وأتبعوها يوم القيامة وما ذلك إلا لأنهم عصوا الله ونبيه وأطاعوا فرعون[٢].

ومن الشواهد على تعاقب الذكر والحذف في باب الموصوف قوله تعالى:
﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ (الفرقان ٧٠).
﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾ (مريم ٦٠).

ويكمن الفرق بين الآيتين أن ذكر الموصوف متبوعُ بالصفة في قوله تعالى ﴿عمل عملا صالحا﴾ وحذف الموصوف وذكر الصفة في قوله تعالى "عمل صالحا"، وإن ذكر الصفة والموصوف هو للإعتناء بهذا العمل والنص على أنه مغاير للأعمال السابقة الواردة في سياق الآية التي جاءت بصيغة النفي[٣] لتخبر عن صفات عباد الرحمن في قوله تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ... إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾.(الفرقان ٧٠).

أما الآية ٦٠ من سورة مريم فجاءت لاستثناء من تاب وآمن وعمل صالحا مغايرا لأعمال فئة مذكورا في قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ (مريم ٥٩).

والمقصود "بالخلف": عُقبُ السوء الذين خلفوا المقصودين بالضمير في قوله (من بعدهم) من لدُنْ زكريا الى إلى آخر الأنبياء، والشهوات عامّ في كل ما يشتهى فيشغل عن الصلاة وذكر الله.

وجدير بالاحتفاء أن ذكر الموصوف (عملا) وذكر صفته (صالحا) وارد في اللغة، كما أن حذف هذا الموصوف والاقتصار على ذكر صفته أمر مألوف في اللغة والقرآن الكريم ويمكن للباحثة أن تستنتج أن الفرق في الدلالة بين ذكر الموصوف وحذفه في

---

(١) الراغب الأصفهاني/معجم مفردات القرآن الكريم لفظة الدار.

(٢) الشوكاني/فتح القدير ج٢ ص٦٤٤.

(٣) أبو حيان/النهر الماد ج٤ ص٣١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيتين يتلخص في أن العمل في الآية ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾ (الفرقان ٧٠) يدل على عمل موصوف بالصلاح ليغاير الأعمال المحصورة في الشرك وقتل النفس والزنى لتحل محلها، لكنه في الآية الثانية "وعمل صالحا" رفع إلى مرتبة الصلاح؛ فكأنه الصلاح نفسه، وذلك أبلغ وأدل على المعنى المراد، خاصة أن المستثنى منه (خلف واتبعوا الشهوات) وهي عبارة شاملة لعموم ما يشتهى فيناسب الاستثناء منها من عمل صالحا إذ تتضمن لفظة (صالحا)الأعمال المادية المحسوسة وأشياء أخرى معنوية، أو حتى ما تختزن النية.

وقد يكون ذكر عملاً في سورة الفرقان عائدا إلى أن من شروط التوبة أن يصلح المرء ما أفسده؛ ويكون ذلك بعمل صالح بدل المعصية التي ارتكبها، لذا ذكر العمل لتتم التوبة، أما آية (مريم) فالذنوب عامة شاملة (شهوات) أدت إلى ضياع الصلاة فحذف العمل وبقيت صفته "صالحا" حتى لا يُقصد منه التعيين بل مطلق العمل المادي والمعنوي؛ لأنهم بحاجة إلى صلاح عام وتوبة شاملة، لا توبة عن الأعمال مخصوصة كما في سورة الفرقان.

تعاقب الذكر والحذف في التوكيد المعنوي:

يأتي التوكيد المعنوي لإفادة معنى (هو لا غيره) و(جميعه) وهو وارد في الأسماء بأن يكون التوكيد بالضمير المنفصل أو بألفاظ تدل على الذات أو النفس أو العين أو الكل (الجميع).

ومن الأصول المشهورة في الدراسات البلاغية أن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى وبذلك تترتب زيادة في المعنى؛ على زيادة لفظة (كلة) في آية على آية أخرى خلت من هذه اللفظة؛ فقد وردت آية في القرآن الكريم تحتوي على توكيد معنوي بلفظة "كل"، وقد وجدنا نظيرا لها آية أخرى خلت من هذا التوكيد على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾. ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ (البقرة ١٩٣).

وقال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾ (الأنفال ٣٩).

لعل ما يبين الدلالة ويوضح معنى الذكر وأهميتها في قوله ﴿ويكون الدين كلّه لله﴾ (الأنفال ٣٩) دون (البقرة ١٩٢) معرفة أيّ الآيتين أسبق في النزول من جهة؛ وهي قرينة تاريخية، ومعرفة القرينة الاجتماعية والنفسية، ومناسبة النزول لكل من الآيتين من جهة ثانية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا علمنا أن الآية (١٩٠) من سورة البقرة ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ هي أول آية نزلت في القتال في المدينة[١]، وكان القتال مشروطا بمن يقاتل فقط، بدليل قوله تعالى: ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ (البقرة ١٩٣) فالمسلمون مأمورون بمناصبة القتال لمن يناصبهم فقط من أهل مكة؛ إذا علمنا ذلك أدركنا أن القتال هنا من أجل رد العدوان، والدفاع عن النفس وحتى لا تحصل فتنة ولن يفنى الشرك ولن يكون الدين كله لله بقتال فئة من المشركين في بقعة محددة (مشركي مكة).

وقد تدرج الأمر بالقتال في قوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة، كما يقاتلونكم كافة﴾ (التوبة ٣٦)؛ فالقتال متعلق بقتال المسلمين المشركين جميعا كما يقاتلونهم جميعا،

وهذا يوضح أهمية لفظة "كله" في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿ويكون الدين كلُّه لله﴾ (الأنفال ٣٩) حيث يضمحلُّ عنهم كلُ دين باطل، ويبقى دين الإسلام وحده فإذا تراجع الكفار عن الكفر، فأسلموا فإن الله يفتح لهم باب التوبة فإذا لم يدخلوا في الإسلام قوتلوا[٢]؛

فالأمر في سورة البقرة خاص بقتال أهل مكة والأمر في الأنفال خاص (بقتال المشركين كافة) فهو أمر بإبطال الكفر في كل مكان (فيكون الدين كله لله)[٣].

والجدير بالذكر أن مجموعة من القرائن قدتضافرت لتوضيح المعنى المراد؛ وهذا ما يسمى قرينة السياق؛ إذ إنّ القرينة النحوية لا تكفي لتوضيح المعنى المقصود، بل تتجاوزها إلى أمور دلالية من المقام المحيط بالآيتين والظروف الحسية والنفسية المحيطة بهما، والمحيط الاجتماعي؛ وهكذا تمتد قرينة السياق هنا على مساحة واسعة من الركائز، ممّا يجعلها كبرى القرائن؛ فإن زيادة كلمة نحويا تمدنا بحرفية النص بينما قرائن السياق تجعلنا نتغلغل إلى أعماق النص ونعتد بروحه فهي التي حددت لنا المعنى المقصود في الآية الثانية دون الأولى.

---

(١) أبو حيان/النهر الماد ج١ ص١٦٨، ٢٦٩.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٢١٢، ٢١٣، ص٢٦٠.

(٣) الخطيب الإسكافي/درة التأويل ص٤٦، ٤٧. الكرماني/البرهان ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- تعاقب ذكر المعطوف على الاسم الموصول وحذفه:

أشار النحاة والبلاغيون إلى الحالة التي تقتضي العطف وهي إذا كان المراد تفصيل المسند إليه مع اختصار، أو تفصيل المسند مع اختصار[١]، كما أشاروا إلى أن الواو تدل على الجمع المطلق، وتأتي لتفصيل المسند إليه مع اختصار.

وقد أخضع النحاة العطف لفكرة التبعية من حيث الحكم اللفظي الإعرابي وانشغلوا بها عن مغزى الانعطاف؛ وهو أن يرجع الاسم التابع على المتبوع بدلا من تقدمه إلى الأمام وتعلقه بمتعلقات أخرى[٢]؛ فاللفظ المعطوف يميل عن طريقه المتوقع وينعطف على ما قبله في معنى الخروج[٣].

وقد أشرتُ في الباب السابق إلى حرفيّ العطف: الواو، والفاء؛ وفي هذا الباب نعرض لآيات فيها أسلوب عطف بالواو جاء على النحو الذي أشار إليه النحاة والبلاغيون؛ أي تفصيل المسند والمسند إليه مع اختصار؛ وأخرى فيها تفصيل المسند أو المسند إليه دون اختصار؛ وذلك بتكرار هذا المسند أو المسند إليه لهدف وظيفي خالص كما هو في الآيات التالية من قوله تعالى:

﴿لله ما في السموات والأرض﴾ (لقمان ٢٦).

﴿و لله ما في السموات وما في الأرض﴾ (النجم ٣١).

﴿سبح لله ما في السموات والأرض﴾ (الحديد ١).

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ (الحشر ١)،(الصف).

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ (الجمعة ١).

﴿يسبح له ما في السموات والأرض﴾ (الحشر ٢٤).

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ (التغابن ١).

﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ (التغابن ٤)، (العنكبوت ٥٢).

﴿وا لله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ (الحجرات ١٦).

---

(١) السكاكي/مفتاح العلوم ص١٠٧.

(٢) فمثلا خرج محمد وعلي يقرأ تختلف عن خرج محمد وعلي فإن رمز الحركة الذهنية في العبارة الأولى يسير في خط مستقيم لدى المتكلم والمخاطب على السواء فلا يمثل عطفا إذ لا يحتاج الذهن إلى أن يعود علي إلى الحكم الأول كما هو مبين في الجملة الثانية.

(٣) د. عفت الشرقاوي/بلاغة العطف في القرآن الكريم ص٥٨، ٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُلاحظ ذكر المعطوف الاسم الموصول "ما" في آيات (النجم ٣١)، (الحشر ١)، (الصف ١)، (الجمعة ١)، و(الحجرات ١٦)، وحذفه للاختصار في الآيات (لقمان٢٦) و(الحديد١) و(الحشر٢٤) والتغابن٤) ولا نعني بذكر "ما" مرة أخرى أن تكون حشوا بالنظر إلى الآية التي قبلها، وإنما نعني أن النحاة حددوا لجملة العطف أركانا يتم بها هذا الأسلوب، وبذكر "ما" مرة ثانية تتخطى الجملة المعنى الوظيفي للعطف لتسلك مسالك أسلوبية أخرى، لا تتحقق إلا بوجود "ما"، إذ أنها أضافت إلى المعنى من التوكيد بواسطة ذكرها ما لا يخفى على من يتأمل الآيات المتشابهة؛ فقد أعاد سبحانه ذكر "ما" تأكيدا لوقوع المسند.

ولله ما في السموات، ولله ما في الأرض، ويسبح له ما في السموات مثلما يسبح له ما في الأرض، وهو يعلم ما في السموات، وعلمه شامل؛ وذكر"ما" فيه تنبيه للسامع بإعادة ذكر الاسم الموصول وفي التكرير: ما يشعر بكمال علمه، وكمال ملكيته، وكمال انصياع المخلوقات في السموات وفي الأرض لأوامره، وتمام تسبيح ما في السموات والأرض دون أن يتخلف أحد عن هذا الفعل.

وغني عن التنويه أن ما قيل في الاسمالموصول "ما" يقال في الاسم الموصول "من" في الذكر والحذف. انظر الآية (٤١) من سورة النور، ﴿ألم تر أن الله يسبح له مَنْ في السموات والأرض﴾، وقوله: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾ (آية ١٨ سورة الحج)، وقوله: ﴿وله من في السموات والأرض كل له قانتون﴾ (آية ٢٦ سورة الروم)، ﴿وله من في السموات والأرض﴾ (آية ٢٦ سورة الروم)، وقوله: ﴿لمن ما في السموات والأرض﴾ (آية ١٢ سورة الأنعام). ﴿وله أسلم من في السموات والأرض﴾ (آية ٨٣ سورة آل عمران)؛ وهذا مع فارق الدلالة بين "ما" التي تأتي غالبا لغير العاقل و"من" التي تأتي غالبا للعاقل، وقد تأتي (مَنْ) للدلالة على غير العاقل، وما للدلالة على العاقل بدليل قوله تعالى: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين﴾ (النور ٤٥) وتتكامل الدلالة في الآيات جميعا لتدل على انصياع "ما ومن" في السموات والأرض، لله مع شمولية الحكم الصادر على "مَن" و"ما" في السماوات والأرض وتمامه وكماله، دون أن يتخلف منهم أحد.

<u>ب- تعاقب ذكر المعطوف على المفعول وحذفه:</u>

تطالعنا آيتان متشابهتان ذُكر في إحداها مفعول به ثم عُطف عليه، واقتصرت الآية الاخرى على ذكر المفعول به دون أن يُعطف عليه على النحو التالي:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى:﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾ (الحشر ٤).
﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ (الأنفال ١٣).

ولكي نقف على سرّ الذكر والحذف للمعطوف (ورسوله) نجد لزاما أن نستعين بمناسبة نزول الآيات. فسياق الآيات في سورة الأنفال يصوّر معركة بدر، وما أصاب الكافرين من الضرب والقتل والعقاب العاجل بسبب عنادهم وعدم إيمانهم بالدعوة الإسلامية وإصرارهم[1] على القتال ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ (الأنفال ١٢)؛ فذلك العقاب وقع عليهم بسبب مخاصمتهم ومعاداتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، واعتبار أنفسهم خصوما له؛ مما يترتب عليه أن يكونوا في حال مخاصمة الله، بدليل قوله تعالى ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ (الأنفال ١٣)؛ فهم في مواجهة حقيقية وحرب ضد الرسول حامل الدعوة الإلهية؛ لأنهم يحقدون عليه؛ لذا حاربوه وكأنهم يحاربون الله؛ فاستحقوا العقاب على هذه العداوة المزدوجة لله ولرسوله.
أما آية الحشر فهي في أهل الكتاب وجلائهم عقابا[2] لهم كما قال تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ . ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذّبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ (الحشر ٢،٣)؛
وهذا الإجلاء عقاب لهم ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾؛ فهم أيضا في مواجهة حقيقية للرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أنها عداوة من نوع آخر تختلف عن عداوة المشركين؛ فاليهود هم أهل كتاب، ويعلمون بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة، وأن رسالته الحق، وهي من عند الله، لكنهم كتموا ما علموا وخاصموه؛ وبذا تكون حربهم الخاسرة أمام قوة الله بمخالفة أوامره.
فالعداوة الحقيقية بين الله سبحانه واليهود، وسببها كتمانهم أمرَ الرسالة المحمدية؛ لذا كان عذابهم شديدا، وعقابهم أليما؛ لأنها معركة خاسرة بالنسبة لهم؛ لأنهم شاقوا الله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب. ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ (الحشر ٢). وبذلك يتضح ضرورة ذكر المعطوف في آية الأنفال لغاية دلالية لا تستدعي وجودها آية الحشر.

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٩٨، ج٤ ص٤٨٧، أبو السعود/تفسير أبي السعود ج٤ ص١١.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٤ ص٤٨٧، أبو السعود ج٨ ص٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حذف العلم ونيابة الاسم الموصول عنه:

الاسم الموصول لفظ يدل على عام مطلق غائب؛ وهو دائما مفتقر إلى صلة تمنح معناه شيئا من التحديد، والافتقار في اللفظ دليل فقر الدلالة[١].

وغالبا ما تكون صلة الموصول هي التي عليها مدار الحكم؛ فإذا ذكر الاسم الموصول أثار في النفس الشوق إلى معرفة الخبر، بل قد تكون الصلة نفسها ممهدة لهذا الخبر، دالة عليه.

ويلفت النظر في العديد من الآيات مجيء الاسم الموصول ليسد مسد التصريح باسم شخص معين؛ وذلك لغرض بلاغي، وحكمة إلهية، كثيرا ما حاول توضيحها المفسرون والبلاغيون والنحاة.

ونقتصر في هذه الصفحات على ذكر الآيات التي تعاقب فيها ذكر العلم موصوفا بالاسم الموصول وحذفه؛ ليسد مسد الاسم الموصول نفسه، كما في قوله تعالى:

﴿ومريمَ ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾[٢] (التحريم ١٢).

وقوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا...﴾[٣] (الأنبياء ٩١).

وإذا أردنا تبين الحكمة من التصريح باسم مريم بنت عمران في سورة "التحريم" وحذفه ليسد مسده الاسم الموصول في سورة "الأنبياء" فعلينا أن نتناول الآيات مرتبطة بما سبقها لنفهمها من سياقها. فلقد جاء التركيز في آيتي "التحريم" الأخيرتين على ذكر نساء مؤمنات بأعيانهن، ليُكنّ مضرب المثل عند الله سبحانه؛ فضرب المثل، أولا، بامرأة فرعون وأبرز الصفة التي استحقت بها أن تكون مضرب المثل؛ وهي إنكارها لألوهية زوجها ودعاؤها أن ينجيها الله منه، في قوله تعالى ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ (التحريم ١١).

وثانيا: بمريم ابنة عمران مبرزا الصفة التي استحقت من أجلها أن تكون من القانتين؛ وهي إحصان فرجها وتصديقها بكلمات ربها، فجاء الكلام عن مريم موصوفا بالاسم الموصول، و(مريم) معطوف على امرأة نوح منصوب، وابنة عمران بدل منصوب مضاف وعمران مضاف إليه.

---

(١) تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص٣٦٥.

(٢) انظر اعراب الآية في العكبري/املاء ما من به الرحمن ج٢ ص١٦٤.

(٣) انظر إعراب الآية في المصدر نفسه ج٢ ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ما ورد في سورة الأنبياء (والتي أحصنت فرجها...). فقد وردت في سياق ذكر عدد من أنبياء الله تعالى أرسلوا إلى أقوامهم، وما تميز به كل نبي في معجزته التي أرسل بها؛ فبدأت الآيات بذكر إبراهيم ومعجزاته، وموسى، وهارون[١]، ولوط[٢]، ونوح[٣]، وداود وسليمان[٤]، وأيوب[٥]، وإسماعيل، وإدريس، وذي الكفل، وذي النون[٦]، وزكريا ويحيى[٧]، ومعجزاتهم، واختتم ذكر هؤلاء بعيسى عليه السلام الذي ولد من غير أب؛ فحرصت الآيات على إبراز الصفة التي تُجَسِّمُ معجزة عيسى وتبرئ أمه من الفاحشة؛ وذلك بإحصان فرجها، والحفاظ على عفافها، دون النظر إلى أهمية ذكر اسمها؛ فهي معجزة بصفتها لا لأنها مريم ابنة عمران، فجاء التعبير عن ذلك بالاسم الموصول المبني في محل نصب أو رفع يفيد العموم والإبهام؛ وهو ما أوضحته صلة الموصول حيث ختمت الآية بقوله: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ (الأنبياء ٩١) ولعل هذا المثال يعتبر توضيحا لما تقدّم قوله ؛ غالبا ما تكون صلة الموصول هي التي عليها مدار الحكم.

وهكذا سخر الأسلوب القرآني الاسم الموصول لتوليد معنى جعلنا نستغني به عن ذكر العلم بعينه؛ إذ لا يعنيه العلم، بل صفته أو خبره الذي يتجسم من خلال الموصول وصلته[٨].

ومن الآيات التي ورد فيها الاسم الموصول وكانت صلته مدار الحكم وممهدة للخبر ودالة عليه حتى وصلت إلى درجة دلالة القصر قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**﴾ (آل عمران ٢٢). وقابلتها آيتان حُذف منها الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿**فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**﴾ (البقرة ٢١٧).

﴿**أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**﴾ (التوبة ٦٩).

---

(١) الأنبياء ٤٨، ٧٤.

(٢) الأنبياء ٧٣، ٧٤.

(٣) الأنبياء ٧٦، ٧٧.

(٤) الأنبياء ٧٨، ٨٢.

(٥) الأنبياء ٨٣، ٨٤.

(٦) الأنبياء ٨٥، ٨٦.

(٧) الأنبياء ٨٩، ٩٠.

(٨) الشعراوي/قصص القرآن الكريم. الكتاب الثاني ص٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالعودة إلى سياق ما ورد في سورة البقرة وهو: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة ٢١٧)- بالعودة إلى ذلك- يتبين لنا أن المبتدأ (المسند إليه اسم شرط يدل على العموم) وأن جملة ﴿فأولئك حبطت أعمالهم﴾ خبر المبتدأ[١]؛ فقد أخبر عمَّن يرتد عن دينه بإحباط أعمالهم، وفي سورة التوبة: ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ (التوبة ٦٩)؛

فقد سُبق الاسم الموصول بالكاف، وقدّر النحاة الكاف في محل رفع على الخبرية؛ أي أنتم مثل الذين من قبلكم، أو في محل نصب بفعل محذوف مقدر؛ أي فعلتم كالذين من قبلكم، وقد فسَّرت الآية صفاتهم وبيّنت حالهم (كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا)؛ فذمهم سبحانه بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا، ورضاهم بها، وانشغالهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، ثم عاد إلى القول "أولئك" مشيرا إلى المتَّصفين بالأوصاف سابقة الذكر من المشبهين والمشبه بهم، لا الفريق الأخير فقط: "أولئك جميعا حبطت أعمالهم"؛ فهي أيضا خبر المبتدأ أولئك، وحبطت أعمالهم التي كانوا يستحقون عليها أجورا حسنة إذا اقترنت بالإيمان[٢]. أما ما ورد في سورة آل عمران: ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ (آل عمران ٢١). ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ (آل عمران ٢٢).

فقد جاء اسم إنّ اسما موصولا[٣] (الذين)، وعلى الرغم من أن الاسم الموصول هنا يدل على العموم في كل من كفر بآيات الله وقتل النبيين بغير حق؛ فإن المقصود، أصلا، أناس من بني إسرائيل، جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله؛ فقتلوهم؛ ففيهم نزلت الآية. والهدف من هذه الآية أن يوعظ بها من لم يقتل بعد ممن قاتل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهموا بقتلهم، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك﴾ (الأنفال ٣٠) .وجملة صلة الموصول هي التي أوضحت المقصودين وحددتهم؛ أما خبر

---

(١) العكبري/إملاء ما من به الرحمن ج٢ ص٥٤.

(٢) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٠٠-٢٠١، أبو السعود ج٤ ص٨١، ج٢ ص٢٠

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص٤٦،٤٧، سيبويه/ الكتاب ج١ ص٥٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"إن" فقد جاء مقترنا بالفاء لتضمن جملة إن مع الإسم الموصول معنى الشرط؛ وهذه الفاء تقوي المعنى وتؤكده بعد أن؛ (فبشرهم) بالإضافة إلى تأكيد الجملة بالحرف إنّ. وقد ذهب سيبويه والأخفش إلى منع دخول الفاء على خبر إنّ الناسخة؛ لذا يكون الخبر على مذهبهما جملة ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾[١].

وفيما غير ذلك يصبح "أولئك" اسم إشارة للبعيد، مبتدأ، وما فيه من معنى البعد الدلالة على ترامي أمرهم في الضلال وبعد منزلتهم فيما يقترفون، والذين: اسم موصول خبر، وصلته أوضحت هذا الخبر[٢].

ولذكر الاسم الموصول في آية آل عمران، دون غيرها ممّا مرّ في البقرة والتوبة، أهمية كبيرة أكسبتها دلالة كأنها القصر؛ فهم المخصوصون بهذا العقاب دون غيرهم، وكأن الحكم قد صدر عليهم وحدهم؛ بينما في الموضعين التاليين اسم الإشارة بدون "الذين" جعل الحكم لمجرد الإخبار بالجزاء على عمل محدد هو الارتداد أو الاستمتاع. أما من ورد ذكرهم في سورة (آل عمران)؛ فقد ارتكبوا من الفظائع والأعمال البشعة ما جعلهم يستحقون مثل هذا العقاب.

وهكذا ندرك أن الإخبار بالاسم الموصول (الذين) أدى معنى زائدا على الإخبار العادي؛ فأفاد الشرط؛ إذ شُرِّبت الآية معنى الشرط من جهة، ومعنى القصر من جهة ثانية[٣].

والجدير بالذكر أن الإخبار بالاسم الموصول ظاهرة مطردة في القرآن الكريم حيث يكون المبتدأ اسم الإشارة "اولئك" والخبر "الذين" مع صلته، كما ورد في الآيات التالية:
(البقرة ١٦، ٨٦، ١٧٥، ١٧٧)، (آل عمران ٢٢)، (النساء ٥٢، ٦٣)، (المائدة ٤١)، (الأنعام ٧٠، ٨٩، ٩٠)، (الأعراف ٩)، (هود ١٦، ٢١)، (الرعد ٥)، (النحل ١٠٨)، (الإسراء ٥٧)، (الكهف ١٠٥)، (مريم ٥٨)، (المؤمنون ١٠، ١٠٣)، (النمل ٥)، (الزمر ١٨)، (الأحقاف ١٦، ١٨)، (محمد ٢٣)، (الحجرات ٣).

ومن اللافت للنظر أن المواضع التي احتوت على اسم الإشارة أولئك بلغت ٢٠٤ مواضع: منها ثمانية وعشرون موضعا ذكر بعدها الاسم الموصول (الذين وصلته)، وكان الهدف منها إشراب الآية دلالة القصر، كما أشرنا.

---

(١) الكتاب/سيبويه ج١ ص٥٤٦.

(٢) ابن الأنباري/البيان في غريب إعراب القرآن ج١ ص١٩٦.

(٣) تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص٣٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يُعكس موضع أولئك والاسم الموصول ليصبح الاسم الموصول هو المبتدأ وأولئك وخبرها جملة في موضع خبر ويكون الهدف نفسه إشراب الآية دلالة القصر أيضا. ومن الأمثلة على ذلك:

(البقرة ٣٩، ٨٢، ١٦٠)، (المائدة ١٠)، (الأنفال ٧٢، ٧٤)، (الأنبياء ١٠١)، (الحج ٥١، ٥٧)، (الفرقان ٣٤)، (العنكبوت ٥٢)، (النور ٥٥)، (المؤمنون ٧، ١٠٢)، (التوبة ٢٣)، (الأعراف ١٧٨).

وقد يأتي اسم الموصول على صيغة الشرط ويكون اسم الإشارة أولئك جزءا من خبر:

(البقرة ٢٢٩)، (آل عمران ٨٢، ٩٤)، (المائدة ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٨٦)، (الأعراف ٩)، (الحشر ٩)، (الممتحنة ٩)، (المنافقون ٩)، (المعارج ٣١)، (الجن ١٤).

المعرف بالأداة:

تطالعنا في كتاب الله العزيز آيات عديدة تعاقب فيها ذكر أل مع الاسم أو المصدر أو الصفة .... الخ وحذفه، وحين نتدبر هذه الآيات نجد أن ذكر أل في موضع يكون لداع وظيفي وأن حذفه يأتي لداع وظيفي آخر مختلف.

ويترتب على ذلك ظاهرة تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد من ذلك أنّ "أل" تدل على معنى معين تارة، وعلى معنى آخر تارة أخرى؛ فتكسب اللفظة التي اقترنت بها دلالة مختلفة عنها إذا حذفت، لكن هذه الدلالات لا تتعين أو تتكشف إلا من خلال ما يحيط بها من السياق.

وعلى الرغم من أن الأصل في اللفظة التنكير، فإن البلاغيين يعتبرون هذا التنكير من طرق تسخير اللفظ لتوكيد المعنى، حيث يمكن تعريفه؛ للوصول إلى إفهام التعميم وما يتولد عنه من تهويل أو تحقير أو تعظيم حسب موقع الكلمة من سياقها اللغوي والاجتماعي.

كما اعتبروا تعريف اللفظ وسيلة من وسائل تسخير اللفظ لتوكيد المعنى حيث يمكن تنكيره، فقالوا: "تعريف النكرة" بأل قد يُفيد الجنس أو يُفيد العهد، ولكن هذه الإفادة بحكم الوضع لغوية "استصحابية" لا عدولية أسلوبية؛ لأن بالأسلوب العدولي قد يحمل المتكلم أداة التعريف من المعنى ما ليس لها بأصل الوضع[1].

---

(١) تمام حسان/البيان في روائع القرآن، ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة على تعاقب ذكر أل وحذفها مجموعة الآيات التالية:
قال تعالى: ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ (إبراهيم ٣٥).
﴿ رب اجعل هذا بلدا آمنا ﴾ (البقرة ١٢٦).

وقد ذكرت آية فيها كلمة (الكذب) معرفة بأل في قوله تعالى
﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ [١] (الصف ٧).

ووردت آيات متشابهات لكنها خلو من أل، ومن ذلك كلمة (كذبا) على النحو التالي:
﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾، (الأنعام ٢١،٩٣،١٤٤)، (الأعراف ٣٧)، (يونس ١٧)، (هود ١٨)، (الكهف ١٥)، (العنكبوت ٦٨).

كما وردت لفظة "الحق" في الآية ٦١ من البقرة معرفة بأل، في قوله تعالى:
﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ (البقرة ٦١)، بينما جاءت كلمة "حق" بدون أل في قوله تعالى:
﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ (آل عمران ١١٢).

ووردت لفظة "المعروف" معرفة بأل مرة كقوله: (بالمعروف)، ومقترنة بالباء في آية، وبدون أل ومقترنة بمن (من معروف) في آية أخرى.
قال تعالى : ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ﴾ (البقرة ١٣٤)
وقال تعالى : ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف ﴾ (البقرة ٢٤٠)

ومن يتدبر مجموعة الآيات التي تعاقب فيها ذكر أل وحذفها، يدرك أن التعريف والتنكير فيها جدلية بلاغية يمكن للمبدع أن يوظفها؛ لتعميق الدلالة، والكشف عن معنى البُنْيَة، وصولا إلى مستويات اللغة المتعددة.

فإذا كانت البلد، والكذب، والحق، والمعروف قد اكتسبت بدخول أل عليها تحديدا للدلالة وبيانا لدقة ما ترمز إليه هذه الألفاظ بتشكيلاتها المختلفة، فإن التنكير في الألفاظ: "بلدا"، "كذبا"، "حق"، و"معروف" قد منح البنية مقدرة على العطاء المتجدد المتواصل الذي يثري الدلالة متجاوزا المتعارف عليه؛ فقد وردت لفظة بلداً نكرة في موضع ومعَرفة في موضع آخر، وقد لفت نظر المفسرين والنحاة هذا التعاقب في ذكر "أل" وحذفها في موضع، فأشاروا إلى الفرق بين دلالة اللفظة "البلد" "وبلدا" في الآيتين؛ وإعرابهما.

---

(٢) وردت لفظة الكذب في آية مختلفة ألفاظها فلم أذكرها ضمن الآيات المتشابهات "فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون (٩٤ آل عمران) وما قيل عن أل التعريف في مكانه ينطبق عليها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فدخول أل التعريف على "البلد" تجعلها بدلا أو صفة للمفعول الأول اسم الإشارة[١]، وآمنا مفعولا ثانيا، وخلو البلد من أل التعريف يجعلها مفعولا ثانيا و"آمنا" صفة للمفعول الثاني[٢].

لكنهم بهذا الإعراب لا يكشفون سر تعريف البلد في آية وتنكيرها في الآية الثانية المشابهة لها، وتحاول الباحثة أن تصل إلى علة التعريف والتنكير فيهما، ولتعميق الدلالة نلجأ إلى ربط كل من الآيتين بسياقهما.

قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ (البقرة ١٢٦). ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة ١٢٧).

أما في سورة إبراهيم فالسياق على النحو التالي ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ (٣٥ إبراهيم). ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ (٣٦ إبراهيم).

وسياق الآية في البقرة يوحي بأن إبراهيم عليه السلام لم يبن أصلا قواعد البيت بل رفعها؛ لأنها كانت موجودة أصلا بدليل: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ وكذلك قوله: ﴿إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ (إبراهيم ٣٧) قبل أن يبنيه؛ فالبيت موجود أصلا؛ وبدليل آخر: أن المؤمنين في الأرض قبل إبراهيم لا بد لهم من قبلة، فإن لم يكن البيت موجودا فأين قبلتهم؟

والبلد عندما جاء نكرة في دعاء إبراهيم عليه السلام، كان المعنى أن إبراهيم عليه السلام سأل الله تعالى "البلدية" لهذا المكان بدليل قوله: ﴿بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾. وهذا ليس بلدا، فسأل الله تعالى أمرين:

أن يصبح هذا المكان "الواد غير ذي زرع" بلدا.

أن يصبح الـ "بلد" الذي سأله –أيضا– آمنا، ولذلك فعندما جاء "البلد" معرّفا في قوله (هذا البلد آمنا)، كان دعاء ثانيا من إبراهيم، حيث تحقق الشطر الأول، وها هو ذا يدعو ثانية طالبا "الأمن" له أي "للبلد".

---

(١) ابن الأنباري/إملاء ما من به الرحمن ج١ ص٣٦. السيوطي/معترك الأقران، القسم الأول ص٨٩.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحمل كتب التفسير وقصص القرآن الكريم تفصيلات عن إسكان إبراهيم لزوجه هاجر وابنها مكة، وخروجه إلى فلسطين، وسؤال زوجته له باستغراب: إلى من تتركنا، وقولها متسائلة: آلله أمرك؟ وحين أجاب "بنعم" قالت: إذن، لن يضيعنا(١).

ولعلنا نقدر شعور والدٍ يُسكن ذريته "بواد غير ذي زرع"؛ فيرفع يديه مبتهلا أن يجعل هذا المكان بلدا، ويجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ليعمروه فيصير بلدا. أما الآيات في سورة إبراهيم فتدل على أن إبراهيم يدعو ربه أن يحفظ بلدا معروفا عامرا بأهله؛ مما يوحي بأن هذا البلد الذي لم يكن بلدا قد صار بلدا، وزاد عدد أهله؛ وذلك بعد عودة إبراهيم ثانية إلى مكة، إلا أن هذا البلد أصبح ملينا بالأصنام؛ فدعا دعوته الثانية بأن يصبح آمنا بعد أن استجاب الله لدعوته الأولى؛ فأصبح متمتعا بصفة البلدية، لكن ينقصه الأمن، فالدعاء في الآية الأولى أن يصبح بلدا، وفي الثانية أن يصبح البلد آمنا بعد أن صار بلدا.

والرأي عندي أن الآية التي ورد فيها لفظ البلد "منكّرا" كانت أسبق في النزول من الآية التي عرف فيها ذلك اللفظ؛ ولهذا معنى جليل؛ إذ أراد بالاستعمال الأول أن تتحقق أمنيته في نشوء بلد مزدهر، حيث ترك زوجه وولده، وأراد بالاستعمال الثاني أن يضفي على ذلك البلد صفة الأمن؛ فاستخدمه معرفا بأل العهدية.

أما الآيات التي وردت فيها لفظة "الكذب" مقترنة بأل جاءت في السياق التالي: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**﴾ (الصف ٦). ثم تلاها ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ (الصف ٧). ورغم أن الضمير في "جاءهم": يحتمل أن يكون لبني إسرائيل والمقصود بالحق عيسى، ويحتمل أن يكون محمدا ومن سمعوا بدعوته أو عرضها عليهم، فإن ذلك لا يغير من دلالة الكذب المقترنة بأل.

وتفسير الآيات ﴿**فمن أظلم ممن افترى على الله الكذب**﴾؛ أي فمن أظلمُ ممّنْ يدعوه ربُّه على لسان نبيه إلى الإسلام؛ فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب بقوله لكلامه: "هذا سحر"؛ لأن السحر هو الكذب والتمويه.

وقد أوضحت الآية التالية هدفهم من هذا "الكذب": ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾ (الصف ٨).

---

(١) انظر: النجار/ قصص الأنبياء ص١٠٣، ١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى ذلك فقد جعل افتراءهم "الكذب" الذي لا كذب بعده وهو كذب مخصوص بعينه؛ هو إنكارهم مجيء من بشرهم به عيسى، عليه السلام أي محمد صلى الله عليه وسلم.

وإذا تأملنا سياق كل آية من الآيات التي وردت فيها لفظة (كذبا) مُنَكرة، فإنها تشير إلى عموم الكذب الذي يشمل إنكار نزول القرآن الكريم من السماء أو غيره من أنواع الكذب، فإن أي كذب آخر يكون مشمولا ضمن لفظة "كذبا"
مثل قولهم ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ (الأنعام ١٤٨) وقالوا ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (الأعراف ٢٨) ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (يونس ١٨) ونسبوا إليه تحريم البحيرة والسائبة ... الخ.
﴿أو قال أوحي إليّ﴾ (الأنعام ٩٣)؛ فكل ما فيه ادعاء على الله عبَّر عنه القرآن الكريم بلفظة "كذبا".

ونخلص إلى أن (أل) أكسبت لفظة "الكذب" الخصوص (التخصيص)، بينما أدى حذفها إلى الدلالة على عموم الكذب وتنوعه وشموله[١].

فلفظ الكذب لفظ خاص بنوع معين من الكذب دون غيره حتى لو دل ظاهره على العموم، ولفظة "كذبا" لفظ عام يشمل كل الكذب، أيا كان مصدره، حتى لو كان في مجال الكلام عن أناس مخصوصين معلومين؛ "فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[٢].
كما أن لفظة (الكذب) المعرّفة فيها دلالة على أن الأمر الموصوف بالكذب هو من أخطر الأمور وأهمها؛ فإن كان هنالك كذب فهذا رأس الكذب.

أما دلالة "الحق" وما اكتسبته اللفظة بوجود (أل) مقترنة بها في قوله تعالى: (ويقتلون الأنبياء بغير الحق)؛ فالمقصود به الحق المعهود الذي أذن الله أن تقتل النفس بموجبه[٣]. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ (الأنعام ١٥١)
وقوله ﴿أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾ (المائدة ٣٢)؛
فدلالة اللفظة توحي بأهمية وجود (أل) مقترنة "بالحق" للتعبير عن أنهم لم يقتلوا الأنبياء

---

(١) انظر تفصيلات الدلالة في الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٣٢٤، ج٢ ص١١، ج٤ ص٥١٣ أبو حيان/النهر الماد ج٥ ص٣٥٢.

(٢) مسألة أصولية تبحث عند الحديث في مسائل العام/الشوكاني إرشاد الفحول ص١١٧.

(٣) الزمخشري/الكشاف ج١ ص١٤٨، ج١ ص٣٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لسبب شرعي؛ فلو سألوا أنفسهم عن سبب قتلهم لم يجدوا وجها يسّوغ قتلهم شرعا.

أما (بغير حق) فيدل على أنه لا حق لهم ولا صواب في تصرفهم، بل إن في قتلهم للأنبياء ظلما وافتراء[١]؛ فلا مبرر هنا لقتلهم، فالنكرة أفادت معناها مطلقا من كل قيد "بغير حق" أما "الحق" فمن عند الله دون غيره، وما أفادته (أل) في لفظة الحق أفادته في لفظة "المعروف": من زيادة في الدلالة، وتغيير لها في المجموعة(د).

ففي قوله تعالى: ﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ (البقرة ٢٣٤).

المعروف هو الأمر الذي أباحه لهن الشرع (من التزوج بعد انقضاء العدة)، وخص بالباء والتعريف لتخصيصه وتحديده، "فالمعروف" هنا أي الوجه الذي لا ينكره الشرع، وهو أمر الله على وجه المخصوص[٢]، أما قوله تعالى ﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ (البقرة ٢٤٠) أي مما لا ينكره الشرع.

والملاحظ أن ارتباط حرف الجر (من) بالفعل فعلن في أنفسهن أكسبت الآية دلالة أنه لا جناح عليهن أن يفعلن جملة أفعال أباحها الشرع لهن، معروفة في الدين، وجائزة؛ وذلك بعض ما لهن أن يفعلنه؛ ولهذا خص بلفظة "مِن" ونكّر "من معروف".

والجدير بالذكر أن هذه الأمثلة على تعاقب ذكر (أل) وحذفها في آيات القرآن الكريم هي دليل واضح على اكتساب اللفظة معنى وظيفيا جديدا مختلفا عنه قبل دخول أل؛ عليها.

فقد دلت على العهد فيما أصبح معروفا حيث سبق ذكره من لدن المتكلم، مثل قول إبراهيم: (رب اجعل هذا البلد آمنا) بعد أن ذكره سابقا بقوله تعالى "بلدا".

وأما لارتباطه في الذهن باهتمام خاص، فإذا اقترن بأل تحدد لدى السامع القصد دون غيره، مثل: الكذب، الحق، المعروف.

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يتوصل إلى ظاهرة تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد "أل" بين الجنس والعهد والربط والموصولية مما لا يتسع المجال لذكره؛ لأنه خارج عن نطاق بحثنا.

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج١ ص٢٧٨.

(٢) تمام حسان/البيان في روائع القرآن ص٣٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

* تعاقب الذكر والحذف في الجمل وأشباه الجمل:

وفيه الموضوعات التالية:

- تعاقب الذكر والحذف في الجمل
- تعاقب الذكر والحذف في أشباه الجمل
- شواهد أخرى على تعاقب الذكر والحذف في القصص القرآني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في الجمل التالية:

- الجملة الواقعة مفعولا به للقول
- الجملة الفعلية الواقعة حالا
- جملة جواب الشرط المقترن بالفاء
- الجملة المعطوفة على جملة فعلية مثبتة
- الجملة المعطوفة على جملة فعلية منفية
- جملة النداء
- الجملة التفسيرية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في الجمل:

عرف النحاة الجملة بأنها عبارة عن الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وما كان بمنزلة أحدهما، مثل الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل، أو كان واسمها وخبرها وإن واسمها وخبرها وظنّ وفاعلها ومفعوليها. وقسموها إلى صغرى وكبرى، فالكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة والصغرى هي الأسمية التي خبرها مفرد وإلى جمل لها محل من الإعراب وأخرى لا محل لها من الإعراب ، وتقع الجمل التي لها محل من الإعراب في موضع رفع أو نصب أو جر.

وذكروا أنّ الجمل التي لها موضع من الإعراب تُؤوّل بالمفرد(١). أما الجمل التي لها موضع من الإعراب عند النحويين فهي(٢):

الجمل الواقعة خبرا، والواقعة فاعلا أو ما ينوب عنه، والواقعة مبتدأ، والواقعة مفعولا به، والواقعة حالا، والواقعة مستثنى، والواقعة مضافا إليه، والجملة الواقعة جوابا لشرط جازم مقرونة بالفاء أو إذا، والجملة التابعة لمفرد؛ وهي الجملة المنعوت بها والمعطوفة بالحرف والمبدلة والجملة التابعة لجملة لها محل من الإعراب.

كما ذكروا الجمل التي لا موضع لها من الإعراب، وهي(٣):

الجملة الابتدائية المفتتح بها النطق والمنقطعة عما قبلها، والجملة المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتشديدا، والجملة التفسيرية مقرونة بأي ومقرونة بأن وغير مقرونة بشيء، والجملة المجاب بها القسم والواقعة جوابا لشرط غير جازم مطلقا أو جازم ولم يقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية، وجملة الصلة، والجملة التابعة لجملة لا محل لها من الإعراب.

والملاحظ أن تعاقب الذكر والحذف في الجمل أقل شيوعا في القرآن الكريم من تعاقب ذكر الحرف وحذفه من جهة وذكر المفردة (الأسماء والأفعال) وحذفها من جهة ثانية.

والجدير بالذكر أن زيادة الجملة في آية عنها في أخرى إنما يكون لغاية بلاغية، أو لحكمة إلهية، أو لإضافة حكم شرعي مما يوضحه سياق الآيات ومناسبات النزول وأساليب البيان في القرآن الكريم، وهذا مما سنوضحه في كل آية من آيات تعاقب الذكر والحذف مرتبة حسبما وردت في كتب النحو الأصول.

---

(١) السيوطي/الأشباه والنظائر في النحو ١٥/٢، ابن هشام/مغنى اللبيب ج٢ ص٤١٠.

(٢) ابن هشام/مغني اللبيب ج٢ ص٤١٠: ص٤٢٨، ص٣٧٤.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- تعاقب الذكر والحذف في الجملة الاسمية الواقعة مفعولا به للقول:

تطالعنا في سورة "يس" قصة أصحاب القرية من خلال آيات كريمة تعددت فيها أضرب الخبر، كما تنوعت أغراض الخبر على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون (١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (١٤) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون (١٥) قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (١٦) وما علينا إلا البلاغ المبين (١٧)﴾ (يس).

لقد حقق هذا النص القرآني من قوة التعبير والقيمة الجمالية، بالإضافة إلى إفادة المخاطب الحكم، أو ما يسمى فائدة الخبر ولازم الفائدة، مما يجعل هذا النص دليلا على ما حرصت عليه العرب: من أن يكون كلامهم بمقدار الحاجة وليس زائدا عليها، ويجعله شاهدا على أن العلاقات الداخلية في التراكيب المختلفة هي نتيجة لما يعتريها ذكر وحذف؛ فقد أرسل الله سبحانه لهذه القرية اثنين من الرسل فكذبوهما فعززهما برسول ثالث.

ويدرك المرسل الثالث – في ضوء ما نال سابقيه من تكذيب – أنه سيصيبه ما أصابهما، ويقولون: فيضم صوته إلى صوتيهما ﴿إنا إليكم مرسلون﴾.

ونلاحظ ما سبق الجملة الخبرية من توكيد بـ (إنّ)، وما طرأ على الدلالة من تغير ملحوظ قرين بما يتصل بهذه البنية من لواصق يجعلها مختلفة عن دلالة: نحن إليكم مرسلون إذ يتغير مستوى المعنى، وعلى الرغم من هذا التأكيد فقد رد عليهم أصحاب القرية قوله تعالى: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا، وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾.

والرد هنا ما بين البنية والدلالة يفسح المجال للمتلقي؛ فيضعه أمام التأثيرات الأسلوبية والتبادل الجدلي بين النص وردود أفعاله؛ فإن إصرار أهل القرية على تكذيب الرسل واضح إذ عبروا بأسلوب (ما إلا) ﴿ما أنتم إلا بشر﴾ و"ما" و"من" في قوله تعالىعلى لسانهم: ﴿ما أنزل الرحمن من شيء﴾ وإن وإلا في قولهم ﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾، لقد لمح الرسل تصميم القوم على موقفهم منهم؛ فزادوا مؤكدا جديدا إلى جانب "إنّ" في خطابهم السابق؛ فأشهدوا ربهم على صدق دعوتهم؛ فصدّروا الجملة بقولهم: (ربنا)، وأسندوا العلم إليه في قوله: (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون)، وقرنوا "إن" باللام لتعزيز موقفهم وتأكيد صدق دعواهم.

لكن القوم أصروا على عنادهم في قوله تعالى: ﴿إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم﴾، ولا شك في أن إضافة أدوات التوكيد (اللام ونون التوكيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثقيلة وأسلوب القصر بما وإلا، وحرف التوكيد أنّ) إلى الجمل السابقة نقلت الدلالة من المتسوى العادي إلى مستوى أعمق في تأكيد المعنى كما حققت هذه الإضافة في حجم البينة التلاؤم بين المستويات الدلالية للنص وحالة المتلقي وبذلك توثق الارتباط بينهما.

والحقيقة أن فكرة مستويات المعنى لم تكن بعيدة عن إحساس البلاغيين وهم يتعاملون مع النصوص الأدبية بل يتجسد ذلك بجلاء في كلام لعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز رواه عن ابن الأنباري مداره حوار بين الكندي المتفلسف وأبي العباس حين قال له إني لأجد في كلام العرب حشوا[١] ... فالألفاظ متكررة والمعنى واحد فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني.

وقد علق عبد القاهر بقوله:

واعلم أن ههنا دقائق لو أن الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع "إنّ" ثم ألطف النظر وأكثر التدبر لعلم عِلْمَ ضرورة أن ليس سواءً دخولها وأنْ لا تدخل[٢].

ب- تعاقب الذكر والحذف في جملة الاستفهام الواقعة مفعولا به لمقول القول:

يلفت النظر في سورة الكهف قصة موسى والخضر بما احتوته من تنوع في أسلوب الحوار عن طريق جمل الاستفهام والجمل الخبرية على النحو التالي:

١- قال تعالى: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ (الكهف ٦٧).

٢- وقال: ﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ (الكهف ٧٢).

٣- وقال: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ (الكهف ٧٥).

تبدأ القصة بالجملة الابتدائية التالية: ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ (الكهف ٦٥). فسأله موسى عليه السلام: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا؟﴾ (٦٦).

ونستشف أدب موسى في طلبه العلم الراشد من العبد الصالح. أما الرجل الصالح فيدرك مسبقا أنه لا طاقة لموسى بالصبر على ما سيصدر من الخضر من تصرفات قد تصطدم في ظاهرها بالمنطق العقلي لأن علم الخضر مختلف عن علم البشر فهو جانب من العلم

---

(١) عبد القاهر الجرجاني/دلائل الإعجاز ص٢٤٢ انظر تفصيل الحوار.

(٢) المصدر نفسه ص٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالغيب الذي أطلعه عليه الله بالقدر الذي أراده للحكمة التي أرادها[١]: فأجاب: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ (٦٧)، ثم أردف متسائلا: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ (٦٨). إلا أن موسى وعده بالصبر قائلا: ﴿ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا﴾ (الكهف ٦٩).

وقد قدم المشيئة ووعد بالطاعة لأوامر الخضر فاشترط عليه الخضر ألا يسأل عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له سرها. فانطلقا، إلا أن موسى لم يف بالوعد فاستنكر خَرْق الخضر للسفينة قائلا: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها؟﴾(الكهف ٧١)، وعقب بحكم مؤكد بقد المقترنة باللام ﴿لقد جئت شيئا امرا﴾ (الكهف ٧١) وهنا يذكره العبد الصالح بما قال له منذ بدء اللقاء: ﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ (٧٢).

ولقد كرر قوله السابق ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لكنه زاد عليه قرينة وهي جملة الإستفهام المنفي، ولا يخفى أن اتصال جملة الإستفهام بجملة قد سبق ذكرها قد أثرى العلاقة السياقية بينهما وولد مستوى جديدا مختلفا من مستويات المعنى حمل دلالة التذكير بلطف بما قاله العبد الصالح وتوقعه. لكن موسى أصر على الصحبة - بالإضافة إلى دلالة جانبية ثانية وهي أن موسى قد أخفق في الوفاء بما وعد فلم يصبر وعصى[٢] ثم اعتذر موسى وقبل الخضر اعتذاره. وبمجرد أن رأى موسى الخضر يقتل غلاما صرخ باستفهام استنكاري:

﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾ (٧٤)، فقد اتهم موسى العبد الصالح بالقتل العمد لغلام بريء فانبرى العبد الصالح قائلا:

﴿ألم أقل "لك" إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ (٧٥). وفي هذه العبارة يكرر ما قاله في المرة الأولى وما قاله في المرة الثانية ويلحق بالاستفهام الجار والمجرور "لك" فيضيف بإضافته قوة تعبيرية وقيمة جمالية. فالحاجة ماسة إلى هذه اللفظة في هذا الموقف. فالقول في العبارة السابقة كان قولا عاما بدأ باعتقاد الخضر وتوقعه لكنه أصبح مؤكدا بعد التجربة.

وقد نلمس في استفهام الخضر حدة لم تظهر في قوله ألم أقل -بدون لك- ورغم تشابه الأسلوب، فلفظة "لك" عَنَت موسى عليه السلام دون غيره وأنه سبق وأن حذَّره. ويطلب موسى الفرصة الأخيرة ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾

---

(١) سيد قطب/في ظلال القرآن ج٢ ص٣٩٦، ص٣٩٧.

(٢) عمر الأسعد/اللغة العربية بين المنهج والتطبيق ص١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الكهف ٧٦). ولم يصبر موسى فقال له الخضر: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ (الكهف ٧٨) فقد حسم الموقف وأنهى الصحبة فبدأ باسم إشارة وأخبر عنه بمصدر مضاف جعل الفراق لا لقاء بعده، ورغم خلو هذه العبارة من المؤكدات فإن دلالة الحزم والإصرار واضحة فيها.

وهكذا نصل إلى أن بنية الإستفهام ومستوياته في هذه الآيات قد حققت القوة التعبيرية والقيمة الجمالية بالإضافة إلى إفادة الحكم أو ما يسمى فائدة الخبر ولازم الفائدة.

جـ- حذف جملة الطلب الواقعة مفعولا به للقول:

تطالعنا في قصة موسى عليه السلام آيتان متشابهتان زادت إحداهما على الأخرى بجملة طلبية على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون﴾ (النمل ٧).

وفي سورة طه: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ (طه ٩). ﴿إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس﴾ (طه ١٠).

وتأتي الآيتان للإخبار عن رحلة موسى خارجا من مدين حين حاد عن الطريق في ليلة باردة مظلمة وكان معه زوجه فرأى من جانب الطور نارا[١]، فقال لزوجه في الآية الأولى: ﴿إني آنست نارا﴾ لكنه قال في الثانية لزوجه: ﴿امكثوا إني آنست نارا﴾.

وقد احتوت الآيتان على وعد من موسى لزوجه ﴿سآتيكم﴾ بالسين إما لتأكيد الوعد أو لتقريب المدة دفعا لاستيحاش زوجه إذا طالت غيبته وقال في الآية الثانية: ﴿لعلي آتيكم﴾ على صيغة الترجي والظن والتوقع.

ولعل دلالة امكثوا انتظروا في مكانكم، فقد أمر زوجه بالمكوث[٢] في مكانها وألا تتبعه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار وبذلك تكون جملة ﴿إني آنست نارا﴾ تعليلا للأمر امكثوا وفيه ما يمنح الأمل والهدف من القولين تسلية زوجه وتبرير سيره بدونها بعد أن رحلا سويا وفي الآية الأولى يكون الإخبار عن رؤية موسى للنار مقول القول، وفي الآية الثانية تصبح جملة الأمر امكثوا هي مقول القول وجملة إني آنست نارا لتعليل جملة الطلب.

---

(١) الألوسي/روح المعاني المجلد ١٠ - ج١٩، ٢٠ ص١٥٥، ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه مج ٨، ج١٥، ١٦ ص٤٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قيل في جملة لعلي آتيكم جملة حالية على تقدير أذهب إليها لآتيكم أو كي آتيكم أو راجيا أن آتيكم منها بقبس.

ويمكن للمرء أن يذهب إلى أن الفرق بين الآيتين يتلخص في أن القصد من الآية الأولى التركيز على رؤية موسى للنار من بعيد ورغبته في التحقق من أمرها أو المجيء منها ما يدفئ زوجه.

أما في الآية الثانية فيحتوي على ما يضيف بعدا جديدا إلى تفاصيل القصة وهو ترفقه بزوجه بالطلب إليها بالمكوث وعدم مصاحبته في السعي إلى تحقيق أمل محفوف بالمخاطر فلا حاجة إلى اصطحابها.

د- ذكر الجملة الفعلية الواقعة حالا وحذفها:

قال تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ (الحج ٢٣).

وقال تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (محمد ١٢).

تتحدث الآيتان عن المؤمنين ومصيرهم يوم القيامة حيث يدخلهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار وقد فصل سبحانه في سورة الحج عن المؤمنين فزاد في ذكر ما يحلون به من ذهب وفضة ولؤلؤ وأن جميع ما يلبسونه حرير أما في آية "محمد" فقد اكتفى بذكر إدخالهم الجنات التي تجري من تحتها الأنهار دون ذكر ما يحلون به.

ومن يتأمل سياق آية الحج ويربطها بما سبقها من آيات يجدها في ذكر أهل السعادة وأهل الشقاوة[١] وما دار بينهما من خصومة في دين الله فقال تعالى: ﴿هذان خصمان﴾ (الحج ١٩) ثم ذكر مصير الفريق الأول ممن كفر ﴿قطعت لهم ثياب من نار... ﴾ (الحج ١٩) الخ، ثم تحدث بالمقابل عن الفريق الثاني لبيان حسن حالهم، ولتوضيح مدى تفضُّل الله عليهم فإنه يدخلهم جنات ويحلون فيها من أساور من ذهب ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول ... الخ. مقارنة بسوء حال الكفرة.

وقد صدّر الجملة بحرف (إن) إظهارا لمزيد العناية بأمر المؤمنين[١]. أما آية محمد فقد سبقت بقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ (محمد ١١)

---

(١) الواحدي/أسباب النزول ص٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولبيان ثمرة ولايته تعالى للذين آمنوا في الآخرة قال: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (محمد ١٢).

ثم قارن حالهم بحال الذين كفروا فعطف ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ (محمد ١٢).

فثمرة ولاية الله المؤمنين دخول الجنة أما الذين كفروا فانتفاعهم مقتصر على الدنيا بمتاعها غافلين عن عواقب هذا التمتع، فالنار منزل الثواب والإقامة لهم[٢].

أما جملة ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ (الحج ٢٣)، فهي جملة فعلية بني الفعل فيها للمجهول لأن الحلية والحالي هما القصد دون من يحليهم، وقد اختلف النحاة حول (من) أساور فذهب الأخفش والكوفيون أنها صلة على اعتبار أنها زائدة[٣] وقد أجازوا زيادتها في الآيتين وذهب أبو حيان إلى أنها للتبعيض[٤] وقال آخرون أنها بيانية[٥]، وقال آخرون أنها للابتداء أي قبل أن تكون اسورة فقد كانت ذهبا[٦].

ولعل فهم الآية إذا جعلنا "من" بيانية أن يكون المراد وصف حالهم فهم يلبسون (أساور) زينة لهم فيما يتعلق بهذا الجانب من الزينة، وجاء بأساور نكرة، للدلالة على قيمتها كما أن (من ذهب) بيان لمادة الأساور التي لا تخالطها مادة أخرى.

أما تبعيضية، فكأن في الآخرة –وهو كذلك– أساور لا تقع ضمن خيال البشر، فيحلون ببعضها، وكأن الأساور أنواع ومراتب تتناسب مع أنواع المؤمنين ومراتبهم، ومن ذهب، أي جزءا من بعض (هي من ذهب) كذلك لا يدخل ضمن خيال البشر، فذلك ذهب له صفات خاصة. ويرى الدكتور تمام أن مِنْ هنا بمعنى الباء[٧]. ولؤلؤا بالنصب على معنى ويحلون لؤلؤا بدليل كتابتها في جميع المصاحف بألف.

---

(١) تفسير أبي السعود ج٦ ص١٠٢.

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص٩٤.

(٣) تفسير أبي السعود ج٦ ص١٠٢. العكبري/التبيان في إعراب القرآن ق٢ ص٩٣٨. السيوطي/معترك الأقران ج٢ ص٥٥٦.

(٤) أبو حيان/النهر الماد ج٤ ص١٨٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٢٨، ٢٩.

(٦) د. فضل عباس/لطائف المنان ص١٥٢.

(٧) د. تمام حسان/البيان في روائع القرآن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خفض فقرأ "لؤلؤ" عطف على لفظ "الأساور" ومن اعتبر من زائدة قبل (أساور) ونصب "لؤلؤا" فقد نصب "على اعتبار" أساور" مفعولا به مجرورا لفظا منصوبا محلا وعطف "لؤلؤا" على المحل[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ يحمل دلالة الديمومة والشمول والاستمرار فجميع ما يلبسون دائما حرير.

أما أساور فهي جمع أسورة واحدها سوار وفيه ثلاث لغات ضم السين وكسرها وأسوار.

هـ- تعاقب ذكر جملة جواب الشرط المقترن بالفاء وحذفها:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (البقرة ١٧٣).

وقال في سورة الأنعام:﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾(الأنعام ١٤٥).

وقال في سورة النحل: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾ (النحل ١١٥).

يلاحظ تشابه الآيات الثلاث مع زيادة جملة ﴿فلا إثم عليه﴾ وهي جملة جواب الشرط في آية البقرة وخلو آيتي الأنعام والنحل منها.

وبالرجوع إلى سياق الآيات الثلاث وما سبقها يتبين لنا أنها جميعا تبين للمضطر ما له أن يتناول من المحرم الذي يمسك به رمقه.

فبدأ الآية الأولى بالتصريح بإسقاط الإثم فقال ﴿فلا إثم عليه﴾ ثم عقب بما اتصف به سبحانه من المغفرة والرحمة، أما في الموضعين الآخرين فلم يذكر (لا إثم عليه) بل اكتفى بقوله "فإن الله غفور رحيم" في النحل، "وإن ربك غفور رحيم" في الأنعام ليكون كل منهما جوابا للشرط، وفي هذا الجواب تعريض بإسقاط الإثم ويفهم هذا الإسقاط ويستدل عليه من قوله غفور رحيم وورود ذلك صريحا في الآية الأولى.

والجدير بالذكر أن المحرمات في الآيات الثلاث جاءت على النحو التالي:

١- في سورة البقرة ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾ (البقرة ١٧٢).

٢- وفي سورة النحل ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ (النحل ١١٥).

---

(١) العكبري/التبيان في إعراب القرآن ق٢ ص٩٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- وفي سورة الأنعام ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير ا لله به﴾ (الأنعام ١٤٥).

و- حذف جملة جواب الشرط:

وقد تزيد جملة جواب الشرط في آية عن مثيلتها في آية أخرى على النحو التالي:
قال تعالى: ﴿ومن يؤمن با لله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ (التغابن ٩).
وقال تعالى: ﴿ومن يؤمن با لله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ (الطلاق ١١).

ومن يتدبر الآيتين يلاحظ أن جواب الشرط في الآية الأولى يتضمن التكفير عن السيئات وإدخال الجنات التي تجري من تحتها الأنهار والخلود فيها أبدا أما جواب الشرط في الآية الثانية فهو إدخال الجنات والخلود فيها أبدا دون ذكر تكفير السيئات.
وبالرجوع إلى سياق الآية الأولى التي ذكر ضمنها التكفير عن السيئات نتبين أنه يدور حول البعث بدليل قوله في مطلع الآية ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾ (التغابن ٩) ثم عقب بقوله: ﴿ومن يؤمن با لله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته﴾.

فالقضية عقائدية بحتة تقوم على جمع الناس ومحاسبتهم على ما قدموا من أعمال حسنة وسيئة، ويوم التغابن هو يوم المجازاة والمعاقبة وهو يوم غَبْن الناس تعقبا بنزول السعداء منازل الأشقياء وبالعكس، وفي الحديث: "ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة"[١] وبعد هذا الوصف يعقب: "ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته"[٢]. ومن ثم فالتشديد على ذكر تكفير السيئات ضروري هنا.
أما سياق آية الطلاق فلم يتحدث عن اليوم الآخر بل ابتدأت السورة بأسلوبإرشادي تعليمي ﴿فاتقوا ا لله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل ا لله إليكم ذكرا. رسولا يتلو عليكم آيات

---

(١) التبريزي/مشكاة المصابيح ج١ باب الإيمان بالقدر الحديث رقم ٨٥-(٧) ص٣١.

(٢) تفسير أبي السعود ج٨ص٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور... ﴾ (الطلاق ١١) ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ندخله جنات﴾ (الطلاق ١١) حسبما بَيّن في تضاعيف ما أنزل من الآيات المبينات.

فاقتضى الأمر التركيز على فكرة الإيمان والعمل الصالح الذي يقتضي إدخال الجنة لمن آمن بالله والرسول وكتابه دون الحاجة إلى ذكر التكفير لأن السياق لم يبدأ بذكر ما يشير إلى معصية الكفر بيوم القيامة[1] أو اليوم الآخر أو ما يشير إلى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فهي في مجال الترغيب.

ومع أن صفة الكمال عند الإنسان مستحيلة وأن يدخل الإنسان الجنة التي تجري تحتها الأنهار ويخلد فيها دون تكفير للسيئات مستحيل أيضا لكن النتيجة النهائية لمن يؤمن بالله ويعمل صالحا دخول الجنة ودخول الجنة يتضمن في طياته تكفير السيئات فنفهم ضمنا في الآية الثانية أن السيئات قد كفرت بدليل النتيجة النهائية وهي دخول الجنة.

ومن هنا ندرك لماذا ذكرت الجملة في موضع وحذفت في موضع آخر.

ز- تعاقب الذكر والحذف في الجملة المعطوفة على جملة فعلية مثبتة:

يلفت النظر في سورتي يوسف والقصص آيتان متشابهتان زادت إحداهما عن الأخرى بجملة معطوفة على ما قبلها في قوله تعالى:

﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾ (يوسف ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾ (القصص ١٤).

والجدير بالذكر أن المقصود من الضمير (آتيناه) في الآية الأولى "يوسف عليه السلام" وفي الآية الثانية "موسى عليه السلام".

ويتساءل المرء عن تخصيص آية موسى بذكر بلوغ الأشد والاستواء واقتصار آية يوسف على بلوغ الأشد.

ونرى لزاما أن نبين مدلول بلوغ الأشد والاستواء لعلنا ندرك الحكمة من الذكر والحذف في الموضعين.

ورد في القرآن الكريم عدة ألفاظ من الفعل شد في قوله تعالى: ﴿أشدد به أزري﴾

---

(١) تفسير أبي السعود ج٨ ص٢٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(طه ٣١)، ﴿فشدوا الوثاق﴾ (محمد ٤)، وعلى صيغة التفضيل في قوله ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ (فاطر ٤٤)، وكلها تحمل دلالة القوة. وفي موضع من القرآن الكريم جاءت آية ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ (الأحقاف ١٥).

وفي هذه الآية تنبية على أن الإنسان إذا بلغ هذا القدر من العمر يقوى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزايله بعد ذلك[١]. وقرنت بين بلوغ الأشد وبلوغ الأربعين.

ورغم دلالة هذه الآية فقد اختلف العلماء حول "بلوغ الأشد" فقال بعضهم ثماني عشرة أو ثلاث وثلاثون وأربعون سنة وزاد بعضهم إلى اثنتين وستين[٢].

ونسبوا قول أول الأشد الحلم وأقصاه أربع وثلاثون سنة إلى سفيان الثوري وفسروا قوله تعالى "لما بلغ أشده" أي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل حينئذ[٣].

أما الأشد عند سيبويه فجمع وواحده شدة وقال الكساني واحده شد وزعم أبو عبيدة أنه لا واحد له من لفظه عند العرب ومعناه استكمال القوة ثم يكون النقصان بعد[٤].

أما دلالة استوى لغة فقد اتفق على أنها اعتدال الشيء في ذاته[٥]. قال تعالى: ﴿ذو مرة فاستوى﴾ (النجم ٦). واستوى أي اعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه[٦]. وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة[٧]. واستوى أي اعتدل قده وعقله[٨].

وقال ابن عباس: بلغ أربعين سنة[٩]. وقيل بلغ أشده واستوى أي أدرك واستوت لحيته[١٠].

ولعل هذه الآراء في التفريق بين بلوغ الأشد والاستواء تعطينا الضوء لندرك الحكمة من ذكر "واستوى" في الآية الثانية.

---

(١) الراغب الأصفهاني/معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم -باب شد ص٢٦٣.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص٤٣٧.

(٣) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن الكريم ج١٣ص٢٥٨. تفسير أبي السعود ج٤ ص٢٦٣.

(٤) المصدر نفسه ج٩ ص١٦٢.

(٥) الراغب الأصفهاني/معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم- باب سوى ص٢٥٦.

(٦) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٣٨٤.

(٧) تفسير أبي السعود ج٧ ص٦، الكشاف ج٣ ص٣٨٤.

(٨) المصدر نفسه ج٧ ص٦.

(٩) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٢٥٨.

(١٠) الخطيب الاسكافي/درة التأويل ص٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه بالعودة إلى قصة يوسف في القرآن الكريم يتبين المرء أن الله قد أوحى إليه لما طرحه إخوته في الجب حيث قال سبحانه: ﴿وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ (يوسف ١٥). أما موسى عليه السلام فلم يؤثر عنه في القصص القرآني أنه أوحي إليه إلا بعد أن بلغ الأشد واستوى وذلك بالتحديد بعد أن استأجره شعيب عليه السلام وانقضت سنوات إجارته وسار بأهله حينئذ أوحى الله إليه وقيل أن ذلك كان بعد الأربعين[1]، فقد آتى الله يوسف الحكم والعلم عند بلوغ الأشد وقبل بلوغ الأربعين أما موسى فبعد بلوغ الأربعين (الاستواء).

وهكذا ندرك قيمة الجملة المعطوفة (واستوى) في أمر موسى وكيف أن ضرورة الدلالة تستدعي ذكرها دون آية يوسف. ولعل ما استدعى الاستواء في آية موسى خروجه عليه السلام إلى مدين، حيث أقام فيها عشر سنوات، وتزوج كذلك بعدها، ثم سار بأهله إلى أن آنس من جانب الطور نارا، وأوحى الله إليه، فكان اصطفاء موسى عليه السلام قد تأخر إلى أن بلغ أشده واستوى. بالإضافة إلى ما اكتسبه من صفات خلال هذه السنوات، ومن اطمئنان نفسي ببعده عن القوم الظالمين.

أضف إلى ذلك أن رسالة موسى "التوراة" وإن كانت تدعو إلى ما دعا إليه يوسف من التوحيد فإنها تختلف بكونها كتاباً سماوياً يقتضي "الاستواء" إضافة إلى بلوغ الأشد.

ولا نعني بتخصيص الاستواء بموسى إسقاطه عن باقي الأنبياء فمن المسلم به أن مقومات النبوة الحكمة والفطنة والعلم لكن الآية ركزت على طبيعة موسى وظروفه التي تختلف عن ظروف من سبقه من الأنبياء ومنهم يوسف عليه السلام فذكر الاستواء له ولم يذكر لغيره.

<u>د- تعاقب الذكر والحذف في الجملة المعطوفة على جملة فعلية منفية:</u>

وردت آيتان متشابهتان إحداهما في سورة البقرة والأخرى في سورة آل عمران تتضمنان عقاب فئتين من اليهود إلا أن إحدى الآيتين زادت على الأخرى بجملة معطوفة على النحو التالي: قال تعالى في سورة البقرة:

﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا

---

(١) عبد الوهاب النجار/قصص الأنبياء، ذكر أن عيسى ويوسف قد بعثا قبل الأربعين والحلم للغالب لا للنادر القليل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ (البقرة ١٧٤). وقد تكرر هذا العقاب في سورة آل عمران لكنه زاد عنه في قوله تعالى:
﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران ٧٧).

وبالرجوع إلى كتب التفسير وأسباب النزول يتبين أن آية البقرة نزلت في علماء اليهود كانوا يرجون أن يكون المبعوث الذي تحدثت عنه التوراة منهم، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم سألتهم ملوكهم: أهذا الذي بشَّرَتْ به التوراة؟ فقالوا: ليس هذا هو النبي المنتظر فكتموا الحق وغيّروا صفة المبعوث حتى لا تنقطع عنهم الهدايا التي يأخذونها منهم[١]. وهذا السبب وإن كان خالصا بالاعتبار بعموم اللفظ فهو يشمل كل مَنْ كتم ما شرعه الله وأخذ عليه الرشا[٢].

أما آية آل عمران فقد نزلت في رجل أو رجال من اليهود جحدوا بعض المسلمين حقهم فتحاكم الطرفان المتنازعان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب من المسلم البَيِّنَة فلم يقدمها وطلب من اليهودي اليمين فحلفه كاذبا[٣] وقيل نزلت في جماعة من علماء اليهود حرفوا التوراة وبدلوا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم الأمانات وأخذوا على ذلك رشوة.

ونلمس أنَّ آية آل عمران أوضحت نوعا آخر من معايب أهل الكتاب بالإضافة إلى تحريفهم التوراة وهو خيانتهم في المال بعد خيانتهم في الدين فقد استحل بعضهم أموال العرب فقالوا ليس علينا فيما أصبناه من أموال الأميين (العرب)[٤] عتاب وذم ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (آل عمران ٧٥).

وباختلاف درجات الخيانة اختلف العقاب الإلهي فالفئتان وإن اتفقتا على جزء من العمل اختلفت في جزء آخر؛ فالمجموعة الأولى المتصفة بالكتم والاستبدال بآيات الله ثمنا قليلا حدد الله جزاءها:

أ. ﴿ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ كناية عن تحمل آثامهم المؤدية إلى النار في الآخرة.
ب. ﴿لا يكلمهم الله﴾ دلالة على غضبه عليهم لأن التكليم تأنيس للمتكلم.
جـ. ﴿لا يزكيهم﴾ فلا يقبل أعمالهم ولا يثني عليهم خيرا.

---

(١) أبو حيان/النهر الماد من البحر المحيط ج١ ص٢٤٣. الألوسي/روح المعاني المجلد ١ ج٢ ص٤٤٢.

(٢) الشوكاني/فتح القدير ج١ ص٢١٤.

(٣) الألوسي/روح المعاني مج ٢ ج٣ ص١٩٦.

(٤) الشوكاني/فتح القدير ج٢ ص٤٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا جزاء لهم على كتمانهم جزءا من التوراة أو كتمانهم القرآن الكريم[١].

أما المجموعة الثانية فهي خسيسة النفس تبدل الشيء العظيم في سبيل تحصيل شيء حقير، وترك النعمة والوفاء بالعهد وترك الإيمان بما أنزل الله والإشتراء بآيات الله ثمنا قليلا كلها معاص تحتم العقاب الأشد الذي لا يقع معه عفو﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ (آل عمران ٧٧) فهم مشتركون بالعقاب مع الفئة السابقة لكنهم يزيدون بأنهم لا خلاق لهم في الآخرة أي لا نصيب لهم من نعيمها. ولا ينظر إليهم يوم القيامة أي لا يعطف عليهم ولا يرحمهم لسخطه الشديد وفي هذا تهويل للوعيد[٢].

ويتلخص الموقف في أن الجماعة المقصودة في الآية الأولى أقل سوءا ولذلك اقتصد في عقابهم، وإن كان عقابهم شديدا، في حين كان الغضب على الفئة الثانية أشد فكان العقاب أنكى وتمثل ذلك في زيادة(لا خلاق لهم في الآخرة)، (ولا ينظر إليهم).

وقد اعتبر الخطيبالإسكافي الوعيد في الآية الأولى أشد على اعتبار الذنوب في آية البقرة أكثر واعتبر ما ذكر في آية آل عمران هو بعض ما ذكر في الآية الأولى فقرن به من الوعيد أقل مما قرن في الأولى[٣].

ونحن لا نرى هذا الرأي بل نرى الوعيد في آل عمران أشد. فكل مذنب يكون بحاجة إلى أن ينظر الله إليه نظرة رحمة فإذا ما تقرر أنه لن ينظر إليهم ولن تصل رحمته و عطفه إليهم فذلك قمة غضب الله عليهم والله أعلم.

ط- تعاقب ذكر الجملة التفسيرية وحذفها:

في مجال التكذيب باليوم الآخر والبعث تطالعنا آيتان متشابهتان إلا أن إحداهما زادت على الأخرى بجملة تفسيرية في قوله تعالى:

أ- ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ (المؤمنون ٣٧).

ب- ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ (الأنعام ٢٩).

وبالرجوع إلى سياق الآيتين لنخلص إلى الحكمة من ذكر جملة (نموت ونحيا) في "المؤمنون" وحذفها من "الأنعام" يتبين لنا أن آية "المؤمنون" جاءت في سياق الحديث عن

---

(١) أبو حيان/النهر الماد ج١ ص٢٤٣. الشوكاني/فتح القدير ج١ ص٢١٤

(٢) الألوسي/روح المعاني مج ٢ ج٣ ص١٩٦.

(٣) انظر الخطيب الإسكافي/درة التأويل ص٤٤، ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسل وتكذيبهم فبدأت بنوح عليه السلام وتكذيب قومه وإهلاكهم ثم قوله تعالى ﴿ثم أنشانا من بعدهم قرنا آخرين. فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ (المؤمنون ٣١،٣٢). وهذه هي دعوة التوحيد التي دعا إليها كل الرسل.

فإجابة الملأ الذين كذبوا بلقاء الآخرة ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم ...﴾ (المؤمنون ٣٣) ومخاطبة بعضهم بعضا: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون (٣٥) هيهات هيهات لما توعدون (٣٦) إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ (المؤمنون ٣٧).

ولعل هذا السياق يبين ضرورة وجود الجملة التفسيرية "نموت ونحيا" فهم مكذبون بنبوة نوح وهو من البشر فبالغوا في توهين أمره واستهانوا به، وقولهم أيعدكم؟ استئناف لتقرير ما قبله من زجر أصحابهم عن اتباعه بإنكار ما يدعوهم للإيمان به واستبعاده ... أيعدكم أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم بعد أن يصبح بعض أجزائكم من اللحم ترابا وبعضها عظاما؟(١)

ثم كرروا هيهات وانتهت الآيات بتقرير معتقدهم: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أي لا حياة إلا حياتنا الدنيا ثم فسروا ما ادعوه: يموت بعضنا ويولد البعض الآخر.

وليس المقصود بقولهم (ونحيا) حياة أخرى بعد الموت إذ لا تصلح الجملة بموجب هذا أن تكون جملة تفسيرية لادعائهم بل تناقض قولهم ﴿وما نحن بمبعوثين﴾.

أما آية الأنعام (٢٩) فقد جاءت في سياق الحديث عن مصير المكذبين بالبعث ومعاينتهم العذاب في اليوم الآخر وتمنيهم لو يُردّون إلى الحياة مرة ثانية ليؤمنوا ويوضح سياق الآيات السبب الذي أوصلهم إلى هذا العذاب وهو تكذيبهم بالبعث وادعاؤهم إنما يحيون في الدنيا فقط ولا يبعثون.

قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ (الأنعام ٣٠). ومن هنا ندرك لماذا ذكرت جملة نموت ونحيا في الآية الأولى ولم تذكر في الثانية.

ج- تعاقب ذكر جملة النداء وحذفها:

وقد تحذف جملة النداء في آية بينما تذكر في آية أخرى على النحو التالي في قوله تعالى في قصة: موسى: ﴿إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني أنست نارا لعلي آتيكم

---

(١) الألوسي/روح المعاني مج ٩ ج١٧،١٨ ص١٣٢: ٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها بقبس أو أجد على النار هدى* فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك..﴾ (طه ١٠،١١).

وقال تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين* وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ (القصص ٣٠،٣١).

وقال تعالى: ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾ (النمل ٨).

والمتدبر لهذه الآيات يدرك وجود جملة النداء في جواب لمّا الحينية في آية طه (فلما أتاها نودي يا موسى) وفي آية القصص، وعدم وجودها في آية النمل والاكتفاء بقوله تعالى (نودي) دون التصريح بالمنادى. ويميل النحاة إلى اعتبار أن مفسرة في قوله أن يا موسى بمعنى (أي) باعتبار أن في النداء معنى القول واستدلوا على ذلك بكسر همزة إنّ في قوله تعالى (إني أنا ربك) بعد قوله (أن يا موسى)، ويميل بعضهم إلى اعتبار (أنْ) في قوله تعالى (أن بورك) مخففة من أنّ مثلما اعتبروا قوله تعالى (نودي) دون التصريح ب(يا موسى) ما يُغني عن ندائه، بل ذهبوا إلى أن نودي هنا بمعنى (قيل) دون حروفه، أي قيل: بورك.

ولعل التصريح بالمنادى مسبوقا بأداة النداء "يا" قد أعطى موسى عليه السلام شعورا بالطمأنينة والثبات؛ إذ نودي باسمه (يا موسى)، كما أن وجود لما متبوعة بنودي توحي بالنداء بعد انتظار طويل من موسى حيث لم تُذكر لمّا متبوعة بأن، لتدل على حصول الفعلين دون تراخ، أما من حيث الاعراب فقد اعتبر بعض النحاة قوله تعالى: (يا موسى) نائبا عن الفاعل وذلك على تضمين النداء معنى القول، وارادة هذا اللفظ من الجملة، والا فقد قيل: إن الجملة لا تكون فاعلا ولا نائب فاعل في مثل هذا التركيب إلا بهذا التأويل.

وقد ذهب البصريون إلى إضمار القول في مثل هذه الآية أي نودي فقيل: يا موسى ولذلك كسرت همزة إن بعدهما.

وقرأ ابن كثير بفتحها (نودي: أني) على تقدير حرف الجر،أي بأني، والمجرور متعلق بنودي، والنداء قد يوصل بحرف الجر، وقد يقدر فعل اعلم أني وتكرار ضمير المتكلم (إني أنا ربك) لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة.

وتصف كتب التفسير في روايتها للقصة شدة الهول الذي حلّ بموسى قبل أن ينادى فلما نودي (يا موسى) ولم يدر من دعاه، ازداد خوفه وحين سمع قوله تعالى: إني أنا ربك هدأ روعه ولا يخفى ما في ندائه باسمه من تأمين لخوفه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تطالعنا آيتان أخريان احتوت إحداهما على جملة النداء ولم تُذكر في الآية الأخرى على النحو التالي في قوله تعالى:

﴿وإذ قال موسى لقومه: يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا﴾ (المائدة ٢٠).

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون....﴾ (إبراهيم ٦).

احتوت الآيتان على خطاب موسى لقومه يذكرهم بنعم الله عليهم، لكن الآية الأولى جاءت بجملة النداء (يا قوم) ولم تذكر هذه الجملة في الآية الأخرى، ولا يخفى ما تحمله هذه الجملة من دلالة؛ فقد ذهب الإسكافي إلى أن ذكرها في آية المائدة، فيه من التنبيه المشوب باللوم الشديد بسبب جحودهم نعم الله المتعددة؛فإن تسمية المخاطب بذاته،مع الاقبال عليه، يفيد مبالغة في التنبيه له؛ فإذا قلت: افعل كذا يا فلان فكأنك قلت: أعنيك بخطابي أنت لا غيرك أنت، فإذا قارن النداء فعل الأمر كان مقصورا على صاحب الاسم الذي دخله حرف النداء، والمبالغة في التنبيه، والمبالغة في التنبيه حقها أن تكون في الأهم الأعم نفعا في قوله تعالى: ﴿يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم﴾؛ فقد نبههم ليقوموا بشكر ما عليهم من الإنعام مما لم ينعمه على أحد غيرهم.

أما ورود الآية في إبراهيم دون ذكر جملة النداء فيرجع إلى الرغبة في التنبيه إلى ما صرف عنهم من البلاء وان كان الموقف يستدعي الشكر، فإن الشكر مع النعم العميمة يستدعي أن يخصهم بالتنبيه (يا قوم) إذ إن الآية مسبوقة بقوله تعالى: ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ (المائدة ٢٠).

ويشعر المرء لدى إمعان النظر في هذا الفرق في المعنى بين الآيتين، كما أورده الإسكافي أنه ينطوي على رأي ضعيف إذ إن كل نعمة من الله تستدعي الشكر؛ هذا إلى جانب أن النعمة التي انطوت عليها الآية؛ وهي نعمة الإنجاء لا تقل عن النعمة الأولى، ويمكن للمرء أن يذهب إلى أن الخطاب في الآيتين موجه إلى نفس القوم؛ فاقتصر على استخدام جملة النداء في الأولى (المائدة) دون الآية الثانية لدلالة الأولى على القوم أنفسهم.

وتطالعنا آيتان أخريان احتوت احداهما على جملة النداء (يا قوم) ولم تذكر في الآية الثانية على النحو التالي في قوله تعالى:

﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله..﴾ (المؤمنون ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه: إني لكم نذير مبين﴾ (هود ٢٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل ما قيل في جملة النداء (يا قوم) في خطاب موسى لقومه، ما يعيننا على توضيح القصد من ذكر جملة النداء وحذفها في خطاب نوح لقومه وندائهم مع الإشارة إلى خصوصية موقف نوح من قومه.

ولعل في قول نوح لقومه: يا قوم ما يشعر برغبته في التحبب إليهم والتعطف عليهم، ومحاولة استمالتهم إلى الحق كما سبق وأشرنا إلى غاية النداء هي التنبيه والتحقيق وبخاصة اذا اقترن بالأمر "يا قوم اعبدوا الله".

وفي قوله: ﴿ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ (المؤمنون ٢٣) ما يضيف إلى دعوته استنكاره واقعهم واستقباحه وفي خطابهم بالنص يا قوم وبقوله (لكم) للتخصيص وقوله "من إله غيره" للتبيين، ما يشعر بمحاولة نوح اقناعهم بطرق عدة[١] أما في قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين﴾ (هود ٢٥)، فهي جملة مستأنفة مسوقة للشروع في ذكر عدد من القصص، وكسر (إنّ) يدل على المحذوف وهو جملة القول وإضمار القول على إرادته كثير وغني عن الشواهد.

وتقدير الكلام: (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فجاء فقال يا قوم) ومن النحاة من قدر حالا محذوفة أي أرسلنا نوحا قائلا.

والجدير بالذكر أن ابن كثير والكساني قرءا "أني" بالفتح على إضمار حرف الجر أي ملتبسا بذلك الكلام وعلى تقدير بأني والمعنى على الكسر[٢].

ويقوي ما ذهب إليه الألوسي شيوع هذا الأسلوب التعبيري الذي يتلخص في ذكر فعل القول ومقول القول في عبارة والاكتفاء بمقول القول في عبارة أخرى تجري في نفس السياق. ويعقب ذلك كسر همزة إن بعد فعل القول المحذوف وهو ما أشار إليه في روح المعاني.

وتخلص الباحثة إلى أنه لا يستوي البيان بذكر جملة النداء وحذفها، فإذا ذكرت هذه الجملة فإنها تضفي ظلالا خاصة على الآية مما يكسبها خصوصية وتميزاً عن آية أخرى مشابهة لمثذكر فيها هذه الجملة.

---

(١) الألوسي/روح المعاني مج ٩ ص٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه مج ٦ ص٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاقب الذكر والحذف في أشباه الجمل التالية:

- إلى أجل مسمى
- به
- فيه
- لكم
- له
- من غمّ
- منكم - منّا
- من دونه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- ذكر شبه الجملة "إلى أجل مسمى" وحذفها:

وردت في القرآن الكريم آيتان متشابهتان تتضمنان فكرة العبرة بتأخير العذاب وفصل الخصومة إلى يوم القيامة إلا أن إحدى الآيتين زادت على الأخرى بشبه جملة على النحو التالي:

قال تعالى:﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب﴾(فصلت ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾ (الشورى ١٤).

والملاحظ أن الآية الثانية زادت على الأولى بشبه الجملة ﴿إلى أجل مسمى﴾.

ولهذه الزيادة أهمية في تحديد الأجل أو الموعدالمضروب.

ورغم التشابه بين الآيتين فإن المقصود من كل منهما يوضحه سياق كل منهما، فالآية الأولى ورد فيها ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك...﴾، (فصلت ٤٥)، فالآية كلام مستأنف مسوق لبيان أن قضية الاختلاف في شأن الكتب قديمة عند الأمم غير مختص بقوم محمد صلى الله عليه وسلم، فلقد أتى موسى قومه بالتوراة فاختلفوا فيها من مصدق لها ومكذب بها وهذا حال قوم محمد صلى الله عليه وسلم في شأن ما آتاه الله من القرآن الكريم من مؤمن به وكافر.

فالمقصود من قوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي في حق أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن كذبه وهذه الكلمة هي العبرة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة. والدليل على هذا الموعد قوله سبحانه في سورة القمر آية ٤٦ ﴿بل الساعة موعدهم﴾ وقوله ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ (فاطر ٤٥).

ولولا هذه الكلمة لقضي بينهم في الدنيا باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السابقة رغم أن هؤلاء الكفار في شك من القرآن الكريم[1].

أما الآية الثانية فقد سبقت بقوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه. الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (الشورى ١٣) ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم﴾ (الشورى ١٤).

---

(١) الألوسي/روح المعاني ج١٢ ص٣٨٢. الزمخشري/الكشاف ج٤ ص١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تركز الآيات على أن جميع الأنبياء أمروا باتفاق الكلمة وإقامة الدين واتفقوا على دعوة التوحيد، وما تفرقت أممهم إلا بعد وفاة أنبيائهم.

وتشير الآيات أيضا إلى أن الفُرْقَة ضلال وفساد وأمر يتوعد عليه وأنها لا تكون إلا عداوة وطلبا للدنيا والرياسة[١] ثم ذكر قوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي عدته تعالى بترك معاجلتهم العذاب (إلى أجل مسمى) أي معلوم له سبحانه وتعالى وهو يوم القيامة أو بانتهاء آجالهم أي أعمارهم – لولا ذلك لقضي بينهم باستئصال المبطلين حين افترقوا. ثم يعقب ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ (الشورى ١٤) أي أهل الكتاب الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم لفي شك من كتابهم فلم يؤمنوا به حق الإيمان.

وهذه الجملة اعتراضية تؤكد أن تفرقهم باق في أعقابهم منضما إليه الشك في كتابهم مع انتسابهم إليه. فقد تفرقوا بعد العلم الحاصل لهم من النبي المبعوث إليهم المصدق لكتابهم كما تفرقوا قبله شكا في كتابهم فلم يؤمنوا به ولم يصدقوه[٢].

ثم خاطب الله نبيه آمرا: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت﴾ (الشورى ١٥).

فإذا كان الأمر كذلك في الأمم السابقة فادع إلى الائتلاف والاتفاق على الملة الحنيفة واثبت على الدعاء كما ثبت نوح ومن بعده.

وهكذا ندرك أن المقصودين في آية فصلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن كذبوه فلولا عدتهم بتأخير عذابهم لقضي بينهم في الدنيا.

وقد ذكر الأمم السابقة ليخفف الألم عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتوضيح أن الإختلاف في شأن الكتب السماوية عادة قديمة لا مقتصرة على قومه.

وأما الآية الثانية فالمقصودون بها أهل الكتاب ممن عاصر النبي صلى الله عليه وسلم وورثوا الكتاب من أسلافهم فهم في شك من كتابهم مع انتسابهم إليه كما أنهم في شك من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم رغم علمهم بصدقه ولولا الوعد الذي وعد به أهل الكتاب بتأخير عقابهم إلى أجل معروف عند الله لقضي بينهم[٣].

ولا شك أن ذكر (إلى أجل مسمى) قد حدد الموعد المضروب لتأخير العقاب.

ونستطيع أن نعتبره دليلا على محذوف مقدر لتحديد موعد حساب المكذبين من قوم محمد صلى الله عليه وسلم ويعزز هذا التقدير مواضع أخرى من القرآن الكريم ذكر فيها "الساعة" لتكون موعدا في القمر ٤٦ وإلى أجل مسمى في فاطر ٤٥.

---

(١) الألوسي/روح المعاني ج١٣ ص٢٤-٢٥.

(٢) الزمخشري/الكشاف ج٤ ص١٩٨.

(٣) الزمخشري/الكشاف ج٤ ص٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- تعاقب ذكر شبه الجملة (به) وحذفها:

قال تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوا بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ (يونس ٧٤).

وقال تعالى: ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ (الأعراف ١٠١).

الملاحظ أن الآية الأولى قد زادت على الثانية بالجار والمجرور "به" وهو متعلق بالفعل كذّب المتصل بالواو. ودلالة كذّبوا في الآيتين (نسبوه إلى الكذب وهو صادق). أما تعلق الجار والمجرور فإنه يفيد الآية تحديدا فتكذيب الرسل هنا متعلق بالبينات. أما كذّبوا بدون "به" فأكسبت الآية دلالة التكذيب بشكل عام دون ارتباط بالأمر المكذّب.

والجدير بالذكر أن الفعل كذب اطرد مجيئه في القرآن الكريم متعديا بذاته ومتعديا بحرف الجر الباء ودون أن يستوفي مفعوله على النحو التالي: ﴿كذّبوا بآياتنا﴾ (آل عمران ١١)، ﴿رب انصرني بما كذبون﴾ (المؤمنون ٢٦)، ﴿بل كذبوا بالحق﴾ (ق ٥)، ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ (ص١٢، غافر ٥، ق١٢، القمر ٩)، ﴿فكذبوا عبدنا﴾ (القمر ٩)، ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ (الحاقة ٤)، ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح﴾ (الحج ٤٢).

وفي آيتين متشابهتين أخريين ذِكر وحذف إذ زادت إحداهما على الأخرى بجار ومجرور على النحو التالي: قال تعالى: ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ (الشعراء ٣٤). ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون؟﴾ (الشعراء ٣٥).

وقال تعالى: ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾ (الأعراف ١٠٩). ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ (الأعراف ١١٠).

تدور الآيتان حول موضوع واحد وهو اتهام موسى بأنه ساحر أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خُيِّل إليهم أن العصا حية تسعى.

والملاحظ أن هذا القول قد عُزي إلى فرعون في سورة "الشعراء" وعُزي إلى الملأ من قوم فرعون وهي الفئة المقربة منه في آية "الأعراف". ولعل فرعون هو الذي قال أولا فقال الملأ مثلما قال للتبليغ حتى تبلغَ الخاصةُ العامة بدليل قولهم له بعد أن استشارهم ﴿أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم﴾[1](الأعراف ١١١-١١٢)

ويبدو أن دلالة الفعل تأمرون هي تشيرون علي برأي، أو أن فرعون لما أبصر

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيتين من موسى تحيُّر ولم يدر كيف يتصرف فنسي ادعاءه الألوهية فاستكان إلى الفئة المقربة من قومه من الدهشة والحيرة وكان على استعداد لتنفيذ ما يأمرون به[١]. فالآمر أصبح مأمورا والملأ آمرين فقالوا له رأيهم ﴿أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين﴾ (الشعراء ٣٦) فما كان منه إلا التنفيذ والإذعان.

ولعل ما رآه من سحر موسى هو الذي سيطر على نفسه فتهيأ له أن ما يفعله موسى لهدف إخراج القوم من أرضهم "بسِحْره". والباء قد أكسبت اللفظة دلالة الإستعانة فوسيلة موسى -كما يعتقد فرعون- لإخراجهم من أرضهم هو السحر.
أما قول الملأ ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ (الشعراء ٣٥) فالإخراج من الأرض هو العمل الذي ركز على إشاعته بين عامة القوم مما يثير قلقهم فإلى أين يذهبون لو أخرجوا من ديارهم دون أن يعنوا بطريقة إخراجهم إن كانت بالسحر أو غيره.

ولعل نقل الخاصة الخبر إلى العامة لا يقتضي لفظة "بسحره" فحذفت. والملاحظ أن الآية التي تسبق الآية المشابهة تستوفي حقها من اللفظ والمعنى وتعتمد آليا على الاختصار.

كما تطالعنا آيتان أخريان زادت إحداهما على الأخرى بالجار والمجرور "بالحق".
قال تعالى:﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ (الأنعام ٥).
وقال تعالى: ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ (الشعراء ٦).

لقد تعلق الجار والمجرور "بالحق" في كذّبوا فجاء اللفظ على الأصل فقد كذّبوا بالحق واقتصر في الآية الثانية "على كذبوا" دون تقييد إلا أنه يوحي بتكذيبهم بالحق وإن كان مطلقا بدليل قوله تعالى ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ (المرسلات ١٥)فالمكذبون هم الذين يكذبون بالحق دون أن يحتاج إلى ذِكر[٢].

جـ- تعاقب ذكر شبه الجملة "فيه" وحذفها:

قال تعالى: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الجاثية ١٢).

وقال في سورة الروم: ﴿ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الروم ٤٦).

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٣٠١، ص٣٠٢.
(٢) الإسكافي/درة التأويل ص١٠٧، ص١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من يقارن الآيتين يدرك أن لفظة الفلك قد تعلق بها جار ومجرور "فيه" بينما لم يذكر هذا الجار والمجرور في آية الجاثية.

وبتدبر الآية في سورة الجاثية ندرك أن الهاء في قوله "فيه" عائدة إلى البحر وأن "في" تحمل معنى الظرفية حيث يجعل الفلك تجري في البحر بأمر الله. وبالرغم من أن الآية في سورةالروم تتحدث عن جريان السفن وابتغاء الإنسان من فضل الله ووجوب الشكر عليه إلا أن التنبيه فيها على نعمة الرياح وإظهار آياته فيها. إذ سبق ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾ (الروم ٤٦) قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ (الروم ٤٦).

فالرياح تبشر بالمطر وتلقح الأشجار وتجري الفلك بها أي بواسطة الرياح تجري السفن في البحر وهذا لا يستدعي وجودشبه الجملة فيه في آية الروم. وهكذا نجد من ضرورات تمام المعنى ذكر فيه في آية الجاثية وعدم ذكرها في آية الروم.

كما وردت آيتان متشابهتان إلا أن واحده منهما زادت على الأخرى بشبه جملة معطوفة على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ (العنكبوت ٢٢).

وقال تعالى: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ (الشورى ٣١).

وبالرجوع إلى سياق السورتين نتبين أن الآية التي في سورة العنكبوت هي خطاب من إبراهيم عليه السلام لكفار قومه ممن كذبوه وأصروا على الكفر وخاصموه في الله وجادلوه ومنهم نمرود بن كنعان[1] وهو أول من تجبَّر وادعى الربوبية إذ آتاه الله الملك فبطر. وقد سبقت الآية بقوله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون﴾ (العنكبوت ٢١) ثم تلاها ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ (العنكبوت ٢٢)

ولشدة محاجة قومه له وانصرافهم عن قبول دعوته بعد قوله (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) فقد يتبادر إلى أذهانهم أنهم قادرون على الانفلات من هذا العذاب فأخبرهم بأنهم لا يفوتون الله في الأرض كانوا أو في السماء ولا سبيل اليكم تهربون فيه من الله وعذابه.

وقد تعددت تفاسير هذه الآية وإن كانت كلها تدور حول عدم قدرتهم على الإفلات فقيل: لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه في الأرض الفسيحة ولا في السماء لو كنتم

---

(١) الطبرسي/مجمع البيان في تفسير القرآن ج٢ ص٢٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها بدليل قوله تعالى: ﴿إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا﴾ (الرحمن ٣٣). وقيل يحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم من مهاوي الأرض أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء بدليل قوله: ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ (النساء ٧٨) أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء[١].

أما قوله تعالى في آية (الشورى ٣١) ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ بدون ولا في السماء فهو في خطاب المسلمين من قوم محمد صلى الله عليه وسلم[٢] وقد سبقت الآية بقوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (الشورى ٣٠). ثم قال وما أنتم بمعجزين.

وعلى ذلك فإن قوله بمعجزين أي ما أنتم فائتين ما قضى عليكم من المصائب فلا تعجزون أمره الجاري في الأرض ان يجري عليكم فتصيبكم.

وإذن فهذا القول متعلق بالمصائب التي تصيب الإنسان في حياته على الأرض وفي قوله يعفو عن كثير أي عن ذنوب يتجاوز عنها ولا يؤاخذ بها ولا يكون ذلك للكفار. فإذا صح أن هذا الخطاب موجه إلى المسلمين أدركنا أنهم ليسوا من الجماعة التي تخاطب بقوله وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لأن مبدأ التصديق عندهم هو الأساس ومسألة الصعود إلى السماء أو معاجزة الله أو محاججة النبي صلى الله عليه وسلم ليست الهدف من الآية.

فاختلاف المخاطبين أدى إلى اختلاف الخطاب ودلالته في كل من الآيتين.

وقد اختلف النحاة في تقدير إعراب شبه الجملة المعطوفة (ولا في السماء) فقال الفراء في الآية محذوف تقديره ولا من في السماء بمعجزين الله بدليل قوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ (الصافات ١٦٤) أي من له ويكون المعنى: إن الله لا يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء إن عصوه[٣]. ولا يخفى ما في هذا التفسير من بعد وإغراق في تقدير المحذوف. وقال قطرب: ولا في السماء لو كنتم فيها، كما تقول لا يفوتني فلان بالبصرة ولا هاهنا بمعنى لا يفوتني بالبصرة لو صار إليها. وقال المبرد والمعنى ولا مَنْ في السماء واعتبر مَنْ نكرة وليست موصولة وفي السماء صفة لها فأقيمت الصفة مقام الموصوف[٤].

---

(١) الكشاف/ الزمخشري ج٣ ص٤٣٥.

(٢) المصدر السابق ج٤ ص٢٢٠.

(٣) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٣٧.

(٤) المصدر نفسه ج١٣ ص٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونرى أن هذا التقدير بعيد وغير جائز لأن "مَنْ" إذا كانت نكرة لا بد من وصفها وصفتها كالصلة للموصول فلا يجوز حذف الموصول وترك الصلة، لذا يستبعد أن يحذف الموصوف وتقوم الصفة مقامها.

والرأي أن تقدير المحذوف لا داعي له وأن الناس خوطبوا بما يعقلون ودلالة الآية أنكم لا تعجزون الله في الأرض كنتم أو في السماء أي ولو كنتم في السماء كما قال ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ (النساء ٧٨)، وعلى ذلك فإن شبه الجملة ﴿ولا في السماء﴾ معطوفة على (في الأرض) والجار والمجرور (في الأرض) و(في السماء) متعلقان باسم الفاعل (معجزين)[١]. وإن قوله سبحانه (وما أنتم بمعجزين) بذكر الباء مع النفي يدل على تأكيد قدرة الله وضعف الإنسان وعدم قدرته على الفرار من عذاب الله أو قضائه لو حاول ذلك. وهذا ما تشير إليه آية العنكبوت.

وعلى الإنسان أن يدرك أن ما يصيبه لم يكن ليخطئه. وهذا ما تشير إليه آية الشورى.

د- تعاقب ذكر شبه الجملة "لكم" وحذفها:

يلفت نظر الباحث في القرآن الكريم آيتان متشابهتان زادت إحداهما على الأخرى بشبه الجملة "لكم" في قوله تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (الأنفال ١٠)، وقوله تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (آل عمران ١٢٦).

ورغم أن الآيتين تتحدثان عن المؤمنين في غزوة بدر فإن فروقا واضحة نلمسها بينهما تتلخص في الأمور التالية:

١- تضمنت سورة الأنفال وصف حال المؤمنين حين فاجأتهم كثرة مشركي مكة ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ (الأنفال ٩). ﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ (١٠) ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ (الأنفال ١١).

وتظهر دقة التصوير وجماله من خلال هذه الآيات إذ وصفت وصفا حيا دقيقا مدى الضيق الذي حل بالمسلمين في معركة بدر فلجأوا إلى ربهم يطلبون الغوث والعون

---

(١) القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتضرعوا إليه لقلتهم أمام المشركين فاستجاب دعائهم بإمدادهم بالملائكة.

٢- لتحديد دور "الإمداد" أو الملائكة ولبيان مصدر النصر الحقيقي استخدم القرآن الكريم أسلوب القصر لإثبات حكم إلهي يريد للمؤمنين أن يتيقنوا منه عن دور الملائكة ﴿وما جعله الله إلا بشرى﴾.

فليس للإمداد أي دور في حصول النصر بل هو مجرد "بشرى سارة" وتسكين للقلوب الواجفة وتهدئة للنفوس المضطربة وبعث للثقة، والناصر هو الله والمنصور من نصره الله[١].

٣- ولعل مجيء "بشرى" نكرة دون أن يتعلق بها ما يحددها يقصد به تبيان علة النصر وعلة وجود الإمداد (الملائكة) فهي بشرى بكل ما تحمله هذه البنية من دلالة العموم والتركيز على فكرة التبشير بالنصر الآتي من عند الله.

٤- لعل في تقديم ولتطمئن "به" أي الجار والمجرور على الفاعل (قلوبكم) دلالة التركيز على علة الإمداد، ودوره فهو وسيلة تطمئن بها القلوب الخائفة. بينما ورد في آية آل عمران ﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ فالتركيز على قلوب المخاطبين ليطمئنها بالبشرى.

وبالعودة إلى أسباب نزول آية آل عمران نتبين أنها نزلت في غزوة أحد وهي بعد يوم بدر ويذكر الآية ما وقع للمؤمنين في اليوم الثاني (أحُد) من باب التذكرة بما حصل في الماضي ليكون عبرة للحاضر والمستقبل، ولبيان ما يترتب فعليا ومن خلال تجربة عملية على الصبر والتقوى كما حصل في غزوة بدر وما يترتب على عدمهما كما حصل في بداية غزوة أحد.

والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ (آل عمران ١٢٣). وبعد الوصف الدقيق لحال المسلمين في الآيات ١٢٤، ١٢٥ يعقب بقوله ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (آل عمران ١٢٦).

فالآية نزلت بعد أن نصرهم الله، وحملت أمرا من الله "فاتقوا الله" فلا يتوكلون إلا عليه ولا يفوضون أمورهم إلا إليه ويذكرهم بما يوجب عليهم مثل هذا التوكل فقد يسر لهم الفتح يوم بدر وهم أذلة[٢].

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٢ ص١٩٥.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٤٠٢-٤٠٣، أبو حيان/البحر المحيط ج٣ ص٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخطاب موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من جهة، وللمسلمين من جهة أخرى، بدليل تذكيره عليه الصلاة والسلام بموقفه وما قاله للمسلمين يوم بدر.
﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ (آل عمران ١٢٤).
وأراد بهذا الخطاب أن يؤكد على حقيقة أن الإمداد بالملائكة حينئذ لم يكن إلا "بشارة لهم" ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به﴾ (آل عمران ١٢٦) فالبشارة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين دون غيرهم ممن كان في ميدان القتال يدعو ربه فاستجاب له.
ونصل إلى أن مجيء "لكم" بعد بشرى حددت المقصودين، وخصصت البشرى لهم دون غيرهم، بأنهم سينصرون، ثم قال سبحانه: ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ (آل عمران ١٢٦)، لا من عند الملائكة، ولا من عند المقاتلة إذا تكاثروا[١].

والجدير بالذكر أن الخطيب الإسكافي يرى توحد المعنيين في الآيتين ويقدر "لكم" محذوفة في آية الأنفال، لكنها مقدرة مفهومة من السياق بدليل وجودها في آية عمران قال: (لأن الأولى جاءت على الأصل، والثانية أغنت عنها "فاستجاب لكم"؛ فعلم أن البشرى لهم)[٢].
وترى الباحثة أن القياس يجب أن يكون على الأسبق في النزول؛ لنقدر من خلاله المحذوف في الآية التي نزلت فيما بعد.

والملاحظ أن آية الأنفال قد خلت من "لكم" وآية آل عمران ذكرت "لكم"؛ مما يجعلنا نميل إلى أن عدم ذكرها في "الأنفال" ذو دلالة مقصودة، مختلفة عن دلالة "بشرى لكم" في آل عمران، وأن لوجود "لكم مع بشرى" دلالة خاصة مميزة عن دلالة بشرى فحسب، ولعل تكرار الجار والمجرور وذكره في آية مرات عديدة يجعل حذفه من الآية مسوغا ممكنا بدليل الآيتين المتشابهتين التي ورد فيها ذكر "لكم" مع الفعل "أقول" وحذفها من نص آية أخرى على النحو التالي:
قال تعالى: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب، ولا أقول لكم إني ملك﴾ (الأنعام ٥٠).

---

(١) فضل عباس/لطائف المنان ص١٩٣.

(٢) الخطيب الإسكافي/ درة التاويل/ص٧١،٧٢. وكرر الرأي نفسه الكرماني في البرهان ص٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾ (هود ٣١).

وجدير بالذكر أن آية الأنعام قد ابتدأت بفعل الأمر الموجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليقول "ولا أقول لكم" مخاطبا كفار قريش.

وآية هود وردت في سياق مجادلة بين نوح عليه السلام والملأ من قومه؛ وهناك اختلاف في سبب القول، وإن اتفق اللفظ في الآيتين؛ فقد اقترح كفار قريش على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل آيات، أو ينزل العذاب عليهم، أو يقلب الجبال ذهبا[1]، كما سألوه عن وقت الساعة، ووقت إنزال العذاب ونحوهما، فأمره الله، سبحانه وتعالى، أن يقول لمن يقترح عليه ذلك: أنا لا أدعي أن خزائن الله مفوضة إلي، أتصرف فيها كما أشاء، استغلالا أو استدعاء، حتى تفرضوا علي أن أقلب الجبال ذهبا أو أنزل عذابا.

وفي قوله: "ولا أعلم الغيب" إضمار القول بين "لا" و"أعلم" في باب العطف على النحو التالي: ولا أقول لكم عندي خزائن الله – لا أقول أعلم الغيب، ويجوز أن نقدر الجار والمجرور أيضا "لا أقول لكم أعلم الغيب"، والفائدة من العطف نفي ادعاء الأمرين.

وبتكرار (لا أقول) توكيد على نفي الادعاء، وعلى التبرؤ من دعوى الباطل، كما أن وجود "لكم" فيه من تخصيص الفئة المخاطبة بالعناية ما يزيد على قوله "ولا أقول"..؛ فهم الذين اقترحوا، ولكنه لم يصرح لهم بما يشجعهم على سؤاله مثل هذه الأعمال.

فقال: "ولا أقول لكم إني ملك" حتى تكلفوني من الأفاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيقه البشر من الرقي في السماء وغير ذلك.

وخلاصة ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله لهم: إنه عبد يمتثل لأوامر الله، ويتبع ما أوحاه، ولا يدعي شيئا مما اقترحوه عليه، ولم يقل لهم إنه ذو قدرة خارقة حتى إذا لم ينفذ ما اقترحوه أقاموا الدليل على عدم صحة دعوته[2]. أما قوم نوح فقد رفضوا الاستجابة لدعوته صراحة، وذكروا الأسباب وحددوها يقول تعالى:﴿ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ (هود ٢٧).

أما الذين رفضوا دعوته بالتحديد فهم "الملأ"؛ أي الأشراف؛ إذ إنهم لم يجدوا في نوح أية مزية تخصه من بينهم بالنبوة.

ويستشف من قولهم التعريض بأنهم أحق بالنبوة منه طالما أنه بشر مثلهم وليس

---

(١) الألوسي/روح المعاني مج٤ ص١٤٦-١٤٨، تفسير أبي السعود ج٣ ص١٣٧.

(٢) المصدر نفسه ج٤، تفسير أبي السعود ج٣ ص١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملكا، وإن جاز أن يكون الرسول بشرا فهم يعتقدون أنهم أحق بالرسالة منه: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ (هود ٢٧) وقد رد عليهم قائلا: ﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ (هود ٢٨) ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ (هود ٢٩).

فأراد بقوله ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾ (هود ٣١) دحض رأيهم، وإظهار فساد اعتقادهم في مواصفات الرسول، فليس شرطا أن يكون الرسول ملكا، وليس عيبا أن يكون بشرا عاديا من عامة الناس.

فقوله ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ حتى تستدلوا على كذبي بعدم وجودها فالنبوة لا تنال بأسباب دنيوية، ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه[١].

وفي قوله ﴿ولا أعلم الغيب﴾ بالنظر إلى قوله تعالى لهم ﴿إني لكم نذير مبين﴾ (هود ٢٥) ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ (هود ٢٦) أنه لا يدعي علم الغيب، وإنما هو نذير لهم، وفي قوله: ﴿ولا أقول إني ملك﴾ فلم يصدر عنه ما يدل على ادعائه الملكية حتى تقولوا ﴿ما نراك إلا بشرا مثلنا﴾.

فهذه الثلاثة ليست من موانع النبوة، واتخذها أشراف قومه ذريعة إلى تكذيبه، مع أنه لا يدعي شيئا منها.

ومن هنا لم يكرر قوله "لكم"؛ لأن هدفه إبطال الادعاء، وليس توجيه القول إلى قومه كما في آية الأنعام؛ فهو يريد نفي الادعاء أنه ملك بشكل عام، دون أن يخصهم بالخطاب وتوجيه القول لهم كما سبق وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقومه.

ويرى الكرماني أن السبب في عدم ذكر "لكم" في آية "هود" أن شبه الجملة "لكم" قد ذكرت في قوله: ﴿إني لكم نذير مبين﴾ (٢٥) (وما نرى لكم) (٢٧) (أنصح لكم) (٣٤) فلما تكرر لكم في القصة أربع مرات اكتفى بذلك[٢].

وترى الباحثة أن السياق إذا احتاج إلى تكرارها فلا مانع، بل لا بد من وجودها، ولو قال: (ولا أقول لكم إني ملك) لجاز.. ولعل التبرير لعدم ذكرها يتمثل في أنها إما أن تقدر؛ لأنها فهمت من السياق، كما أشرت؛ وإما لأن الهدف التركيز على الحدث نفسه،

---

(١) الألوسي/روح المعاني مج٦ ص٢٣٦-٢٣٧، تفسير أبي السعود ج٤ ص٢٠٣.

(٢) الكرماني/البرهان ص١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون أن يرتبط بتوجيه هذا القول لأناس معينين. والله أعلم.

هـ- تعاقب ذكر شبه الجملة "له" وحذفها:

وتبدو أهمية ذكر الجار والمجرور لتحديد المعنى وإرادته دون غيره من خلال الآيات المتشابهة التالية التي زادت إحداها على الأخرى بالجار والمجرور "له" أو "عليه" على النحو التالي:

قال تعالى:

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ (العنكبوت ٦٢).

﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ (سبأ ٣٩).

وقال تعالى:

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (الرعد ٢٦).

﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (الإسراء ٣٠).

﴿أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (الزمر ٥٢)[1].

﴿له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (الشورى ١٢).

﴿ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ (القصص ٨٢).

وقال تعالى:

﴿لينفق ذو سعة من سعته، ومن قُدِر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ (الطلاق ٧).

﴿وأما إذا ما ابتلاه فقَدَر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ (الفجر ١٦).

من يتدبر الآيات السابقة يدرك: أنها جميعا تتحدث حول موضوع واحد وهو التوسعة في الرزق أوالتضييق، وأن هاتين الحالين "من سعة العيش والضيق" هما بإرادة الله ومشيئته؛ وليس الفقر والغنى بيد الإنسان بأية حال بدليل إسنادهما إلى الله؛ فالله يبسط، الله يقدر. كما أن الفقر والغنى هما ابتلاء من الله بدليل قوله تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن﴾ (الفجر ١٥)، ومثلها (الفجر ١٦)؛ وليس في الغنى والفقر إهانة أو تكريم؛ وإنما ابتلاء من الله، ويلاحظ أن الفعل قدر في هذه الآيات المتشابهات استخدم في ثلاثة أساليب:

"يقدر له" إذ يعود الضمير الهاء على اسم ظاهر سابق: "الله يبسط لمن يشاء ويقدر له".

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٤٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا اقترن الفعل يقدر بالجار والمجرور "له" اكتسبت الجملة دلالة أن البسط والقدر (التضييق) للشخص نفسه في حالين مختلفتين؛ فإن شاء الله لشخص أن يبسط الرزق له بسطه، وإن أراد سلبه ما أعطاه ،وقدر له رزقه (ضيّق عليه).

ويحتمل أن الفعل المقترن بالجار والمجرور لدلالة أن الله يبسط ويقدر لمن يشاء؛ فيوضع الضمير موضع (من يشاء)؛ لأن (من يشاء) مبهم غير معين، فكأن الضمير فيهما مثله؛ فتكون الدلالة تعاقب الأمرين على واحد حسب الحال[١].

وقد يقترن الفعل "قدَر" بالجار والمجرور (عليه) ويحتمل الفعل في هذا الأسلوب دلالتين: إذا استوفى الفعل قدر عليه مفعوله (رزقه) فالتضييق يكون خاصا بالرزق ويدل الفعل (قدر) مع (عليه) رزقه حينئذ على ضيق العيش؛ أي الفقر، ويبقى المعنى نفسه إذا بني الفعل للمجهول (قُدر عليه رزقه). أما إذا جاء الفعل (قدر) مع الجار والمجرور عليه دون ذكر الرزق، فالمعنى التضييق على العموم، لا في مجال الرزق فحسب؛ فقد تنتقل الدلالة إلى تضييق الخناق أو تضييق المكان وغير ذلك؛ فقد ورد في معاجم اللغة من دلالات قدر: قدر عليه الشيء يقدره وقدره عليه: ضيقه.

ومنها قوله تعالى في يونس عليه السلام: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ (الأنبياء ٧٨) فسَّرها العلماء بالتضييق أي فظّن أن لن نضيِّق عليه؛ لأنه لا يعقل أن نبيا يظن أن الله لن يقدر عليه؛ بمعنى "التغلب" وقد ضيق الله على يونس أشد تضييق إذ جعله في بطن الحوت[٢].

إذا ورد الفعل "قدر" يقدر في القرآن الكريم معطوفا على يبسط دون جار ومجرور، فإنه يعني القبض بشكل عام؛ بعكس البسط، سواء أكان هذا القبض لمن بسط له فيما مضى أو كان البسط لمن يشاء لعباد مختلفين.

بعد هذا نخلص إلى النتائج التالية:

- الفرق بين آية ﴿ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ (القصص ٨٢) وآية: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ (العنكبوت ٦٢) و(سبأ ٣٩). إن المعنى المقصود في الأولى هو (يبسط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء) والمبسوط له الرزق والمقدور له الرزق مختلفان، كل واحد منهما غير الآخر؛ أما في آية العنكبوت فقد سبقت الآية

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٤٩٢، ج٤ ص١٣٤.

(٢) ابن منظور/لسان العرب، مادة قدر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقوله تعالى:﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ (العنكبوت ٦٠) وفي هذه الآية عموم، وارتباطها فيما بعدها يعطي الآية الثانية دلالة أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده (أحيانا) ويقدر له؛ أي (نفس الشخص)؛ أحيانا أخرى، ويكون الضمير في (له) عائدا (على من يشاء من عباده). والله أعلم.

إذا قدرنا محذوفا مفهوما من السياق (الله يبسط الرزق[١] لمن يشاء ويقدر) "له" أصبحت الدلالة للشخص نفسه؛ وهذا ما ارتآه العز بن عبد السلام بأن "له" محذوفة لدلالة السياق عليها[٢].

و- تعاقب ذكر شبه الجملة "من غم" وحذفها:

وفي سياق الحديث عن عذاب الكافرين يوم القيامة تطالعنا آيتان متشابهتان زادت إحداهما على الأخرى بشبه الجملة (من غم)، وكانتا على النحو التالي:

قال تعالى:

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيهاوذوقوا عذاب الحريق﴾ (الحج ٢٢).

وقال تعالى:

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾. (السجدة ٢٠).

وبالعودة إلى سياق آية الحج يتبين لنا أن الآيات تتضمن وصفا دقيقا لأحوال أهل النار؛ فقد بدأها بقوله تعالى ﴿فالذين كفروا ...﴾ ليلفت النظر ويشد السامع إلى خبرهم، ثم قال سبحانه ﴿قطعت لهم ثياب من ناريصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد﴾ (الحج ١٩-٢١).

ومن يتأمل هذه الآيات يدرك أن النار تشتمل عليهم من جوانبهم، كاشتمال الثياب وهي في غاية الإحماء والإحراق، ثم خص رؤوسهم بصب الماء المغلي عليها، ويضربون بالمقامع على رؤوسهم إذا حاولوا الخروج من النار[٣].

---

(١) في حالين مختلفين في القبض والبسط وتساوت في ذلك دلالة الآيات (في القصص والعنكبوت والزمر والروم عند تقدير محذوف.

(٢) عز الدين بن عبدالسلام/الإشارة ص٢٦.

(٣) ابن حيان/النهر الماد ج٤ ص١٨٥، الراغب الأصفهاني/معجم مفردات القرآن الكريم مادة "غم".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل هذا الوصف الدقيق لإحاطة النار بهم من جميع الجوانب وإحاطة العذاب وسد أنفاسهم عليهم لعل ذلك كله يستدعي وجود (من غم)؛ إذ إنهم لم يجدوا فرجة ولا متنفسا فكأنه غم عليهم بغمامة، وقد ورد في معاني الغم: (ستر الشيء) ومنه الغمام[١] لأنه ساتر لضوء الشمس، ومِنْ غُمَّ الهلال، وليلةٌ غُمة، والغم: الكرب والغمامة خرقة تشد على أنف الناقة وعينيها،ومن هنا ندرك دقة التعبير بهذه العبارة (من غم) لوصف كل ما تحمله من دلالات.وقد ورد في إعراب (من غم) عند أبي حيان أنها بدل من قوله تعالى: (منها) أعيد معه حرف الجر وقد عُلّقت الإعادة على إرادة الخروج كما قُدِّر محذوفا في قوله تعالى و(ذوقوا) أي: ويقال لهم ذوقوا[٢]؛ وهو بذلك يعتبر "مِن"لابتداء الغاية، وتراها الباحثة للسببية بموجب تفسيرها وليس المعنى هنا لـ (من غم أي من حزن وهم) وإن كان أصل دلالة اللفظة هكذا فلما تقدم وصف ما أحاط بهم ذكر هذا الغم. والآية في سورة السجدة لم تشتمل مثل هذا الوصف الدقيق للعذاب إذ قال تعالى: ﴿**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها**﴾ (السجدة ٢٠).

فإرادة الخروج وإعادتهم أيضا واردة لكن محاولة الخروج ليست من أجل الخلاص من الغم الذي اقتضته آية الحج.

ز- تعاقب ذكر شبه الجملة "منا" وحذفها وتقديرها:

وقد تزيد آية على آية بشبه جملة "جار ومجرور"؛ لأن هذا الجار والمجرور مفهوم من سياق آية سابقة ويقدر تقديرا، كما في قوله تعالى:

﴿**لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط. ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي**﴾ (فصلت ٤٩، ٥٠).

وفي قوله تعالى: ﴿**ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني**﴾ (هود ١٠).

وبالرجوع إلى آية ٩ من سورة هود نجدها تبدأ بقوله تعالى:

﴿**ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور**﴾ (هود ٩).

والملاحظ أن شبه الجملة "منا" قد ذكرت في الآية ٩ متقدمة على الرحمة، كما ذكر حرف الجر "من" قبل الظرف "بعد" في سورة فصلت، ولم تذكر في آية هود.

---

(١) الخطيب الإسكافي/درة التأويل ص٣١١، ابن منظور/لسان العرب مادة "غمم".

(٢) النهر الماد/أبو حيان ج٤ ص١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر بجلاء أهمية ذكر شبه الجملة "منا" في آية فصلت (٥٠) وضرورة تقديرها وفهمها من سياق آية هود (١٠).

﴿ولئن أذقناه رحمة منا﴾ (فصلت ٤٩) فإن ذكر "منا" يحدد مصدر النعمة والرحمة بكل ما تحتويهما اللفظتان من دلالة على الصحة والأمن والجدة وغيرها بحيث يجد الإنسان لها لذة خاصة، في حين يدعي الإنسان أن هذه النعمة حق يستحقه لما له من الفضل والعمل؛ فهي من كده ولا فضل لله فيها ﴿ليقولن هذا لي﴾ (فصلت ٥٠) واللام هنا للاستحقاق؛ وقد تكون للملك فتدل على الدوام والملكية التي لا تزول اعتقادا من الإنسان بدوام هذه النعمة عليه[١].

وفي آية هود اكتفى بقوله ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ (هود ٩) لتدل على مصدر النعمة أيضا ولئن أذقناه "نعماء" دون "منا" مع ضرورة تقديرها.

ويلفت النظر في قوله تعالى "أذقناه" رحمة، أذقناه نعماء، وضراء مسته. حيث أسند الإذاقة إلى الله دون أن يسند المس؛ ولعل الحكمة في ذلك أن إذاقة النعمة للإنسان مقصودة، أما مس الضر فيأتي عرضا.

كما يلفت النظر إستخدام لفظة أذقناه للرحمة و"مس" للضر؛ ففي اللفظة الأولى دلالة ملابسة الرحمة والنعماء للذة الذوق، وكونهما مما يرغب فيه وملابسة الضراء بالمس المشعر بكونه في أدنى ما يكون من اللطف؛ مما يقوي عظم شأن الرحمة[٢]، وأن ما يصيب الإنسان من ضر ما هو إلا نموذج (مس) لا يقاس بمستوى الرحمة، وبالرغم من ذلك إذا مسه الشر أو نزعت منه الرحمة فهو يؤوس كفور، أو يؤوس قنوط، وفي قوله تعالى: (نزعنا) تعبير عن شدة تعلق الإنسان بالنعمة وحرصه عليها؛ فإذا سلبت منه أصبح شديد اليأس فيقطع الرجاء من عودة تلك النعمة لعدم صبره وتوكله على الله؛ وكفور كثير الكفران لنعمة الله السالفة عليه.

والإنسان سريع النسيان فإذا أعاد الله إليه النعمة من بعد ضراء مسته كصحة بعد مرض أو أمن بعد خوف يقول ﴿ذهب السيئات عني﴾ (هود ١٠) أي ذهبت المصائب التي تسؤوني ولن يعتريني بعد اليوم أمثالها.

وفي قوله "ذهب السيئات" تعبير عن عدم اعترافه بأن الله هو الذي أذهبها، ففرح كربه مما يدعوه إلى أن يبطر ويفرح ويتعاظم على الناس؛ فينشغل بالنعم ولا يشكرها.

---

(١) الألوسي/روح المعاني ج١٣ ص٥.

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

م- تعاقب ذكر شبه الجملة "منكم" وحذفها:

وردت في القرآن الكريم آيتان تتعلقان بقضية الطلاق بين الأزواج وفيها بعض الأحكام الخاصة بالنساء وقد ختمت كل آية بقوله تعالى: ﴿ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ (البقرة ٢٣٢).

إلا أن الآية الثانية من سورة الطلاق جاءت دون شبه الجملة "منكم"؛ وهي ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ (الطلاق ٢).

وبالرجوع إلى كتب التفسير تبين أن المخاطب في آية البقرة هم الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء عدة الطلاق؛ فلا يتركوهن يتزوجن مَنْ شِئْنَ من الأزواج، أو أن المخاطبين أولياء المطلقة كالأب والأخ يعضلون بناتهن أو أخواتهن المطلقات أن يرجعن إلى أزواجهن، وإن تراضوا بالمعروف.

والهدف من مثل هذا الخطاب أن يكون للناس جميعا حتى لا يوجد بينهم عضل ويوعظ به الرسول صلى الله عليه وسلم وكل واحد من أمته وأتباعه[1] ممن عضل أو يفكر بالعَضْل، ومن هنا استدعي الخطاب قوله تعالى (منكم)؛ ليتعلق الوعظ بكل مَنْ خوطب به من المؤمنين، مِمّن يحتمله دلالة الخطاب.

أما آية الطلاق؛ فهي خطاب عام يتعلق بأمر تخيير الرجل والمرأة المسلمين المطلقين، بعد أن تبلغ المرأة آخر عدة الطلاق، بالرجعة والإمساك بالمعروف أو المفارقة واتقاء الضرّار؛ وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها. ثم عقب بقوله تعالى: ﴿ذلكم يوعظ به﴾ على وجه العموم كل واحد يطلق؛ فلا يضار المعتدة ولا يخرجها من مسكنها ... إلخ في قوله {من كان يؤمن بالله واليوم الآخر} دون تخصيص جماعة من المؤمنين، كما في سورة البقرة التي خصت جماعة المعاضلين لزوجاتهم.

وقد أفادت زيادة شبه الجملة "منكم" في الآية الأولى تخصيص الوعظ لبعض المؤمنين بالله واليوم الآخر ممن عاضلوا زوجاتهم أو يفكرون في المعاضلة، وعدم ذكرها أفاد تعميم الوعظ لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر؛ ليعرف أحكام الطلاق والعدة والمراجعة والإشهاد ... إلخ.

---

(١) الزمخشري/الكشاف ج١ ص٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ط- تعاقب ذكر شبه الجملة "من دونه" وحذفها:

قال تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ (الأنعام ١٤٨).

وقال تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ (النحل ٣٥).

من يتدبر الآيتين السابقتين يدرك تشابههما مع زيادة شبه الجملة (من دونه) في آية النحل.

وبالرجوع إلى دلالة "أشرك" في آية الأنعام، ودلالة "عبد" التي تعلق بها الجار والمجرور، ندرك أن الفعل "أشرك" مستغن عن ذكر المفعول به، وإن كان في الأصل متعديا إليه؛ لذا لم يحتج الفعل إلى ذكر المفعول به لأن دلالة هذا الفعل تدل على إثبات شريك مع الله وينفي عبادته وحده؛ لذا لم يرد ما أشركنا من دونه[١].

أما في سورة النحل فقالوا لو شاء الله "ما عبدنا"، ولفظة عَبَد لا تدل على المعبود إن كان واحدا أو مع شريك، وليس مستنكرا أن يعبدوا وإنما المستنكر أن يعبدوا (من دون الله) أو أن يشركوا.

فالإشراك يدل بذاته على أن المشرك يحرم شيئا من دون الله، والعبادة لا تدل على المعبود، إن كان واحدا أو مع شريك؛ فاحتاج إلى تقييد بالجار والمجرور (من دونه)[٢].

وكذلك قولهم: ﴿ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ لا بدّ من إثبات الجار والمجرور (من دونه من شيء)؛ هنا بينما لا حاجة لذكرها بعد قولهم (ما أشركنا)؛ لأن الإشراك دالّ على أن صاحبه يحرم شيئا من دون الله، ولا يدل عبدنا على ذلك[٣].

---

(١) الراغب الأصفهاني/معجم مفردات القرآن الكريم باب شرك، عبد.

(٢) الإسكافي/درة التأويل ص١٣٣، ١٣٤.

(٣) الكرماني/البرهان ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شواهد أخرى على تعاقب الذكر والحذف في قصص القرآن الكريم:

يلفت النظر في القرآن الكريم ذكر أحداث معينة تتعلق بشخصية محددة في موضع ثم تُذكر بعض هذه الأحداث عن الشخصية ذاتها في مواضع أخرى من القرآن الكريم. ويتعاقب هذا الذكر والحذف ليشكل ظاهرة شغلت القدماء إلا أنها شغلت الدارسين المحدثين أيضا فكثر من درسها وعدّوها ضربا من بلاغة القرآن الكريم مثلما عدها القدماء ضربا من إعجازه وأطلق عليها الدارسون المعاصرون القصص القرآني. وتنوعت الآراء واختلفت وجهات النظر حول ما سماه بعضهم تكرارا في المشاهد والأحداث. ورفض آخرون فكرة التكرار وسموها تفصيلا في موضع واختصارا في موضع وإذا ما تكرر الذكر في القرآن الكريم فإنما يتكرر لأهداف سامية ومقاصد بليغة. فالقرآن الكريم لا يكرر كلامه إلا إذا حقق غرضا بلاغيا(١).

أما سيد قطب فقد أقر بوجود التكرار والذكر والحذف في القصة القرآنية في مواضع من القرآن الكريم وأعاد السبب في هذا الاختلاف إلى خضوع القصة في القرآن الكريم للغرض الديني مما أثر تأثيرا واضحا في طريقة عرضها، بل في مادتها على النحو التالي:

١- ترد القصة الواحدة في معظم الحالات مكررة في مواضع شتى، ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها -غالبا- إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها.

أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادرا ولمناسبات خاصة في السياق الذي وردت فيه يجدها مناسبة لهذا السياق تماما في اختيار الحلقة التي تعرض هنا أو تعرض هناك وفي طريقة عرضها كذلك(٢).

ويجب أن نذكر دائما أن القرآن الكريم كتاب دعوة دينية، وأن التناسق بين حلقة القصة التي تعرض والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم، وهذا يتوافر دائما، ولا يخلّ بالسمة الفنية إطلاقا.

٢- أن هناك ما يشبه أن يكون نظاما مقررا في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة، يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها.

---

(١) محمود السيد شيخون/أسرار التكرار في لغة القرآن الكريم ص٨٣.

(٢) سيد قطب/التصوير الفني للقرآن الكريم ص١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمعظم القصص يبدأ بإشارة مقتضبة، ثم تطول هذه الإشارات شيئا فشيئا، ثم تعرض حلقات كبيرة تكوّن في مجموعها جسم القصة.

وقد تستمر الإشارات المقتضبة بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات – حتى إذا استوفت القصة حلقاتها، عادت هذه الإشارات هي كل ما يعرض منها.

ولتوضيح هذا النظام نستعرض قصة موسى حيث تعاقب الذكر والحذف في الآيات التي وردت فيها القصة في السور المتعددة؛ فقد وردت القصة في حوالي ثلاثين موضعا، إلا أن تعاقب الذكر والحذف في الآيات المتماثلة ظهر بجلاء في سورة الأعراف، وطه، والشعراء، والنمل، وسورة القصص.(١)

ويرتب سيد قطب هذه السور الخمس حسب تاريخ نزولها على النحو التالي:

الأعراف ٣٩، طه ٤٥، الشعراء ٤٧، النمل ٤٨، القصص ٤٩. وللباحثة رأي في هذا الترتيب، إذ يخشى أن تكون بعض الآيات في سورة سابقة قد تأخر نزوله إلى ما بعد سورة لاحقة، مما يجعل هذا الترتيب ترجيحيا وغير نهائي.

وبتقصي بدايات قصة موسى في القرآن الكريم وحسب ترتيب نزولها ندرك أن ما ذكر من بدايات لهذه القصة مذكور في سورة الأعلى؛ وهي الثامنة في ترتيب النزول، على شكل إشارة صغيرة لصحف إبراهيم وموسى، وفي سورة الفجر وترتيبها في النزول ١٠، وفيها ذكر فرعون بدون موسى؛ وهي إشارة عابرة أيضا.

ونلاحظ أن تفصيلات دقيقة عن قصة موسى قد وردت في الأعراف ٣٩ مبتدئة برسالة موسى وهارون إلى فرعون وملئه (آية ١٠٣)، ثم عرض موسى معجزته على فرعون، ثم تعليق الملأ على ما رأوا من موسى بأنه ساحر، ثم يحصل اللقاء والتحدي بين موسى والسحرة: ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون(١١٧)﴾ (الأعراف) ويتغلب موسى على السحرة فيؤمنون به؛ فيغضب فرعون ويصرخ مهددا بتقطيع أطرافهم وبصلبهم، إلا أن تهديده يذهب أدراج الرياح؛ فقد أجابوه: ﴿قالوا: إنا إلى ربنا منقلبون(١٢٥)﴾ (الأعراف).

وتمتد قصة موسى في الأعراف، فتذكر من الأحداث تسليط العذاب على فرعون وقومه، واستغاثتهم بموسى، وكف الأذى عنهم، وعودتهم لتعذيب بني إسرائيل، وغير ذلك من التفصيلات. وفي سورة طه: يبدأ تفصيل آخر من حلقة أسبق مما ذكر في الأعراف، على النحو التالي: قال تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى(٩) إذ رأى نارا فقال لأهله: امكثوا إني

---

(١) سيد قطب/التصوير الفني للقرآن الكريم ص١٢٨،١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى(١٠) فلما أتاها نودي يا موسى(١١) إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى(١٢)﴾ (طه) وتعرض الآيات تفصيلات دقيقة لحوار بين رب العالمين وموسى، وتكليفه بالذهاب إلى فرعون، فيطلب منه أن يعزز موقفه بأخيه هارون، ويستجيب له الله مذكرا بأن نعم الله عليه متوالية؛ ومنها نعمة إنجائه وهو صغير، ثم يأتي التكليف للاثنين: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى(٤٣)﴾ (طه) وتخوفا من مواجهته فطمأنهما الله: ﴿قال: لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى(٤٦)﴾ (طه) ثم تسير القصة كما سارت في الأعراف، ويدور الحوار بين فرعون وموسى، ويوجه إليه وإلى أخيه أسئلة محددة: ﴿قال فمن ربكما يا موسى(٤٩) قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى(٥٠) قال فما بال القرون الأولى(٥١)، قال علمها عند ربي...﴾ (طه) ثم يجمل عن آيات موسى: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى(٥٦) قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى(٥٧) فلنأتينك بسحر مثله﴾ (طه).

ويأمر الله موسى قائلا: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى(٦٨) وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى(٦٩) فألقي السحرةُ سُجَّدا قالوا آمنا برب هارون وموسى(٧٠)﴾ (طه) ويتكرر ذكر غضب فرعون على السحرة: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى(٧١) قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات...﴾ (طه) ويطول قول السحرة الذين آمنوا مقابل قولهم المقتضب في سورة الأعراف: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ (الأعراف ١٢٥).

وتُحذف من القصة وسائل تعذيب فرعون وقومه ويرد مشهد سير موسى إلى ربه منفردا، دون قومه، قال تعالى: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى(٨٣) قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى(٨٤)﴾ (طه).

وبذلك تزيد حلقة جديدة؛ وهي حادثة السامري وصنعه العجل وفتنته قومه به، وغضب موسى، ومحاولة هارون منعهم من عبادتهم العجل، ومعاتبة موسى له، ومحاورة موسى للسامري وعقابه على ما فعل. ويختم القصة بقوله سبحانه: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا(٩٩)﴾ (طه) وهذا الخطاب موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ لتكون قصة التكذيب والعقاب عبرة لقومه.

ونلاحظ أن آيات سورة طه تذكر الميعاد بسرعة، وتغفل الميقات تماما؛ فقد سبق أن ذكرت في سورة الأعراف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سورة الشعراء وترتيبها ٤٧ تبدأ القصة من حلقة التكليف لموسى ورسالته: ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين(١٠)﴾ (الشعراء) ويدور حوار سريع يطلب فيه موسى من ربه أن يُرسل إلى هارون، وعبّر عن مخاوفه من ذنبه بقتل رجل منهم؛ وهذا حدث جديد في القصة، بالإضافة إلى تذكير فرعون لموسى بتربيته له صغيرا وبفعلته.

ثم يتكرر مشهد الحوار بين فرعون وموسى: ﴿ما رب العالمين؟﴾ (الشعراء ٢٣) وغضب فرعون وتهديده موسى: ﴿قال: لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين(٢٩)﴾ (الشعراء) فيرد موسى: ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين(٣٠). قال فأت به إن كنت من الصادقين(٣١). فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين(٣٢) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين(٣٣)﴾ (الشعراء)وتتكرر الآيات في مشهد تحدي موسى السحرة: ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم(٣٤). يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون(٣٥)﴾ (الشعراء) والملاحظ أن القول على لسان فرعون، وفي سورة "الأعراف" على لسان الملأ؛ وهم نخبة مقربة من فرعون وموضع مشورته: ﴿قالوا: أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحّار عليم(٣٧) فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ (الشعراء).

﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين(٤١) قال: نعم وإنكم إذا لمن المقربين(٤٢)﴾ (الشعراء).

ويلاحظ أن قول السحرة في سورة "الأعراف" حين ساوموا فرعون، جاء على شكل جملة خبرية: (إن لنا لأجرا) بينما جاء في هذا الموضع على شكل استفهام، فزادت همزة الاستفهام وزادت لفظة "إذن"؛ وهي حرف جزاء وجواب.

وبذلك يتنوع الحوار ويختلف مع السحرة في السورتين، إلا أن القصة تتكرر إلى أن ألقي السحرة ساجدين، وتتكرر آية: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ (الشعراء ٤٩) ويزيد تهديده بذكر اللام الموطئة للقسم أو لام التوكيد وبدخولها يتعين أسلوب سوف مع الفعل المضارع للتهديد، مع الاستقبال، ثم يعزز قوله ويفصله: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾ (الشعراء ٤٩)، ويحذف من التهديد ما ورد في سورة طه: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ (طه ٧١).

وكذلك تختصر إجابات السحرة المؤمنين لموسى، وتقتصر على قولهم: ﴿قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون(٥٠). إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا إن كنا أول المؤمنين(٥١)﴾ (الشعراء)،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتختفي تفصيلات ما قالوه في السورة السابقة على الرغم من تنوع الحوار في هذه السورة.

وفي المقابل تذكر الآيات حادثة غرق فرعون وأتباعه، بعد أن أوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر فانفلق فرقتين كل منهما كالجبل العظيم.

ويعقب بقوله سبحانه بالعبرة من القصة: ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ (الشعراء ٦٧) ويتضح بهذه النهايات مغزى القصة؛ إن الله ينصر أنبياءه في النهاية، ويهلك المكذبين؛ وذلك تثبيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم، وتأثيرا في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان.

وفي سورة النمل وترتيبها حسب النزول ٤٨:

تبدأ قصة موسى برؤيته نارا في قوله تعالى: ﴿إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون(٧). فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين(٨) يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم(٩). وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لايخاف لدي المرسلون(١٠)﴾ (النمل) والملاحظ أن هذا الحدث قد ذكر في سورة طه بأسلوب استفهامي:﴿هل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا...﴾.

أما في سورة طه فقد سبق هذا الاستفهام حيث بدأ الحدث بقوله: "إذ قال موسى" وقد زاد في سورة النمل (شهاب قبس)، وفي سورة طه ذكر السبب: (لعلكم تصطلون) واكتفى بقوله (سآتيكم منها بخبر)، وقال في طه: (أو أجد على النار هدى). كما أنه في، طه، طلب من أهله أن يمكثوا وألا يرافقوه بقية سيره، وبرر لهم ذلك، بينما في هذه السورة بدأ بالجملة (إني آنست نارا).

ويرى الدكتور محمد حجازي أن سبب الاختلاف الذي ورد على لسان موسى في الآيات السابقة عائدٌ للحالة النفسية التي مر بها عندما رأى النار؛ فحين رآها فكر فيما قد يكون عندها ومن حوله؛ فمرة تغلب خوفه على رجائه، ومرة استبشر، وثالثة توجس خيفة[1]، فانعكست حالته النفسية في أقواله؛ فمرة لجأ إلى استخدام (لعلّ) فهو يرجو، ومرة قال (سآتيكم)، ثم ختم بقوله: (لعلكم تصطلون)؛ مما يدل على أنه غير واثق مما سيحدث له؛ فطلب من أهله البقاء في مكانهم، في آيتي طه والقصص؛ ولم يطلب ذلك منهم في النمل، بينما أكد في الآيات الثلاث على وجود نار: (إني آنست نارا)؛ وهذا ما

---

(١) محمد محمود حجازي/الوحدة الموضوعية ٣٤٣، ٢٩٦، ٢٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوضحناه في مبحث حذف جملة الطلب وذكرها.

كما اختلفت الآيات في التعبير عن كمية النار التي سيحضرها لأهله؛ فمرة قال (قبس)، ومرة ثانية (شهاب قبس)، وثالثة (جذوة).

وفي هذه الآيات وصف لحالة موسى؛ فهو يرى العصا تهتز، فيولي مدبرا، ثم يناديه ربّ العالمين ويطمئنه بأنه مرسل، والمرسلون لا يخافون، وهم في حضرة الإله الأعظم. كما ذكر حدث المعجزتين على شكل أمر؛ (أدخل يدك) بينما وردت على شكل استعراض للمعجزة أمام فرعون والملأ في الآيات السابقة.

وتُغفل كل الأحداث التي سبق تفصيلها في السور السالفة الذكر لتقتصر على حلقة تكذيب آل فرعون والعقاب الذي حل بهم في قوله تعالى: ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا: هذا سحر مبين(١٣) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ (النمل ١٣-١٤).

وختم القصة بما يختمها في كل مرة: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ (النمل ١٤).

ونلاحظ تباين الحديث عن المواجهة بين موسى وفرعون؛ فقد جاء في كل موضع متناسبا مع موضوع السورة؛ فقد اختصر المشهد في سورة يونس؛ لأن جو السورة كله إجمال وتلخيص، كما أن مشهد موسى مع السحرة جاء في أربع سور: تحدثت ثلاث منها بدقة عن الموقف من عدة زوايا، وركزت واحدةٌ منها على مشاعر موسى عندما رأى إعجاب السحرة بأنفسهم: والثانية تصوير لمشاعر المشاهدين، وكيف استقبلوا الحدث. وهكذا لم يأت الحديث عن المشهد الواحد بصورة واحدة، بل جاء على أشكال مختلفة وبأساليب متباينة(١).

وفي سورة القصص وترتيبها في النزول ٤٩ تبدأ القصة من بداية السورة، ويبين سبحانه الهدف في هذه القصة: ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾. (القصص ٣٠).

وتذكر حلقة جديدة من مظاهر علو فرعون واضطهاده لقومه، حيث يذبح الذكور ويبقي الإناث خوفا من تحقيق نبوءة مقتله على يد طفل من بني إسرائيل، وأن الله سبحانه أراد أن يرفع من شأن المضطهدين وينصفهم، ويوقع بفرعون ووزيره هامان ما كانوا يَحذرون (وشخصية هامان ذُكرت هنا لأول مرة وإن كانت تذكر ضمنا في قوله سبحانه: (الملأ من قومه).

كما تذكر الحلقة الأولى التي لم تذكر من قبل بدقة وتفصيل؛ وهي مولد موسى، ووضعه

---

(١) محمد محمود حجازي/الوحدة الموضوعية ص٣٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في التابوت، والقاؤه في البحر، والتقاط آل فرعون إياه، وتحريم المراضع عليه، ومجيء أخته وإشارتها على فرعون بمرضع –هي أمه– ثم كِبَرُه، كما تذكر الآيات حدث قتله للمصري بالتفصيل؛ وقد سبق ذكر هذا الحدث في حوار بين موسى ورب العالمين حين كلفه بالذهاب إلى فرعون؛ فعبّر موسى عن خوفه بأنه قتل منهم شخصا؛ فهو يخاف أن يقتلوه.

وتبدأ تفصيلات أخرى عن محاولة موسى قتل شخص آخر وتهديده إياه بإفشاء سر القتلة، الأولى ونصحه رجل بالهرب، فخرج إلى أرض مدين، والتقى ابنتي النبي شعيب، فسقى لهما بعد أن دار حوار بينهما وبين موسى؛ فأعجبتا بقوته وأمانته؛ فأشارت واحدة منهما على أبيها باستئجاره؛ فعمل مع شعيب، وزوّجه ابنته بشرط استخدامه ثماني سنوات أو عشرا. وبعد أن انقضت مدة الشرط إنفصل عن شعيب واصطحب زوجه وذهب بها. ثم رأى النار؛ وهذه النار هي التي بدأت بها القصة في (سورة طه)، كما أوضحنا. ولكنها جاءت حلقة مكملة في توالي الأحداث المتسلسلة بالترتيب الدقيق للقصة. قال تعالى: ﴿**فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون(٢٩). فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين(٣٠). وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين(٣١). اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء**﴾ (القصص ٢٩–٣٢) فجاء الحديث مكررا مماثلا لما سبق ذكره، مع اختلاف في بعض ألفاظ الآيات مثل: (شهاب قبس) وهنا (جذوة من النار)، وقوله في آية سابقة: (سآتيكم) وهنا (لعلي آتيكم)،، و(أن يا موسى)، و(أن ألق) وفي آية سابقة (نودي يا موسى)، و(ألق)، ...

أما في سورة النمل ﴿**فلما جاءها نودي أن بورك**﴾ (النمل ٨) وفي طه ﴿**فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى**﴾ (طه ١١–١٢).

وهكذا ندرك أن اختلاف الأداء نوع من التلوين الأسلوبي الجميل في التعبير عن حلقات القصة وأحداثها، بل عن الحدث الواحد بعينه.

ويتميز حدث مواجهة موسى لفرعون في هذه سورة القصص بإضافات؛ وهي تهكم فرعون وسخريته أمام الملأ من موسى، وطلبه من هامان أن يبني له صرحا.﴿**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين**﴾ (القصص ٣٨)، وتنتهي القصة بقوله: ﴿**فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم**﴾.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(القصص ٤٠) ، وتنتهي القصة، كعادة القصص القرآني بالعبرة بقوله تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ (القصص ٤٠).

وهكذا ندرك، بعد أن عرضنا بالتفصيل للآيات التي تعاقب فيها الذكر والحذف لبعض أحداث قصة موسى وفرعون، أن القصة نفسها في القرآن الكريم تصبو أولا وأخيرا إلى الاعتبار بالأمم السابقة، من خلال تكرار هذه القصة في مواضع عديدة، تعرض بالقدر الذي يحقق الغرض منها؛ فتبدأ كل سورة من الحلقة التي تتفق مع هذا الغرض: فمرة يعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها؛ وتعرض تارة كاملة بأدق تفاصيلها، وتكتفي تارة أخرى ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذاك[١]؛ ففي بداية سورة القصص جعل قصة موسى تصديقا للوحي ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق﴾ (القصص ٣) وحين تبدأ أحداث القصة بالحلقة الأولى وهي ميلاد موسى كان الهدف منها بيان رعاية الله وكفالته لمن يختار وتحقيق مشيئته فيما يشاء فنجاة موسى ووجوده بين آل فرعون أنفسهم هي قيمة خاصة وإعداد لمهمة اختاره الله من أجلها، وكلما ذكر حلقة من حلقات قصته كانت لمغزى. وهذا المغزى أو التوجيه إما أن يذكر قبل القصة كما أوضحنا أو في نهاية القصة كما اتضح أيضا وفي النهاية تهدف إلى تصديق الأنبياء ونصرتهم وإهلاك المكذبين وتعذيبهم.

أما لوط فلا تعرض قصته إلا عند حلقة الرسالة وهي الحلقة الوحيدة التي تعرض من حياته فالعبرة كامنة فيها فتتضمن الرسالة والحوار مع قومه وتكذيب قومه ومجيء الملائكة إليه ثم إهلاك قومه.

وقد يكون تكرار أجزاء من القصة الواحدة في أماكن متعددة مع اختلاف بعض أجزائها مظهرا من مظاهر بلاغة القرآن الكريم؛ لأن من خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة وفي التكرار توكيد للفكرة وتأثير في النفوس[٢].

إن سر الذكر لجانب من جوانب القصة القرآنية في موضع وحذفه من موضع آخر يكمن في عرض هذه القصة على مراحل، لأنها لو عرضت مرة واحدة لحدث اضطراب في الأسلوب وقد يؤدي ذلك إلى التثاقل أو الثقل مما يشعر القارئ بالملل[٣].

والجدير بالذكر أن تعاقب الذكر والحذف في القصة الواحدة، وعدم ذكرها كاملة بكل

---

(١) سيد قطب/ التصوير الفني ١٢٨- ١٢٩، في ظلال القرآن ٣/٥٧٤، ٥٦٧.

(٢) أمين الخولي/ مناهج تجديد، ص٢٠٥.

(٣) عبد الكريم الخطيب/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص٢٣٣، ٢٤٢، ٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفاصيلها في موضع آخر- دفع الدكتور محمد خلف الله إلى الاعتقاد بأن القصة في القرآن الكريم لا تلتزم بالصدق التاريخي، وأن الخيال يلعب دورا أساسيا في صنع أحداثها[١]، وقد غاب عن الدكتور خلف الله، كما أوضحنا سابقا، أن المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يذكر من القصة في كل موضع، وتحدد ما يحذف في موضع آخر كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداة كما أن القرآن الكريم كتاب دعوة لا كتاب رواية، فهو قائم على الصدق والواقعية وليس على الخلق والتزويق[٢].

كما أن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ ليقوم على السرد التاريخي، بل يختار من القصص الجزء الذي يتناسب وموضوع السورة فيذكره ويحذف ما لا يتناسب مع الغرض القرآني، وينتقي من الأحداث ما يراه مناسبا[٣].

ومن أهم ما يجب أن يدركه كل من يقرأ القرآن الكريم ويتدبره أن المشاهد المحذوفة في القصص القرآني إنما هي مظهر من مظاهربلاغة القرآن الكريم فمع إدراكنا لوجود الحذف إلا أننا لا نلمس خللا في القصة أو انقطاعا أو بترا للأحداث، بل إن الحذف في موضعه يزيد النص بهاء وجمالا وقديما علل البلاغيون الحذف بالإيجاز، إلا أن للحذف في القصص القرآني معنى جديدا، هو تدعيم التصوير الفني للقصة، وخلق جو العرض فيها بتكثيف أحداثها، كما أن له أغراضا تختلف باختلاف النص وما يتطلبه المقام. فالحذف يكون لحكمة والذكر لحكمة[٤].

ومن الأمثلة على بروز سمة تعاقب الذكر والحذف في قصص القرآن الكريم ما ورد في سورة طه من قصة موسى، حيث تم الانتقال من الوادي المقدس وما جرى فيه من أحداث إلى بلاط فرعون وحوار موسى معه؛ فلاحظنا أن الانتقال بين المشهدين تم مباشرة على الرغم من اختلاف المكان والزمان، كما تم الحذف أيضا في معظم الحوار الذي دار بين رب العزة وموسى في الواد المقدس، وتم تلخيصه في قوله تعالى: ﴿إذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين﴾، (الشعراء ١٠)، اعتمادا على ما ورد من ذكر

---

(١) محمد خلف الله/الفن القصصي، ص٥٠، ٥١، ٥٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٨، ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) سيد قطب/ في ظلال القرآن، ١/٦٤، تمام حسن/ البيان في روائع القرآن ٥١.

(٣) محمد محمود حجازي/ الوحدة الموضوعية ٢٩٠، ٢٩١، انظر قصة نوح في سورة الأعراف ٥٩، ٦٤، وهود ٢٥، ٤٩، ونوح ١، ٢٨، ويونس ٧١، ٧٣، وتفاوت طول المشاهد وقصرها .

(٤) كاظم الظواهري/ بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم ص٧، انظر التفصيلات ٢٠٤، ٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفصيلات في سورة طه كما جاء المشهد مختصرا جدا في سورة مريم فاقتصر على الأحداث المهمة (مريم ٥١،٥٣).

ويجدر بالباحث ألا يغفل سببا وجيها في تعاقب ذكر تفصيلات القصص واختصارها بحيث تقتصر على ملخصات بسيطة ولمحات وجيزة.

وهو تاريخ النزول والغرض من ذكر هذه القصص.

فالغرض في المرحلة الأولى للدعوة كان يتمثل في تحذير مشركي مكة من العناد والإصرار على الباطل حتى لا يلاقوا مصير الأمم السابقة[١].

وكلما خطت الدعوة خطوة أخرى زاد الحوار وطالت المشاهد وذكرت التفاصيل لإثارة التفكير فيما وقع للأمم السابقة[٢].

ثم يعود القصص للحذف والاختصار والتلخيص لأنه أصبح معروفا لدى المسلمين واطلعوا عليه خلال السور السابقة.

وهكذا يبرز التناسب بين ما يذكر والغرض من ذكره وطريقة عرضه في السياق وترتيب الأحداث وتسليط الأضواء على العنصر المراد إبرازه[٣].

---

(١) التهامي نقره/ سيكولوجية القصة ص٩١.

(٢) المصدر نفسه ص٩٢.

(٣) المصدر نفسه ص١٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

وهكذا حاول هذا البحث – على قدر ما أطاقت الباحثة– أن يتناول بالدرس والتمحيص آيات من القرآن الكريم.

وقد بلغتُ – بحمد الله تعالى– نهاية المطاف في كتابة هذه الدراسة التي تُعدّ تجربة عميقة في رحاب كتاب الله المعجز؛ ذلك أن كل آية –وإنْ بدَتْ مشابهة لآية أخرى في سورة أخرى– فإنها تأخذ جو السورة التي وردت فيها؛ فيكون لذكرها في موضعها حكمة تختلف عن ذكرها في الموضع الآخر، وإنّ إدراك أسرار هذا التشابه في مواضعه المتعددة يحتاج إلى موهبة ومهارة وإحاطة بقواعد اللغة ودقائقها، وإلى صفاء ذهن وقوة إدراك، وقد نعجز أحيانا عن إدراك هذه الأسرار، إلا أن هذا كله لم يحل دون مواصلة البحث من أجل الكشف عن أسرار البيان القرآني.

وقد أمكن التوصل بعد الدراسة إلى النتائج والتوصيات التالية:

١– النتائج:

– تبدّى للباحثة أنه لا حاجة إلى تقدير محذوف في جانب من الآيات التي ذكرها النحاة على أساس أن فيها حذفا؛ فقد تبين أن إعطاء السياق القرآني معناه بالاستغناء عن تقدير محذوف أمر ممكن؛ وهذا يجعل التناول متفقا مع ما يلهج به علم اللغة الحديث (المنهج الوصفي) الذي يقصر التناول على ظاهر العبارة عند التأويل والتفسير، ويفتح المجال أمام الدارسين للكشف عن مزيد من أسراره.

– استخلصت الباحثة أن تعاقب ذكر جواب الشرط وحذفه في آيات القرآن الكريم ظاهرة أسلوبية في الجمل الشرطية المتصدرة "بإذا"، و"لولا"، و"لما"؛ وقد أدى هذا الأسلوب بالنحاة القدماء إلى عدّ الواو زائدة في قوله تعالى: ﴿**حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها**﴾ (الزمر ٧٣) وحملهم على هذا الاعتبار خلوُّ الآية المشابهة من الواو في قوله تعالى ﴿**حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها**﴾ (الزمر ٧١) واعتقادهم بضرورة وجود جواب شرط.

وقد تنبه المفسرون إلى ظاهرة حذف جواب الشرط؛ فقدروا لها جوابا محذوفا، وعلل بعضهم هذا الحذف بأنه وسيلة تشويق قصَدهُ الاسلوب القرآني ليفسح المجال لتقدير الجواب، كما يتخيله القارئ.

وترى الباحثة أن هذا الأسلوب ليس شرطا محذوف الجواب؛ وإنما هو باب آخر من صور التعبير في العربية، لا يجري على نمط أساليب الشرط المعروفة، ولا على أساليب التقدير المألوفة، وإنما هو باب ثالث لا تنتهي آفاقه البلاغية عند حد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– قضية الزيادة والتكرار قضية قديمة حديثة تناولها النحاة وتبعهم بعض المفسرين القدماء، ولم ينكرها بعض الدارسين المعاصرين، ورفضها دارسون معاصرون آخرون؛ لأن القول بالزيادة لا ينسجم مع الذوق القرآني؛ فوجود الحرف ضروري للدلالة، وحذفه يخل بالنظم القرآني.

وتقدير الحرف زائدا، أسوة بالآية التي تشابهها وقد خلت من الحرف، تقدير خطأ؛ ذلك لأن لوجود بعض الحروف التي شهد النحاة بزيادتها دلالات نفسية تشكل ظاهرة ملحوظة، فحرف "أن" بعد لما الحينية ليس زائدا، بل مؤذن بأن النتائج التي يتشوق إليها الإنسان تذكر مباشرة دون تريث أو تمهل؛ وتذهب الباحثة إلى أن باستطاعة المرء أن يستخدم هذا الأسلوب القرآني إذا أراد الدلالة على أن جواب لمّا يأتي مزامنا تماما للفعل بعدها ، وأن الحدثين يجريان معا دون مهلة أو تراخ؛ فهي ليست زائدة بل هي عنصر تركيبي ذو وظيفة محددة .

ولا توافق الباحثة النحاة على اعتبارها للتوكيد؛ لأنها تفصل بين عنصرين متضامَّين، هما: المضاف، والمضاف إليه؛ ومعلوم أنه لا يفصل بينهما إلا بالجار والمجرور وبالقسم فقط.

وقد يعترض معترض على هذا الرأي منطلقا من أن عدد مواضع ذكر "أن" في القرآن الكريم بعد لما الحينية ثلاثة، في حين أن عدد مواضع حذفها مائة وخمسون مرة؛ مما يجعلهم يسوغون اعتبارها زائدة بالانطلاق من قاعدة اعتماد الأشيع، لدرجة أنهم يحكمون على ما ورد مرة واحدة في القرآن الكريم، مثل اقتران خبر إن بالباء أو اقتران اسم ليس بالباء، بالغريب أو الشاذ.

وأرى أن يرفض القول بالكثرة والقلة في الشواهد القرآنية، وإن كان ذلك واردا في كلام العرب المنظوم والمنثور الذي يحتج به؛ لأن العرب اتخذت منها شواهد على قواعد اللغة، فورد منها الشائع والنادر والشاذ؛ أما شواهد القرآن الكريم فلا تقاس بالقلة والكثرة قياسا على ما يؤخذ من كلام العرب من القواعد؛ فما دام القرآن الكريم قد استخدم أسلوبا ما، ولو مرة واحدة؛ فهذا دليل على أنه أسلوب عربي يحتج به، بغض النظر عن قلة وروده أو اطراده في القرآن الكريم.

وليس في القرآن الكريم ما يعد أسلوبا شاذا أو غريبا بحجة كونه غير مشتهر عن العرب، أو لم يرد إلا مرة واحدة؛ فقد تبنت الدراسة عدم القول بوجود الشذوذ في القرآن الكريم، وعالجت في ضوء ذلك تعاقب الذكر والحذف في قوله تعالى: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (التوبة ٨٩) إذ إن كل المواضع في القرآن الكريم جاءت مسبوقة بمن إلا في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضع واحد، وعلى الرغم من اطراد الأول وندرة الثاني، إلا أن خلو الآية من حرف الجر "مِن" يحمل دلالة اسلوبية مختلفة وأسلوبا تعبيريا ثانيا، لا نستطيع إلا أن نحكم بوجوده وإمكانية استخدامه، كما أن خلو هذه الآية من الحرف لا يسوغ اعتباره زائداً في المواضع الأخرى.

وعلينا أن نذكر دائما أن القرآن الكريم جاء ليحاكي أساليب العرب دون أن يحويها جميعا بالضرورة؛ ومن جهة ثانية فقد يوجد في القرآن الكريم من أساليب العرب ما لم يرد به إلينا شاهد من كلامهم.

- إنّ ما سماه النحاة ضمير الفصل ورد في القرآن الكريم في آيات عديدة دون أن يفصل بين الاسم والخبر المعرفة، بل ورد بين اسم وخبر نكرة، وتعاقب ذكره وحذفه بين الاسم والخبر والجملة الفعلية؛ مما يدل على أنه لم يذكر لمنع اللبس أو للفصل بين المبتدأ والصفة.

وبالدراسة المتعمقة لدلالة هذا الضمير في الآيات التي تعاقب فيها الذكر والحذف يتبين أنه يدل على توكيد المعنى توكيدا يكاد يبلغ به درجة القصر؛ أي قصر المبتدأ أو ما هو في حُكْمه على الخبر؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ (النساء ١٣)ثم يقول في موضع آخر ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة ٧٢) كأنه الفوز الذي لا فوز غيره، ولو كان الضمير لرفع اللبس والفصل، كما اعتبره القدماء، لذكره الاسلوب القرآني في الآية التي خلت منه.

وترى الباحثة أن يُسمى هذا الضمير ضمير توكيد، دون أن نتقيد بما سمّاه به النحاة؛ حتى لا نقع في التناقض، ولا نعني بالتوكيد التوكيد اللفظي المعروف.

- من الأساليب التي أبرزتها الباحثة الأسلوب العدولي، وقد ارتأت الاستعانة بهذا الأسلوب البياني للتخلص مما سمّاه النحاة "زائدا" في القرآن الكريم.

ونعني بالأسلوب العدولي كما سمّاه المحدثون؛ أو التضمين كما سمّاه القدماء؛ إشراب كلمة معنى كلمة لتقع موقعها وتتبوأ موضعها في الكلام، وتؤدي وظيفتها النحوية، ويعتبر وسيلة لتجريد القرآن الكريم مما لا يليق به، وبهذا الأسلوب نضيف إلى معنى الكلمة معنى آخر، منسجما مع المعنى الأول، مكملا له؛ فالعدول عن دلالة منع (من المنع) إلى منع (من المنعة)؛ أو ما حملك أو ما اضطرك في قوله تعالى: ﴿ما منعك ألا تسجد﴾ (الأعراف ١٢) يجعل الآية منسجمة لفظا ودلالة وتعفي من القول بزيادة (لا) في ضوء قوله تعالى: (ما منعك أن تسجد).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه يعفينا من تقدير محذوف، وزيادة مذكور، في قوله تعالى: ﴿مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ (الحجر ٣٢) إذ عد النحاة "أنْ" زائدة، وقدّروا (مالك خارجا)؛ فإذا حملنا "مالك" على المعنى (العجب) لم نلجأ إلى مثل هذا الشطط في التقدير.

- ومن النتائج التي كشف عنها البحث ان استخدام القرآن الكريم لأسلوب (إذن) لم يأت مطلقا مع فعل مضارع، فيعمل فيه الحرف نصبا على اعتبار (إذن) حرف نصب؛ وإنما وردت في كل موضع حرف جواب وجزاء، وقد اشترط النحاة لإعمالها بالمضارع تصدرها وكون المضارع للمستقبل ومتصلا بها غير منفصل بفاصل، ولم تتوفر هذه الشروط في أي موضع من مواضع (إذن) في القرآن الكريم.

وهذا يعزز رأينا أنه ليس شرطا أن يحتوي القرآن الكريم على كل أساليب العرب، كما أن القواعد النحوية التي جردها النحاة لا تنطبق على كل شواهد القرآن.

- ومن النتائج التي أبرزها البحث الكشف بعمق عن بعض الأساليب التي عزز القرآن وجودها.

ومن هذه الأساليب أن يقترن خبر إنَّ بالباء كاقتران خبر ليس بها مع اطراده في الثانية وندرته في الأولى، مما جعل النحاة يجهدون أنفسهم في تأويل الآية: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر...﴾؛ (الأحقاف ٣٣)، فقدروا الليس الذي خلق السموات بقادر، وجوزوا وجود الباء؛ لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في خبرها، ولم يكتفوا بذلك بل لجأوا إلى أن يسلكوا (إن) مسلك (ليس).

وترى الباحثة أن اللجوء إلى هذا التأويل نوع من التعسف في التقدير؛ فالجملة (إن الله الذي خلق السموات بقادر) جملة مثبتة تماما، وإن كانت في سياق استفهام منفي؛ مما يعزز قولنا إنه في مجال الجحد يقترن خبر إن بالباء مثلما يقترن خبر ليس وما بها، وعلى ذلك نستطيع القول بأن أسلوب "إنَّ" إذا خرج إلى الاستفهام المنفي واقترن خبرها بالباء كان للتقرير والإثبات.

- ومن الأساليب التي عزز القرآن الكريم وجودها وأبرزها البحث أيضا أسلوب اقتران اسم ليس بالباء في قوله تعالى: ﴿ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ (البقرة ١٨٩) مع وجود آية ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾؛ (البقرة ٧٧).

فمال النحاة إلى اعتبار "البر" خبر ليس مقدما، ومال بعضهم إلى اعتبار البر اسما لاقتران الخبر بالباء الزائدة على حد قولهم.

وترى الباحثة أن الباء هنا ليست زائدة، بل ظرفية داخلة على مصدر مؤول أي (بإتيانكم)، وأن البر اسم ليس (وبإتيانكم) شبه جملة خبر ليس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وباستطاعتنا اعتبار (أن تولوا وجوهكم) مصدرا منزوع الخافض قد ترخص فيه بحذف حرف الجر (الباء).

- وكان من بين قضايا تعاقب الذكر والحذف التي شغلت أذهان النحاة وأكد البحث وجودها، تعاقب ذكر الفاء وحذفها في آيات متشابهة في القرآن الكريم، مما دفعهم إلى تقدير أسلوب شرط محذوف، كما في قوله تعالى: ﴿أنظرني إلى يوم يبعثون، قال: فإنك من المنظرين﴾ (الحجر ٣٦-٣٧)فقالوا: تقدير الكلام إن طلبت تأجيل الأجل فإنك من المنظرين، وقد حملهم على هذا التقدير خلو الآية المشابهة من الفاء، مع أن الترخص في دخول الفاء على جواب الشرط وارد في القرآن الكريم، كما في قوله: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ (الأنعام ١٢١) كما أن شواهد حذف الفاء في القول ومقوله تكثر حتى ليكادُ ذلك يرقى إلى مرتبة الاختيار الأسلوبي الذي يتجاوز الوصف بالترخص؛ مما يعني أن حرف الفاء (الرابط) قد يذكر في آيات ويحذف من آيات أخر مشابهة من باب الترخص والاختيار الأسلوبي، إلا إذا كان عدم ذكره قد جرى في موضع يستحسن أن يذكر فيه؛ ومن ذلك حذفه قبل القول؛ إذ تكون الفاء ضرورية؛ لأن علاقة القول الترتيب والتعقيب، وقد تحذف طلبا للخفة، أو اختصارا، أو اقتصارا، أو تجنبا للحشو.

ومن النتائج التي أكدّها البحث وعززها:

- أن الأسلوب القرآني قد أعطى الموصولات المختصة مثل: الذي، والتي، والذين تلك الموصولات التي لا تنتقل إلى الشرط، كما تنتقل الموصولات المشتركة: (مَنْ) و(ما) - أعطاها عند الإخبار بها بعض ما تعطاه الموصولات التي انتقلت إلى الشرط في مجال الجواب، فإذا أخبر بالذي أو التي اقترن الخبر بالفاء في المواضع التي يلزم فيها الفاء جواب الشرط، بما فيها من شركة في أصل الموصوليه أو الإبهام؛ إذ يتوقف فيه وقوع خبر الذي على وقوع صلته، كما في قوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ (التين ٦) فإذا لم تذكر الفاء لم يكن الموقف محتاجا إليها.

- كما استخلصت الباحثة أن تصدير بعض الآيات بالفعل (قل) متلوا بفعل أمر مقترن بالفاء، يجعل الأسلوب للتهديد والوعيد، من ذلك قوله تعالى: {قل: فأتوا بسورة من مثله}، ولم يخف ذلك عن القدماء؛ فقد أسموا هذه الفاء (الفاء الفصيحة).

كما أن تصدير الآيات بـ(سوف) مقترنة بالفاء ومتلوة بفعل مضارع يجعل الفعل للتهديد، أيضا كما في قوله تعالى: ﴿فسوف تعلمون﴾(الأنعام ١٢١) و﴿فلسوف تعلمون﴾.

فإذا لم يقترن بالفاء لم يحمل دلالة التهديد، بل كان على الإخبار فقط (سوف تعلمون).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- من الأساليب التعبيرية الجميلة التي استخلصتها الباحثة من آيات تعاقب الذكر والحذف أسلوب الحمل على المعنى أو المشاكلة اللفظية، وقد التفت القدماء إلى هذا الأسلوب وعززه البحث وعمقه، كما في قوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ ﴿سيقولون: لله﴾ (المؤمنون ٨٤-٨٥).

وقوله: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ ﴿سيقولون لله﴾.(المؤمنون ٨٦-٨٧)

وقوله: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون﴾ ﴿سيقولون لله﴾ (المؤمنون ٨٨-٨٩).

فالإجابات مسوقة على وتيرة واحدة على الرغم من ذكر "اللام" في السؤال الأول "لمن" وخلو الآيتين الأخريين في الاستفهام منه "من"، وذكر اللام في الإجابتين على وتيرة الآية الأولى "لله" من باب الحمل على المعنى على تقدير "لمن الملك"؟ لله، فالإجابة الأولى على الأصل، والثانية والثالثة على المشاكلة والحمل على المعنى.

- إن تمسك النحاة بما قعدوا ومحاولتهم تطبيق تلك القواعد على آيات من القرآن الكريم ألجأهم أحيانا إلى التكلف في التقدير، وعلى سبيل المثال؛ فقد اختلفوا في دخول ما سموه لام الابتداء على الفعل الجامد وعلى سوف؛ لأن اللام حسب تسميتهم لا تدخل إلا على المبتدأ (لام الابتداء)؛ لذا سموها مزحلقة إذا اقترنت بالخبر، وحين طالعتهم آية (فلسوف تعلمون) وآية (لبئس ...) قدروا مبتدأ محذوفا (فلأنتم سوف تعلمون) ولم يقدروها لام القسم، مع أن وظيفية هذه اللام سواء أكانت مقترنة بالمبتدأ أم بالخبر أو بالفعل الجامد أن تكون لام توكيد.

- ومما يعد من النتائج التي أكدها البحث أن اقتران الظرف "بمن" يكسبه دلالة التحديد وابتداء الغاية الزمانية والمكانية؛ فلا يستوي التعبير في قوله تعالى: ﴿جنات تجري تحتها الأنهار﴾ (التوبة ١٠٠)و﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (التوبة ٨٩). ولا تستوي دلالة قوله تعالى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ (البقرة ١٢٠) وقوله تعالى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ...﴾ (البقرة ١٤٥) وعلى ذلك فالقول بزيادة (من) في ضوء الآيات التي حذفت منها قبل الظرف قول مرفوض؛ والرأي أنه كلما أغرق الزمان في البعد، وصعب تحديده جاء خلوا من حرف الجر "من"؛ فإذا ذكر "من" تقيدت الفترة وتحددت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- هناك ملحظ جدير بالإشارة إليه مستخلص من آيات تعاقب الذكر والحذف؛ وهو أن الحذف لبعض الأحداث في موضع وذكرها في موضع آخر لا يكون للإيجاز؛ كما هو معروف؛ وإنما يرتبط بأغراض ذات علاقة بالسورة نفسها وبمكان نزولها، وقد يكون الحذف أحيانا لتحفيز خيال القارئ حتى يعمل على استكمال التفاصيل، وتبين بعض الأحداث؛ إضافة إلى أن للحذف في موضع علاقة بالذكر في موضع آخر؛ فما يذكر لا يعاد الحديث عنه تماما باللفظ والمعنى؛ فلم تذكر قصة كاملة في موضع ثم ذكرت باللفظ نفسه في موضع آخر، بل إن ما يتكرر ذكره منها مشاهد يسيرة يتم عرضها بأكثر من صورة، ثم تستكمل المشاهد بما ينسجم مع الغرض في تلك الصورة، مع احتفاظ كل سورة تتم فيها الإشارة إلى هذه القصة بجو خاص، كما أن كل آية -وإن بدت مشابهة لآية أخرى في سورة أخرى- فإنها تأخذ جو السورة التي وردت فيها؛ فيكون لذكرها في موضعها حكمة تختلف عن ذكرها في الموضع الآخر.

كما أن ما يتكرر في المواضع المتفرقة ليس سردا تاريخيا للأحداث، فمن يتدبر مواطن التكرار يتبين أن لكل ذكر هدفا ساميا وعبرة مقصودة.

- ومن الملاحظ الجديرة بالإشارة إليها أيضا أن دراسة ظاهرة تعاقب الذكر والحذف في ضوء المنهج الجمالي تجعل الباحث يركز على إبراز مواطن الجمال القرآني، دون الانشغال بالقضايا النحوية الجانبية أو بخلافات المفسرين.

- ومما نوّه إليه البحث تصرف الأسلوب القرآني في ذكر "الهاء" وحذفها مع ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة في آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا**﴾ (النساء ١٠٩).

وقوله تعالى: ﴿**هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم**﴾ (آل عمران ٦٦).

وقوله تعالى: ﴿**ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم**﴾ (البقرة ٨٥).

وقوله تعالى: ﴿**قال هم أولاء على إثري وعجلت إليك رب لترضى**﴾ (طه ٨٤).

ويلفت النظر أن الأسلوب القرآني أعطى هاء التنبيه من تباين الرتبة ومن الذكر والحذف ما يدل على دقة التعبير؛ فإذا ذكرت الهاء؛ فهي في موضعها المناسب، وإذا حذفت فإن السياق لا يقتضي وجودها، مما عزّز القول بأن تباين الصيغة يحدث تباينا في الدلالة.

٢- التوصيات:

- هناك مباحث مشتركة بين النحو والبلاغة في أساليب العطف والفصل والوصل وتعاقب الذكر والحذف إذ حاول النحاة أن يطبقوا فكرة التشريك والاتباع الإعرابي؛ فحولوا التعبير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآني في آيات تعاقب فيها ذكر حرف العطف وحذفه إلى تعبير نمطي، عادي أفقد الآيات ما ترمي إليه في صورتها البلاغية المعجزة؛ ليستقيم لهم أسلوب العطف، كما وصفوه.

ولا تزال هذه المباحث بحاجة إلى إعادة النظر فيها للكشف عن مواطن الجمال في النص القرآني، مع محاولة التجديد في أساليب عرضها بطرق تتناسب وظروف العصر، مستفيدين من مناهج الدراسة الحديثة؛ فلا يجوز أن نقف عند الجانب الشكلي من هذه الصيغ منفصلة عن نظرات أخرى أكثر عمقا، وتتصل بالمعنى من حيث تعدد اتجاهاته الإيحائية المنبثقة من السياق ودرجاته في الحكمة والسمو، ولا نزال بحاجة إلى تفسير بلاغي شامل للقرآن الكريم، وإلى مزيد من الدراسات البلاغية، ولا نزال نعتقد بإمكانية تقديم دراسات جديدة.

- هناك ألوان وضروب من الحذف مثل حذف التركيب الكاملم تسلط عليها الأضواء بالقدر الكافي، وعلى الدارسين مواصلة البحث عن بلاغة هذا الضرب من الحذف؛ ليكون نموذجا أمام المبدعين للاستفادة منه.

- كما أن تعاقب ذكر الجمل وأشباه الجمل وحذفها في القرآن الكريم لا يزال بحاجة إلى مزيد من البحث العميق؛ إذتركزت الدراسات على الحرف والمفردة دون الجمل وأشباه الجمل، ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الحذف والذكر ظاهرة قرآنية واضحةفي قصص القرآن الكريم.

وأخيرا فإن هناك توصية أرى لزاما أن أدعو الدارسين إلى التنبه إلى مضمونها لعلهم يواصلون البحث في القضية التي تنطوي عليها؛ وهي أن كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي يوحي بسعة إحاطة صاحبه بعلوم العربية والقرآن الكريم؛ مما يجعل كل باحث في مجال الدراسات القرآنية بحاجة إليه، ولكنه صعب التناول لعدم تحقيقه -وإن كان مطبوعا-.

إضافة إلى أن المؤلف قد حشد فيه من القضايا النحوية والخلافية وفرعيات النحو وعلله والبلاغة والمنطق، ما يجعل المرء يفكر جديا بإعادة تحقيق هذا الكتاب القيم؛ ليصبح سهل التناول، عميم الفائدة؛ وفي هذا دعوة إلى الباحثين للاضطلاع بهذه المهمة.

ولا أزال أعتقد أن ما قدم من دراسات وأبحاث قرآنية لا يعيق المزيد من الدراسات الحديثة؛ فهناك العديد من أسرار بلاغة القرآن الكريم وإعجازه لم يكشف بعد، وأراني أردد قول بنت الشاطئ: لعل من إعجاز القرآن الكريم أن يظل معروضا على الأجيال،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتوارد عليه جيلا بعد جيل، ويظل رحب المدى سخي المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه مبلغا امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمع وفوق كل طاقة.

ولست أزعم أن هذا البحث -بما توصل إليه من نتائج- قد بلغ الكمال، ولا أدعي أنني قلت قول الفصل، وحسبي منه أنني بذلت قصارى جهدي وغاية وسعي وعسى أن أكون قد وفقت في تحقيق ما ندبت إليه نفسي.

وعلى الله قصد السبيل.

الباحثة فاطمة السعدي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **أ- المصادر:**

- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلي، (ت ٦٣٧ه)/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢مج، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨ه/١٩٣٩م.
- الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٦م) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، ط٢، ١مج. تصحيح ومقابلة مخططات ونسخ معتمدة، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت، لبنان ١٩٧٧م.

- الأصفهاني، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط٢،تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان.(د.ت).

- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد البغدادي، (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٢م) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، ١٥ مج، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد النحوي، (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ٢مج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- البيان في غريب إعراب القرآن، ٢مج، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ)

- البحر المحيط، ط١، ٨ مج، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٤م.

- النهر الماد من البحر المحيط، ٦ مج، تحقيق د. عمر الأسعد دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن القاسم، (ت ٤٠٣هـ)
إعجاز القرآن، ط٣، ١ مج، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

- التبريزي، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله العمري، (ت بعد ٧٣٧هـ)
مشكاة المصابيح، ط٢، ٣مج، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، (ت٤٧١هـ)
دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط٢، تحقيق الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، (ت ٣٩٢هـ)
الخصائص، ط٢، ٣مج، وتحقيق محمد علي النجار– دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان [د.ت].

- الرازي، محمد بن عمر الرازي، (ت٦٠٦هـ)
نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق وتقديم إبراهيم السامرائي ومحمد بركات أبو علي دار الفكر، عمان/١٩٨٥م.

- ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط٣، ٢ج في ١مج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، مصر ١٣٨١هـ، ١٩٦٣م.

- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت٣٨٤هـ)
معاني الحروف، تحقيق د. إبراهيم السامراني ومحمد بركات أبو علي/دار الفكر-عمان ١٩٨٥م.

- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، (ت٣١١هـ/٩٢٣م)
إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق إبراهيم الأبياري، وزارة الثقافة والإرشادالقومي، المؤسسة لعامة للتأليف، القاهرة/ ١٩٦٣م.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)

- الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس/ بيروت، ١٩٧٩م.

- حروف المعاني، ط١، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، دار الأمل، اربد /الأردن، ١٤٠١هـ/١٩٨٤م.

- اللامات، تحقيق الدكتور مازن المبارك، طبعة مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهاء، (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م)،
البرهان في علوم القرآن، ٤ مج قدم له مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- الزمخشري، الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد، (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤مج، رتبه وطبعه وصححه محمد عبد الله شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م)
إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٩ ج في ٤مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د.ت].

- السكاكي، ابو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، (ت ٦٢٦هـ)
مفتاح العلوم، ط٢، ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- سيبويه، أبو بشر عمر، (ت)
الكتاب ط٢، ٢ مج، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

- الأشباه والنظائر في النحو، ٩ مج، تحقيق الدكتور عبد العالم سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

- الاتقان في علوم القرآن وبالهامش إعجاز القرآن للباقلاني، ط٣ ٢ مج، شركة مكتبة مصطفى البابي، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ٢ مج، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٥ مج، طبعه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- الصبان، محمد بن علي
حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤ مج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البالي الحلبي، [د.ت].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، (المتوفي في القرن السادس)
مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٠ج في ٥مج، تصحيح فضل الله الطباطبائي اليزدي، منشورات شركة المعارف الإسلامية [د.ت].

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)
جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٢، ١٠ مج، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

- ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)

- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، المكتبة العلمية، مطابع دار الفكر، دمشق [د.ت].

- فوائد في مشكل القرآن، ط ٢، تحقيق السيد رضوان علي الندوي، دار الشرق للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

* العسكري، أبو هلال الحسن بن سهل، (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)
الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ت].

- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت ٥٤٦هـ)
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق أحمد صادق الملاح، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة القرآن والسنة، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، (ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩م)
إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، طبعة بولاق، ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وقد أعيد تحقيقه تحت عنوان:
التبيان في إعراب القرآن، ٢مج، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البالي الحلبي، مصر الجديدة، القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- العلوي، يحيى بن حمزة، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)
الطراز في أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣ مج، تصحيح سيد بن علي المرصفي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٥م.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (ت ٢٠٧هـ)
معاني القرآن، ط ٣، ٣ مج، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ٢مج ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من أي السنة والفرقان، ط ٢، ٢٠ مج، تحقيق مصطفى السقا، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٧م.

- الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، (ت ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م تقريبا)
البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. وقد أسماه المحقق (أسرار التكرار في القرآن الكريم).

- المالقي، أحمد بن عبد النور، (ت ٧٠٢هـ)
رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المرادي، الحسن بن قاسم، (ت ٧٤٩هـ)
الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط١ المكتبة العربية بحلب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)
لسان العرب، ١٤ مج، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

- النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل، (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٩م)
إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.

- النووي، محيي الدين أبو زكريا، (ت ٦٧٦هـ)
صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧ج في ٩مج، ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

- الهروي، علي بن محمد، (ت ٤١٥هـ)
الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)
– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب هداية السالك
محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥، ٣ مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م.

– مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، ٢ مج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، [د.ت].

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد
أسباب النزول، وبهامشه الناسخ والمنسوخ، عالم الكتب، بيروت، [د.ت].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن يعيش بن علي، (ت ٦٤٣هـ)

- البيان في إعراب القرآن، طهران، ١٨٥٦.
- شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية بإشراف مشيخة الأزهر، القاهرة، [د.ت].

ب- المراجع الحديثة:

- ابتسام الصفار، معجم الدراسات القرآنية، منشورات جامعة بغداد، ١٩٨٤.

- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

- أحمد ماهر البقري، أساليب النفي في القرآن، المكتب العربي الحديث، ١٩٨٩م.

- اسماعيل أحمد العمايرة وعبد الحميد السيد، معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، تكملة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١م.

- بدوي طبانة، البيان العربي: دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ط٥، دار العودة، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن،
- الإعجاز البياني في القرآن ومسائل ابن الأزرق ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

- التفسير البياني للقرآن الكريم، ط ٣، مكتبة الدراسات الأدبية، ط٣، ٢ مج، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، الشركة التونسية للتوزيع. تونس ١٩٧١.
- حسن محمود السيد، روائع الإعجاز في القصص القرآني، دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٢م.

- سعد أبو الرضا

– في البنية والدلالة، رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، منشأة المعارف، الاسكندرية، [د.ت].

– البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية، [د.ت].

- سليمان الطراونة، دراسة نصية، [أدبية]، في القصة القرآنية، حقوق الطبع للمؤلف، ١٩٩٢م.

- سيد قطب.

– التصوير الفني في القرآن الكريم، ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

– في ظلال القرآن، ط ٧، ٨ مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩١١م.

- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.

- صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس النحوي، ط ٢، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

- عبد الفتاح الحموز

- المبتدأ والخبر في القرآن الكريم، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- التأويل النحوي في القرآن الكريم، ٢ مج، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- الحذف في المثل العربي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

- الحمل على الجوار في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.

- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، دار الفكر العربي، ومطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م.

- عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء،ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د.ت].

- عبد الوهاب الفضلي، اللامات للزجاجي، دراسة نحوية. دار القلم/بيروت ١٩٨٠م.

- عبيد منصور الرفاعي، أهداف القصة في القرآن الكريم، دار الفرقان، القاهرة، ١٩٧٨م.

- عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عمر الأسعد وفاطمة السعدي، اللغة العربية بين المنهج والتطبيق، ط ٢، مطابع الرأي، عمان- الأردن، ١٩٨٩م.

- عودة أبو عودة، شواهد الإعجاز القرآني: دراسة لغوية دلالية، دار الآفاق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- فضل عباس وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، عمان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ط ٢، دار الفرقان، عمان-الأردن، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، دار النور للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

- كاظم الظواهري، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، دار الصابوني ودار الهداية، بغداد، ١٩٩١م.

- كمال بشر، علم اللغة العام: الأصوات، ط ٦، دار المعارف، مصر-القاهرة، ١٩٨٠م.

- محمد أمين الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- محمد بدوي عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

- محمد حسن عواد، تناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم، دار الفرقان للنشر والتوزيع/عمان-الأردن ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط٣ مكتبة الأنجلو مصرية، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥.

- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط ٢، دار الفكرن بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- محمد قطب، دراسات قرآنية، ط ٢، دار الشروق، ١٩٨٠م.

- محمد متولي الشعراوي.
  - معجزة القرآن، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٨م.
  - المنتخب من تفسير القرآن، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.

- محمد المجدوب، نظرات تحليلية في القصة القرآنية، ط ٥، دار الشواف للنشر والتوزيع، القاهرة.

- محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٠م.

- محمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ط ٦، المكتبة المحمودية التجارية.

- محمد منير الدمشقي، المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، دار العلم، بيروت، ١٣٦٤هـ/ ١٩٢٧م.

- محمود زلط القصيبي، قضايا التكرار في القصص القرآني، دار الأنصار، مصر، ١٩٧٨م.

- محمود السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٨٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط ٤، ١٠ مج، دار ابن كثير، حمص- سورية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٩٢م.

- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط ٧، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٩٠م.

- نهاد الموسى

- في تاريخ العربية: ابحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي، الجامعة الأردنية- عمان، ١٩٧٦م.

- حاشية على الاستشراق المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.

ج- بحوث منشورة في وقائع المؤتمرات:

* بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود بدار السلام، بغداد، من ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠هـ الموافق ١٦-٢١ نيسان ١٩٩٠م.

- د. أحمد مطلوب، التفسير الأدبي والاعجاز ص٤٧: ص٦٤،

- د. حاتم صالح الضامن، الإعجاز القرآني ونظرية النظم، ص١١٩: ص١٣٥.

- د. حسام سعيد النعيمي، من أسرار البيان القرآني، ص١٥١: ص١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، مدخل موجز إلى الإعجاز البياني للقرآن، ص٢٠٣: ص٢١٧.

- د. عرفان عبد الحميد، الإعجاز القرآني نظرة معاصرة، ص٤١٩: ص٤٢٢.

- د. فاضل صالح السامرائي، لمسات فنية في نصوص من التنزيل، ص٥١١: ص٥٣٣.

- د. محمد حسين علي الصغير، ملامح الإعجاز في القرآن الكريم، ص٥٤٧: ص٥٦٢.
- مساعد مسلم عبد الله، درس في إعجاز القرآن الكريم، ص٦٤٩: ص٦٥٧.

د- المراجع الحديثة باللغة الانجليزية.

- Philhps, C.H., Handbook of Oriental History.

  London Office of the Royal History Society, 1951.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The Succession of Mentioning and Omission in the Verses of Holy Koran

A Study Conducted by:

Fatima Fadel Mahmoud Al-Sa'di

Supervised by:

Dr. Ja'far Ababneh

This study aimed at locating and signifying the succession of mentioning and omission in the Verses of Holy Koran.

A criterion was established to clarify the concept of mentioning and omission. That is the recurrence of synonymous verses with mentioning or omission of a letter, a word, a clause or a sentence in one of these verse giving it a new meaning.

Succession verses were then gathered and classified accordingly into three chapters, the first was about the verses where a single letter is mentioned or omitted in alphabetical order, the second was about the verses where a word is mentioned or omitted in a linguistic order, while the third was about the verses with a full sentence or a phrase mentioned or omitted.

٤٩٤٠٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Each chapter had ample reference to the discussions of linguists and Holy koran explainers (mufassireen), old and modern, with a thorough commentary on both, taking the Koranic text as the only decisive reference.

This study also aimed at clarifying the purpose of any mentioning or omission as being non-redundant, each case was considered in the light of the reasons for the divine revelation, the Koranic stories and the stories of the prophets, and the different methods of Koranic explanations (tafseer).

The study concludes the following:

- No single verse should be taken apart from its context or the causes of its divine revelation.

- No single letter is mentioned or omitted in vain, regardless of some linguists manifestation that such mentioning or omission is just for pure grammatical purposes. This study shows that every mentioning or omission is functional.

3- Repetition of some verses of Koranic stories is connotative.

4- Arguments of many linguists in this topic should be reconsidered.

- Koran shoulbe mainly explained by Koran itself. Koranic glossary will help manifest ambiguous word implications. The Aesthetic Approach will reveal places of the rhetoric marvel and the unattainable grace in the Koranic text.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit